
الدكتور عبد الرحيم محمد حامد
من
صنع السودان



صدر للمؤلف . . .

- الامراض المتناقلة بين الانسان والحيوان ١٩٧٦م
- القرآن وعالم الحيوان ١٩٨٤م
- من ضيع السودان ١٩٩١م

رقم الايداع ـ ٢٢ ـ ١٩٩٢/٩١

د/ عبد الرحمن محمد حامد

مَنْ ضيّعَ السُّودان ؟ !

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

الطبعة الاولى ١٩٩١م

الطابعون : مطبعة جامعة الخرطوم

إهـــــــداء

إلى ....

،، أمّ خيَانْ ،، أمّي ... الحيويّة ، والإيثّار ، وقدم الجنّة ..
و ،، شادية ،، زَوْجَي ... السّكنْ والمودّة ، والرّحمـــــة ...
و،، هَنَيْدة و رُؤى ،، إبنَتَيَّ ... بعض زينة الحَياة الدنيا ، وصالح الـدُعاء بعد الـممات ...

بســـــم اللــــه الرحــمن الرحــــــيم

" " ووصينا الإنسانَ بوالديهِ احساناً حَملته أمُّه كرهاً ووضعته كرهاً وَ حمله
وفصالُهُ ثلاثونَ شهراً حتّى اذا بلغَ أشدّهُ و بلغَ أربعينَ سنةً قال ربّي أوزعني أنْ
أشكرَ نعمتكَ التّي أنعمتَ عليّ وعلى والديّ وأنْ أعملَ صالحاً ترضاهُ و أصلحْ لي
في ذريتي إنّي تبتُ إليكَ وإنّي منَ المسلمينَ " "

صدق الله العظيم .

سورة الاحقاف (١٥)

" لو ان التاريخ اخذ فى اعتباره الأخطاء وحدها ولم يسجل المنجزات التى حققها الرجال ، فلن نجد رجلاً واحداً يمكن ان نقول عنه انه كان رجلاً عظيماً . "

** نابليـون **

تقــــــديـــم

مــن قبــل ......

" اعــرف قومــا يعارضون ســرا ً و يؤيدون علنا ً ، يهمســون بارائهــم و يصفقون بايديهم، وهم يعتبرون الهمس منتهى الشجاعة و التصفيق منتهى الواقعية .. يقولون لك انه لا يعجبهم العجب و يقولون للمسئولين ان ليس فى الامكان احسن مما كان ... ولا يعلمون انهم اصفار فى العلن و أصفار فى الخفاء ... فالانسان الشجاع هو الذى يعلن ما يبطن و يقول بصوت عال ما يقوله بصوت خافت ...

اذكر اننى كنت فى مكان عام و اذا بأحد الجالسين يهاجم احد المسئولين بالحق و بالباطل ، ويوجه له اشد الاتهامات ، و ظهر فى المجلس الذى كنا فيه اشجعنا و اقوانا واجرأنا ، وبدا كل واحد منا امامه فأر امام اسد مغوار !

ودخل فجأة احد المسئولين و جلس معنا ، و اذا بالاسد المغوار ينقلب ١٨٠ درجة . و يمدح المسئول الذى كان يشتمه ، و يصفه كانه احد الافذاذ العباقرة و يؤيد ثناءه بألف دليل ودليل .

و أصيب كل الحاضرين بالذهول ، كانوا قد سمعوا منذ دقائق قليلة كلاما ً و يسمعون الان كلاما على عكس ما سمعوا ، و نظرنا كلنا معا الى وجه الاسد الهصور فلم يظهر على محياه انه يخجل من هذا النفاق الرخيص كانه نسى كل ما قاله من شتائم و اتهامات ....

مثل هذا المنافق لم نكن فى الماضى نقبل ان نصافحه او نجلس معه . كنا نطرده من مجالسنا شر طرده . ولكن اليوم تبدل الحال واصبحنا نحن الذين نخجل منه ، فلا نواجهه برأينا فى نفاقــه و ملقــه ، و سفالتــه ....

و نعتبر ان سكوتنا نوع من الادب وانا اعتقد ان سكوتنا على النفاق ليس هو الادب . بل هو منتهى قلّة الادب ، بل هو سكات على السفالة العلنية ، عندما يتحول الرجل فى دقائق من اسد الى فأر و من شجاع الى

رعديد ... و بعض هؤلاء المنافقين يعترفون بخطيئتهم و يقولون لك ان الجبن هو سيد الاخلاق . و لكن اغلب المنافقين يعتبرون ان جبنهم شجاعة ، و ان هبوطهم الي هاوية الانحطاط هو الذى يؤهلهم لاعلى المناصب ..

بعض المغفلين يمكن خداعهم بالزُلفى و يمكن الوصول الى قلوبهم بمسح الجوخ و تقبيل الايدى والاقدام .. و لكن هذا الطريق يصلح للصغار فقط .. اما الانسان الكبير فهو الذى يستطيع ان يدوس المنافقين بالاقدام ..... " [١]

ولنا ان نتساءل ......

على من تقع مسئولية الشتات و الضياع و الغيبة عن الوجود ..... ؟ ! ...

" هل تقع المسئولية على الحكام و اصحاب السلطان ؟ ... ان الاكثرية تميل الى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه و ذلك لجملة أسباب :-

الاول :- ان الناس دائما يحبون ان يبرئوا انفسهم و يحملوا المسئولية لغيرهم ـــــ ولهذا تحب الشعوب ان تحمل عبء تبعتها على عاتق حكامها ...

الثاني :- ان شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير فهى تنفس ـــــ عن نفسها حين تحملهم اثم ما اصابها ..

الثالث :-ان المسئولية بقدر المُكْنَةْ و السلطة والحكام قد مُكّنوا وَسلِّطوا ولكنهم لم ـــــ يكونوا عند حسن الظن بهم ،لم يكونوا كما قال الله تعالى " الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة و امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر " الحج .... الخ

ولا ريب ان الحكام يحملون قسطا كبيرا و ربما القسط الاكبر مما نحن فيه ولكن من المؤكد ايضا ان الحكام فى الغالب اشبه بشعوبهم وهم إفرازَ مجتمعاتهم ، حتى الحكام الذين يفرضون على شعوبهم إنّما يستمر حكمهم بممالاتها لهم ، أوعلى الاقل سكوتها عنهم . و فى القول المأثور : " كما تكونوا يولى عليكم " ..

ام تقع المسئولية على العلماء فهم ورثة الانبياء ، ودعاة الحق و هداة الخلق الذين اخذ الله عليهم الميثاق ليَبيّنُنْ دين الله للناس و لا يكتمونه ؟ ! ...

---

(١) مصطفى آمين - فكرة - الشرق الاوسط

بيد ان فى العلماء من قصر فى واجب البيان و البلاغ ، و منهم من مشى فى ركاب السلطان ، وجعل العلم خادما للسياسة و جعل نفسه جهازا لتفريخ الفتوى حسب الطلب ... و الحقيقة ان علماء اليوم لم يعودوا وحدهم فى الميدان كما كانوا في العصور الماضية ، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروءة و المسموعة و المرئية فى اجهزة الإعلام اشد تأثيرا فى الجماهير من اصحاب المنابر وان كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها كما ان مشكلة علماء اليوم انهم اصبحوا موظفين لدى الحكام ، فهم الذين يملكون توليتهم و عزلهم وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحِرَف و التجارة و غيرها ليكفوا انفسهم بانفسهم ....

ولقد سئل احد الولاة عن قوة الامام الحسن البصرى رحمه الله و شموخه ، فقال الوالى بصراحة " احتجنا الى دينه و استغنى عن دنيانا " !! ... فكيف يكون الحال اذا احتاج العلماء الى ما عند الحكام من دنيا و استغنى الحكام عما عند العلماء من دين ؟! ....

على ان من العلماء من ادى الامانة و بلغ الرسالة ولقى فى سبيلها من العذاب ما لقى ، بل منهم من قدم رقبته فى سبيل الله ...." (١)

يسألونك عن هذا الكتاب .....

" لا اعرف اهانة تنزل بأمة مثل سلب مواقفها العظيمة وشجب نضالها الظافر و اتخاذ تجاربها السياسية الناجحة موضع التجريح و التشهير و التندر و السخرية .... (٢)

ونَحْسَبُ أنه ليـــس هنالك اهانــة لشعب أكبر من تفخيم مواقف القــادة و الدفاع عنهم بالباطل ... و تحكيم المشاعر و العواطف بدل الموضوعية فى محاكم التاريخ ... وان المدح كتابة ووصفاً ووضعاً لهالات الامانة والأخلاق

---

(١) د/ يوسف القرضاوى – مجلة الامة مارس ١٩٨٥م " فى محاولة اجابة على من تقع مسئولية الشتات و الضياع و الغيبة عن الوجود . "

(٢) خالد محمد خالد – دفاع عن الديمقراطية .

النَبَويّة حول هامة من لا يشبهها ، و مناداة القزم بالعملاق ، هى اساءة وجريرة بقدر اهمال الكتابة الموضوعية عن حقيقة المواقف . . .

ليس الكتابة هنا ترف أو متعة ذهنية و فكرية او تعبير عن كراهية او مدفوعة بانفعال و انطباع ذاتى ، وليست قناع نبرةٍ و اعظةٍ لكاتبٍ هو احوج لمن يعظ ... و انما هى خروج بالرؤية الذاتية لمآل البلاد لتنوب تعبيراً عن ذوات لا تدرك التعبير و لا تحس بوجودها و ما يدور حولها ، ليس الباعث على كتابته الهمز و اللمز او البحث عن الشعور بالقناعة الذاتيه من خلال تجريح اناس افضل بكثير - ولو فى طريق البحث عن الحقيقة - حيث يغمس البعض شعور الاقتناع حين يشجبون من هو افضل خَلْقاً او أبعد نجاحاً او اوفر حظاً ، و يتملكهم شعور الأهم في الحياة . . . . . .

و إنما هو منهج موضوعى مرصود مفهوم و مشار لمصدره بقدر المستطاع ، يجد فيه القارىء مُدخلاً لمعرفة الشخصية السودانية من خلال شخصيات من تصدوا لقيادة العمل الوطنى فى السودان .

أمثال هــؤلاء الرجال ، كم يكون جميلاً ، ان تهتم بهــم الامــم تدوينــاً و بحثاً ... مهما كان رأيك و رأيى فيهم لانهم يملكون قـوة التصدى للامور (١) فاذا كان قدر بعض الناس ان يتجرع مر الحنظل فى وطنه و يموت حسرة والمــاً ، ويضمه باطن الارض لتقوم من فوقـه و بجانبه اعمدة صرح الوطن ويكتفى بلوحة تكتب على قبره (ولدوا ، فتعذبوا ، فماتوا) (٢) ... فقَدرُ البعض كان على ألقمة حيث يسقط احدهم من علٍ فَيَدِقُّ عنقه او يلقى مالم

---

(١) يعتبر بعض الحكام ان تاريخ بلاده بدا يوم توليه السلطة ويبدا يتنكر لامجاد غيره و يتمنى ان يلغى تاريخهم .. و الامم الاخرى تكرم ابطالها ، . عام ١٩٩٠م يحكم الاشتراكيون فرنسا ولكنهم يقيمون اعظم احتفال لتكريم خصمهم اللدود ديجول بمناسبة نداء ١٨ / يونيو /١٩٤٠ (لقد خسرت فرنسا موقعة ولكنها لم تخسر الحرب) الذى اطلقه دجول بعد أعلان هزيمتها امام المانيا ١٧ / ٦/ ١٩٤٠ و صارت فرنسا بعده دولة عظمى .. العمل الوطنى النافع يعترف به عندهم حتى الخصوم.

(٢) مثل هبينى

يكن يتوقع ... حينئذٍ عليهم ان يرضوا حكم التاريخ و نقد الغير و تقييم مواقفهم بموضوعية و أمانـة ... و اى من الفئتيسن تؤدى ضريبـة الوطن ، ونيـة بناء الوطن لا تكفى وحدها من دون الله وعبادته و مرضاته . . . . .

انه اجتهاد شخصى لم يكتب بايحاءٍ من أحد او من اجل عهد او فئة او فرد ، و انما هو منهج الباحث المتدرج المحايد يستبصر الاصلاح ما استطاع و يستشعر التوجه العام ... يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال [1] ، يتأمل القول ولا يتهيب القائل ، و يعى ان للمجتهد المصيب اجران و للمجتهد المخطيء نصف ذلك .. وليس بكبير عنده امام النقد الموضوعي مَنْ مكان .... والمعصوم فقط هو النبى الأمىُّ الخاتم محمد بن عبد الله (صلعم) ..يسبق استنتاج الموقف و القول فيه ، الدليل والحجة و السبب والبرهـان . . . .

حاولت اتباع منهج للبحث يقوم على االدراسة و التحليل بعد تتبع لتاريخ الحركات السياسـية فى السودان و جمـع لمواقفها و مواقف قادتها وعرضها و ترك اصدار الحكم عليها او لها ، فى المساهمة فى دمار الوطن ، للقارىء ما استطعت ان اكون شاهداً مراقباً و معايشاً للاحداث بعد الاستقلال ...

. ليكن المقال تحليلاً سياسياً الغرض منه الإعتبار و البدء فى تصحيح المسار ، لذا فهو ليس اجابة جاهزة او حكماً مسبقاً ولا تسجيلاً تاريخياً ، وانما هو محاولة لمساعدتكم لمعرفة مَنْ الفاعل و مَنْ وراءه ! ! ... و مَنْ بَعْدَ ليس لإثارة البغض و الكراهية لمن فعل ، وانما محاولة لتعرية الاراء لمن يدرك معنى الخلاف و الإختلاف الفكرى لتساعد على الإلتقاء ... وذلك بتوضيح ما وقفت عليه من فعل مثبوتٍ و قولٍ مقروءٍ او تقرير ثابت او ايجاز لفعل الغير ، او قولة مسجلة و مكتوبـة ، [2] ويبقى هنالك الكثير من الاحداث فى ذاكرة

---

(١) فى واقعة الجَمَلْ سال رجل سيدنا على كرم الله وجهه (هل يمكن ان يجتمع طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين على باطل ؟) فاجاب " ثكلتك امك اعرف الحق تعرف اصحابه .ان الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال "

(٢) فى الكتب و المجلات و الجرائد و الدوريات المحلية و العالمية و كل مشار إليه فى صفحته . . . . .

الرجال من المـُوثّق غير المدون ، او الموثق و المدون الذى لم يطلع عليه الكاتب ، او المكتوب الساكن بين ادراج من كتب او قابع فوق مصاطب المطابع مما يبرىء ذمـة البعض أو يـُدينـه . . . . . .

ليس الغرض هنا إطلاع من يعرف هذه الحقائق و يعيها ، فكثيرون منكم شاركوا فى صنعها ، ولكن المأمول وقوف الأواخر على ما فعل بهم الأوائل ... اولئك الذين نحمد اليهم التحرير و نعيب عليهم سلبية التعمير ... ليتسنى لهم قراءته و الإعتبار بما فيه .

انها اجتهادات سياسية و مواقف سجلها هؤلاء الرجال فى سبيل النهوض بأمة بحكم الانتماء ... و تبقى عليهم تَبعَـة النية و العمل وعند الله الجزاء ، و بتقييمنا هذا يقيننا انهم يقبلون الامر لمفهومهم الواسع ان ليس المقصود هو الشخص او الحزب او الفئة فى ذاتها .. وانما المعنى الظاهر والخفى لما فعل وما سلك من قناة و اسلوب ، و ما ترتب على ذلك من اثر على الوطن ... و فى ذلك لابد من الفصل بين العوامل الموضوعية و العوامل الشخصية فى تحليل الظواهر السياسية و اصدار الاحكام على تصرفات الرجال ، بالرغم من صعوبة الفصل بين القضايا الشخصية و القضايا العامة ، لأن القرار فى النهاية يصدر من نفس واحدة وعقل واحد .... الا اننا لم نأخذ الا بما هو فى حكم العمل العام ... محاولين ازالة الأقنعة التي يضعها البعض من فوق حروفهم لكى تحجب عنا حقيقة من نكتب عنهم .... لأن هنالك من يبرر موقفه كذباً او خجلاً مما جرت يداه .. ولأن الامم المبصرة تتعظ و تعتبر من تاريخها .. وهو تاريخ ملىء بالشخصيات التى صنعته .. وما يعتبره البعض تجريحاً يكون لدى القارىء المنصف محسنة و أمراً واجب الاشادة به خاصة اذا كان ذا حظ من الأسانيد المثبته و الأدلـة المُقنعـة .. و ان سقوط الامم فى بعض جوانب حياتها يكون فى التنظير و التفكير قبل الممارسة ، لذا فمن الواجب التصدى لكُلِّ بقوة و شجاعة و بصيرة و فحص علمي دقيق .. لتُقدّم دروس و عبر العهود مقيمة ليافع الاجيال ، اذا ما اريد لها وعىَ " سياسيَ " بعيدً عن العواطف والاحاسيس و فهمً ر شيدً وفعلً متكاملً ... لا تكون قاعدته ذكريات ماضى و انما مغزى تجربة و نتائج معاناة

وحقائق حاضر لاستبصار مستقبل بَيّنٍ سليم ، تحرسه الشجاعة و الامانة والدراية والكفاية . . .

و بالرغم من كل ذلك سيقول السّفهاء من القوم إنه محاولة للنَيلِ من شموخ ابطال وصلاح رموز بيدٍ داخلية تنفّذ مرامى الأعداء ، بقول من سبق الإستيلاء عليه وعلى ارادته ... وسيلْحقْ به اتباع الزعيم والشيخ لعناتهم وإن لم يغضب هو لأن هنالك الآلاف ممن يغضب لغضبته و لا يسأله فيما غضب ، و لان مما لا يدع مجالا للشك هو اهتزاز المثل الأعلى امام ناظرَىْ من اعماه الولاء بلا وعى و لا ادراك ... و سيَسِرُ رهط المدينة كونه غيرة عمياء و حسداً و رغبة فى التدمير و التحطيم ... تحطيم قدوة ماضية ووصفها بالضعف والخيانة ، دون تقديم قدوة جديدة ... و لمثل هذا نقول ان وجدت فى حروفنا أسنّة ورؤوس حراب توجه لطبول الآذان إن " إسمَعُوا وعُـوا ! " ... فمن حقنا ان نقول : انتباه لمن صَمّ آذاننا سنيناً عدداً ، ليسمعنا برهة من الزمن ... وان لعقتَ من عباراتنا ما هو مُرّ المذاق او عسير الهضم فلأن الواقع اقتضى ذلك ، وليس فقط البحث عن دقة التصوير هو الدافـع ، ولأننا اردنـاك ان تـعى و تَخْبَرَ ما يدور حولك وأن تُعْمِلَ العقل فى كل شىء و أن تتعلم من ذلك سبيل الإحتجاج و الإعتراف وان تشك وان تتحقّق وان تتخيّل وتَتَخيّر و تُقدم بلا قيود على التفكير .... ولم نفعل ذلك ابداً لأشياء شخصية لنا او عليهمْ .... و سيقول حارقُو البخور و نَاشِدُو التوفيق و التسويات فيما يكون و مالا يكون من حوارى السلطان .... ذلك دعوة للفرقة و الشتات بنبش الماضى و بلا خشية لعواقبه ، تتبعاً وترصداً للأخطاء و القرارات الحمقى والممارسات المشبوهة ... فعلى هؤلاء ان يعلموا أنّ كل ما ذهبنا اليه مسئولية فردية فيما نراه حقاً وصواباً ولكى نعترف لابد ان نعرف ما و مَنْ مَهّدَ لجعفر نميرى مثلاً و لأمثاله ، و ما و مَنْ ساعد فى تمكينه فى الأرض يفسد فيها و يقتل و يخرب الزرع و الضرع والعقل و البصيرة ... و لأننا بذلك أردنا لشعبنا ان لا يكون اولئك الذين يعرقون و تسيل دماؤهم فى سبيل التغيير والتبديل ، حتى اذا ما اكتملت الصورة و استبان الصباح وفَرّ العيرُ ، تركوا التبصر فى اجابة السؤال ... لماذا التغيير و منْ اجل مَنْ ؟ ! ... و جلسوا

على رصيف المتفرجين يلوكون حسرتهم وسط دخان الشيشة و الغلـــيون [1] ...
ولان أمة لا تستطيع الانتباه ولا تتصف بقابلية التغيير أمة جامدة متحجرة فانية ...

فلكي تتدارك أمرها لابد لها من معرفة ضرورة الاستمرارية في التغيير و استيعاب متطلباتها ......

ان اشتراك بعض الكفاءات السودانية هو الذى جعل جعفر نميرى يصل الى ما وصل اليه ... وليس ما يجده القارئ هنا انتقاص من قدراتهم و كفاياتهم ، او نكرانا لما قدموا فى مجال تخصصهم ، و لكنه إنصاف لهم بانهم خطوا خطوات ما كان ينبغى أن يخطوها ، ولا شك ان الأسى و الأسف و الندم يملأ نفوس بعضهم كونهم قد شاركـــوا فى صنع نميرى بكل تعقيداتــه و تركيباتــه . و لعل ذلك مما جعل د/ منصور خالد يكتب ....

" و من بين هذه المخادعات الظن بأن ليس هنالك ما يحمل علماء السودان ، بل اهل السودان كلهم على ان لا يكنّـوا لرئيسهم الا الحب والعرفان و التمجيد ... وقد كَـرّس هذه المـخادعات في نفس الرئيس ملق من بقى من المنافقين و صمت مَنْ تخلف من الخائرين ، و كلُ نفر انتقاه بارادته و لبسوه على ما فيه بإرادتهم وما كان له أن يحسبهم نماذج لغيرهم . " [2] ولا يختلف ذلك كثيراً عن مراجعة النفس و مغالبة صعوبة الاعتراف و عاقبة ما يقود للندم ، ذلك الاحساس الذى عايشه الاستاذ احمد سليمان المحامي وهو يكتب ....

" فانا كما ذكرت آنفا اتحمل وزر كثير من الأخطاء التى سودت وجه الحياة الحزبية في السودان " (٣)

و سيتعب كثيراً و يعود بلا دليل من يعتبره بعض قول لكُـتّـاب سلطة موسميين ، يظهرون معها و يختفون ... او سَـحُ دموع بلا وفـاء لعهد صنع او

---

(١) الكدوس
(٢) النفق المظلم ص ٦٠٤ د. منصور خالد ..
(٣) مقدمة كتاب " و مشيناها خطى " صفحات من ذكريات شيوعى اهتدى - الاستاذ احمد سليمان المحامى

نفاقاً لعهد آتٍ ، او بكاء علي منصب فُقِدَ او أمل ضاع ..

و لمثل هؤلاء نقول ....

إننا (لا نُذهب الزمان فى مُماشاة الجُهّال ، فإن ذلك أمر لا آخر له)[1] ....
وإنما هذا ادراك و ايمان بانه عند الكبت و القمع الفكرى تولد اجيال لا تعرف تباين وجهات النظر بين السلطة والرأى المخالف و لا تعى الا صورة مشوّهة للتاريخ لذا على من يعرف قولاً يحسبه هادياً ان يطرحه ... و إنه يحق للقارىء أن يمارس حق الشك و التساؤل .. ان يشك و يتساءل وان يسرح بعقله و خياله ما يشاء ، لذا فقد مددناه بإقتباسات من اقوال وكتابات كثيرة ، طويلة و قصيرة ، وفق ما تقتضيه ضرورة الإستشهاد و صياغة الأدلة الدامغة بالاستعانة بما يكتبون وهو الالزم للاثبات ... فمنهم من يخدع العقل باسلوبه ومنهم من يستغفل عقول الناس و يستخف بالآخرين .....

و يقيننا أنّ أقسى ما سيواجه هذا الكتاب هو ان من سيقرأونه تغلب عليهم معرفة مشاكل البلاد وان لم يقفوا على حلولها ... و ان من هم في حاجة ماسة لما فيه لا يقرأون ، و يفقدون الهمة و الطموح المعرفى ، و يؤثرون العيش بجهلهم كالهمل ، وأنّ اكثر من قرعنا لهم الأجراس لا تنتبه طبول آذانهم و غائب عقلهم لسماع ما جاء فيه أو استيعابه ...

و من ثم ....

ظَنُنَا بك ايها القارىء أنّ تبدأ قراءة الكتاب و أنت تستحضر ان لبعض من لم يذكر مواقفاً و ادواراً سَلباً و ايجاباً .... قد يكون هنالك موقف لأحد غاب عني ادراكه و يعلمه غيرى و غيرك ... كما عليك ان تلاحظ تركيزنا على العهد المايوى لطول مدة حكمه مقارنة بغيرها من عهود الحكم فى السودان ، و لان مظاهر الفساد منها و فيها ، قد شملت و عمّت مجتمعات الريف و الحضر و اظهرت قوماً جاءوا من " الفَرْشِ الى العَرْشِ " فى دنيا المال وحساب الملايين من بعد ان كان الثراء فى السودان محدود العدد بين العائلات الطائفية و بعض الأسر العريقة المعروفة فى دنيا التجارة و الاعمال

---

(1) قول ابن العربى فى (العواصم من القواصم) .....

والتى ابتلعتها اسماء معلومة اليوم كانت مجهولة بالامس القريب ... عاشوا فسادا " يلقفون " و يجمعون ، و لكثرتهم كاد الناس ان يصدقوا بان لا أحد فى البلاد قد جمع مـالاً بالحلال ... ولان خُلق موالاة السلطان فيها قد كثر وغلب بين الحزبيين و اللامنتمين ، حتى بدأ الامر فى حكم القلّة ، ويسير نحو النُدرة ، ان يوجد من يستقيم معترضاً على أمرٍ أو سلوك او ناقداً لقرار ورأى .. لان ذلك صرخة فى فجّ عميق .. ولا رأىَ لمنْ لا يُطاع .. ومن قَلّ ذلّ ومَن أمرَ فَلّ ... ولعل مثل هؤلاء يلزم راحة الضمير والرضا عن النفس ، وابتغاء الجزاء عند الله ، فرضاء الناس غاية لا تدرك .. و يكفيه ان يشار الى انه ليس ممن يشير اليهم عنوان الكتاب باصبع الإتهام فى قضية " اضاعة البلاد " و انه كغيره ممن سُجن و عُذّب و طُردَ لسبب وطنى أو فكرى يحتسب ذلك مساهمة فى بناء الوطن ، لانه عند تحديد هوية الوطن الحضارية و مسار مدنيته سيعلم يقيناً الى أى موضع اتجهت جهوده حتى وان لقى ربه وهو يسير نحو الهدف وبيده بذور الإصلاح ... و ما اغناه عن حروفنا ان يكون قطرة تتجمع من غيثٍ وطَلٍ لتصب في نهر إنقاذ الوطن ، ولقمة لجائع ينتظر الخلاص ، و حرف اجابة في بابنا الاخير "منْ : اين تؤكل الكتف " ! ! ! و اعلم انه ليس من الضرورى ان تكون سياسياً او منضوياً تحت جماعة او هيئة لِتكَوِّنَ احد فصول هذا الكتاب وابوابه ، فقد يكون دورك هدماً للوطن ودفعاً له نحو الهاوية اكبر من اولئك بالفساد و الإفساد ، وتيقّن انه ليس المهم عندى ان تخرج من آخر صفحات الكتاب مقتنعاً بكل ما فيه ، او رافضاً لبعضه ، و لكن يهمنى أولاً و اخيراً ان يَترُكَ فى نفسك أثراً وإجابة لِمنْ مَنْ هو السبب فى ذلك الضياع لتوجه رأيك و جهدك و تضم يدك لمن يبحثون عن كيفية المخرج بعد التآلف و الإلفة و الائتلاف لازالة الاسباب وبدء التعمير و البناء ...

و من بـعـد . . .

(يارب اجعلنى ارى اخطائى قبل ان يراها احد و ينبهنى اليها .. فاذا سبقنى احد الى اكتشاف واحد من اغلاطى لا تجعلنى اغضب بل وسع

صدرى حتى احتمل النقد وأعطنى الشجاعة لاعترف باخطائى ، اضىء راسى بالنور حتى ارى نفسى فى ظلام الغرور ، لا تجعلنى اسد اذنى حتى لا اسمع النصيحة ولا اغلق عينى حتى لا ارى الرأى الآخر . . .

يا رب اجعلنى كبيرا فى خصومتى فلا اضرب واقعا على الارض .. ولا أقاتل من وقع سيفه من يده ولا اهاجم مكمما لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا اتحدى مقيدا بالسلاسل وادعوه للنزال والقتال . .

يارب بارك فى كل خطواتى اذا كانت في طريق الحق ولا تبارك فى خطواتى اذا كانت فى شارع الضلال ، اجعلنى لا اخاف الا انت ولا اهتز الا لصوت مظلوم ، افكر فى الناس قبل ان افكر فى نفسى ادافع عن المظلوم كانني ادافع عن نفسى واقاوم الظالم كانه يظلمنى وحدى . .

يارب ابعد عنى الانانية ولا تجعلنى اتصور اننى اذا اكلت فالناس كلهم اكلوا واذا جعت فالناس كلهم جاعوا بل اجعلنى اشارك الناس فى همومهم ومتاعبهم وعنائهم وعذابهم واحاول ان احتفظ لنفسى وحدى بهمومى ومتاعبى وعنائى وعذابى . . . .

يارب علمنى ان المركز لا يدوم لاحد وان الذى يدوم هو العمل الصالح ، علمنى ان احنى راسى امام الضعفاء وارفع راسى امام الاقوياء ..

علمنى ان الذين قطعت رؤوسهم وهم يقولون الحق لا زالوا على قيد الحياة والذين يخافون من ان يقولوا كلمة الحق يموتون وهم على قيد الحياة . .

يا رب اعطنى الايمان ليكون درعى اذا حاربت وليكون سندى اذا قاومت وليكون ساعدى اذا شلت يدى عن الحركة وليكون قلبى اذا جزعت واعصابى اذا اطربت ونورى اذا اظلمت الدنيا فى وجهى . . .

يارب اجعل الناس تغفر لى اذا اخطأت وتصبر علىّ اذا تخاذلت وترحمنى اذا ضعفت وتطلب لى الرحمة اذا عشت او مت !! . . . .

يا رب اسعدنى برؤية كل الناس سعداء و اشعرنى بحريتى عندما ارى كل الناس احرارا ، ابق نوافذنا مفتوحة ، وقلوبنا مفتوحة ، و احلامنا لبلادنا بلا حدود)) [1]

عبد الرحمن محمد حامد

السعاتة شمبول (دار حامد شمال كردفان)

---

(١) فكرة : مصطفى أمين الشرق الأوسط العدد ٤١٩٩- الاثنين ٤/ ذو القعدة /١٤١٠هـ - ١٩٩٠/٥/٢٨م .

الباب الأول

الشخصـــيــــة الســـودانية

(أ) خــلفيــات :

تكونت الشخصية السودانية كناتج لتلاقح الحضارة الاسلامية و العربيــة ، و الافريقيــة ، والتقــاء العرقــين الزنجي و العربى .. و اكتــسبت مميزاتــها و خصائصها و مقوماتها اعتزازا و شعورا محليا و مزاجاً خاصاً و ذاتاً مميزة .. و نتج عن تلك الثقافات المتباينة و العناصر البشرية المتعددة مُشكِل التوفيــق بينها و صعوبة توحيدها مع المحافظة على بيئاتها المختلفة و تنوعها الثقافى ، ولم يتسنى للقومية السودانية التصدى للتحديث و البحث و الإبداع والانجاز ، مما أبطأ فهمها لمعنى استمرارية الحركة و الإنتاج و الحريـة الفكريـة كمقومات حضارية لازمة لبنية الانسان و تنميته روحا و جسداً . . . .

و ثمة مؤثرات عامة على الشخصية السودانيــة . . . . هى :-

** أثر الافريقية فى الفنون و الاداب و السكن و المــأكل و الحرفــــة . .

** أثر المسيحية فى وجـدان العنصر النــوبى و القبائل الجــنوبــيــة . . .

** و شكل الاسلام عقيدة الاغلبية مع احتفاظها بالعادات و التقاليد المحلية . .

و كان الاثر الاكبر للغة العربية ، لغة الدولة الرسمية و لغـة الكتابـة و العلم .. و هى لــغـــة التخاطب حتى بين قبائل الجنوب مع تعدد لهجاتها المحلـيـة ، بما يعرف " بعربى جوبا " .....

وقد حافظت الحركات الوطنية ، " المهدية و جمعية اللواء الابيض ومؤتمر الخريجين " على الشخصية السودانية ـ من ان ينال منها الغازى و المستعمر مقارنة بما تم فى بعض الامم من إعمال للتزاوج بينهم و بين الغازى ، والمستعمر مما غير تركيبها البشرى و تاريخها الاجتماعى بحكم المصاهرة والمعاشرة و الاختلاط كما هو الحال فى جنوب افريقيا ، وقد عمل الوطنيــون فى الخمسينات وبعدها على إذكاء الوعى السياسى و حاولوا بلورة الشخصية

القومية السودانية بابعادها الوطنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، غير ان عامل الحرب فى الجنوب قبل وبعد اعلان الاستقلال، والتدخل العسكرى وصراع الوطنيين ضده لتاكيد سيادة الامة وتمكين ارادتها، لم يترك مجالاً لمعالم الاصالة القومية ان تستبين ..... ومع تكرار دورة (الديمقرطية-العسكرية) فى حكم السودان لم تتمى الشخصية السودانية قيم الاعتزاز بالـــذات والتاريـخ والاصالة ولم تستيقن ما يتطلبه التنوع العرقى والثقافى من سماحة دينية تستوعب كل الاديان وفق ثقلها المكانى تشريعاً، ولم تحظ بارادة حاكمة صادقة شجاعة شُورِيّة توازن بين العطاء والإيثار، ولا تميل او تجنح للتطرف والعنف والإخضاع .. تعلم وتربى الجيل بهضم ثقافته قبل ثقافة غيره حتى لا تفسد نشأته وتربيته وتعليمه وألفاظه ويتبعها عقله وتفكيره فيصير مظهرا بلا جوهر ... ويحسها وجوداً وهيبة ومثالاً وقدوة حسنة وانموذجا رفيعا، ويدركها معنى ذهنياً يبعده عن الغربة والغيبة والضياع، ويملأ نفسه بحوافز الفعل والعمل الطيب المثمر ....

لكل ذلك فقد وجدت الشخصية السودانية نفسها ذات مميزات متنوعة فيها معنى الغَثْ والثمين، يختلط فيها المظهر بالجوهر ... تقع بين الاصيل والمكتسب، وكل بلا توازن او توافق وبين كل افراط وتفريط ... وبقيت كلها الا ان بعضها عاد معنى يحتفظ به للإفتخار وعظامية الابطال .... وبالرغم من ان البعض يروق له ان يصف الشعب ،نفاقاً وتعصباً او استجداء لصوت او طلباً لاتباع أو تأييد ،بما ليس فيه او بما كان وعفا عليه الزمن، الا اننا لا نستَحْيِ ان نقول كلمة حق تعرض الحال كما هو وان وجدت مرة لا يطيق الكثيرون إبتلاعها، ويفضل اكثرية الآخرين بان توضع فى "كبسولة" او تُحاط بمذاق حلو قبل تقديمها للابتلاع وان لم يكن ذلك فتلف فى "طَرَقَة كِسرَة" ويتبعها جرعة ماء .. ونُصِرُ على عرضها مهما كانت الصورة قاتمة أو واضحة لان حتمية المواجهة تتطلب الشجاعة، وبراعة ونجاح المعالجة تتطلب دقة التشخيص والوقوف على حقيقة المرض ومن بعد الجراحة ان لم تجد جرعة الدواء...

(ب) اجتمـاعيــــات

تمثل الشخصية السودانية مثلا اعلى لقيمة التكافل الاسرى و التراحم والتعاون و البر بالقربى و العشيرة والجيرة . واغاثة الملهوف و حب و تقدير الغريب و تقريبه و رعاية الصغير و الفقير و مساعدة المحتاج و احترام الكبير وتقديم يد العون و المساعدة للعاجز و الضعيف .... (١)

يظهر أثر ذلك في حياتهم اليومية ، بما فى ذلك انسان القرية و المدينة تجسده اكثر مسئوليــة المغتربين نحو ذويهم و ماطرأ عليهم من تغيير فى اسلوب حياتهم او تقديم ما يقوّيهم على مواجهــة تكاليف معيشتهم الدنيوية و الدينية (١) . غير ان تلك الفضيلة و التقليد الحميد تشوبه عند البعض العادات الاستهلاكية و المظهرية الضارة ، و التبذير و الخلط بين معنى الاقتصاد

** (١) الرّجَالـَة : مصطلح اجتماعي يختلف فى مفهومه عند اهل السودان عن دلائل كلمات الرّجولة و الفحُولة والجنس. و ان له معنى متداخلاً متشابكاً لا تعلمه من الكتابة و القراءة مهما اجتهدت وراء ذلك بقدر ما تستبين معناه ان كنت سودانياً ، و تتحسس معناه رقيقاً اذا عشت بالسودان او عاشرت وعايشت سودانيا (داخلتهم) ،.... تتجمع فيه إغاثة الملهُوف وسرعة النجدة والفزع والإغاثة و إزالة الضّيْم و الترَفّع عن الظلم و الصبر علي المعاناة و قوة التحمل فى مقابلة النوائب مهما كان الحال و في كل الاحوال ...و يكون موضع المال فيه بين أمثالهم (القِرِشْ الابيضْ لليوم الأسود – الجاتْ في مالَك سامحتِكْ – وأدّينْ عشان تِتبّينْ) وبين (نعما المال الصالح عند المرء الصالح) ، و يحمل من الصفات الاجتماعية " أخُو إخوان – و جَمَلْ شيِل – و عَشّاىْ ضِيفان ، و رجَلْ حارة ، و مَسّاحْ دموع ، وعَشَا البايتات ، و عايزاك يا علِي الفات الحدُود واسِيهْ) ... و يكفي ان يقول لكل احدهم اعجابا (دا رَاجِلْ جدْ او تَمَامْ و رَاجِلْ ضكرْ و حِمِشْ) لتجد فيه نهراً من الصفات الاجتماعية المحببة غير تحديد النوع و الجنس ... و يزيد بعضهم فيصف الانثى التى تنطبق عليها صفات الرجالة و يقول (دى مره رَاجلَةْ) ... و عكسه تماما عندما يعبر السودانى خيبة أمله الكبيرة فى ذكر او انثى فيقول : (دا رَاجِلْ إضِينَةْ و غَشِيمْ و عَدِيمْ رَجَا أ و دِى مَرَهْ خمْلَـة و خَايبَةْ) ....و يبقى ان نذكر قولنا فى البداية ان للرجالة معنى يتضح بالانتماء و المعاشرة اكثر من البيان و التبين . . . . . .

** (١) ذكر عم ظريق أعجب بما يقوم به بعض المغتربين من دفعٍ لتكاليف الحج لأقاربهم (الحمد لله فى هذا الزمن يناديك المنادى و يرسل ليك الريالات) ...

فى المعيشة و الكرم . حيث يكون الفارق شفافاً كما هو بين الشجاعة والاقدام و الحماقة و التهور ... فاصلاً رقيقاً لا يدركه الكثيرون في ممارستهم لفضيلة الكرم السودانى الأصيل ... و تعتبر الالتزامات الاجتماعية و العائلية واجباً حتى عند العدم ، مما يخلق المعاناة وصعوبة الإيفاء .. فهى عبء يجب الالتزام بحمله لانه عرف مجتمع لا يمكن الإفلات منه او إهماله ... و اللمسة الانسانية السمحة في العيش الجماعى فى القرية و الريف و بين العائلة و العشيرة ، والمفقودة بين كثير من شعوب العالم ،[1] لا موازنة فيها عندنا بين الحياة الفردية الخاصة و مسئولية الحياة الجماعية فكثيرا ما تطغى احدهما على الاخرى مما يحتم ارتهان المجتمع لعاطفية التفكير . . . . . .

و تعتبر الشخصية السودانية عشائرية ، تميل للقبيلة و العشيرة اكثر من فهمها لرحابة الوطن الواسع ، تقبل انصاف الحلول و الترضيات و تلزم عقلية العشائر فى التخاصم و المصالحة [٢] .. ترهن نفسها لصفات و قيم التسامح الموروثة و التى صارت قيدا اجتماعيا لا يمكن الفكاك منه حتى فى تقرير القضايا المصيرية فى حياتها مما اتاح فهما قاصرا ، كأن يفهمها الأخرون سلبية وغفلة يمكن الاختراق منها و استغلالها .....

فإيواء اللاجئين بالرغم من معناه الإنسانى الراقى و بالرغم من انه حقيقة جغرافية اقتضتها ظروف الجوار او الحدود الممتدة ، إلا انها وعن طريق قيمة الكرم و التسامح و حسن الضيافة و مشاركة الغير لدرجة الضرر بالنفس

---

(٢) يفسرها الآخرون اقتصادياً . . .

" إن استمرار ذوى الانتاجية الزراعية المعدومة على العيش يفسر الطبيعة العائلية و الجماعية للاستغلالات الزراعية فأفراد العائلات ، يأكلون فى نفس القدر ، فالذى ليس له انتاجية يأكل من انتاجية فائضة للأفراد المنتجين و نتيجة لهذا الظرف لا يمكن أن يحدث إدخار ، و من ثم لا إستثمار لأن كل ما ينتج يؤكل " . . .

نيركس (مشاكل تكوين رأس المال) ، مطبعة أوكسفورد ١٩٥٣ ، استثمار العمل فى التنمية ... مجلة الوحدة العدد ٦٩ يونيو ١٩٩٠م د/ محى الدين ناصر اللبان ....

(٣) الجُودية ، و مجالس الأجاويد هى مؤتمرات صلح وإصلاح بين الأفراد و العشائر ، يعرفها المجتمع السودانى و يحترم قراراتها و مواثيقها إيماناً بأن الصلح سيّدُ الاحكام . .

والوطن ، نتج عنها خطر كبير على الشخصية السودانية وسبل كسب عيشها ومعيشتها وسلامة وطنها وغزو عاداته وتقاليده واعرافه واخلاقياته وتركيبته البشرية سواء كان ذلك بالاستيطان ، او محاولات السياسيين الحزبيين بمنح اللاجئين الجنسية السودانية لكسب الانتخابات ... او كونه محطة مرحلية في طريق الهجرة يتم الانطلاق منها للشرق او الغرب . . . .

وتعرف الشخصية السودانية لفضيلة الصبر مستويين . على المستوى الفردى تكون سريعة الانفعال وردود الافعال ، وربما مرت بك تجربة فى شوارع المدينة وقيادة السيارات حيث تكثر سرعة الاوصاف بالحيوانية فى سلوك طارئ ، وسرعان ما يكون هدوء الثورة والانفعال بالاعتذار وتهدئة الخواطر بفعل كلمة " معليش " ... ويظهر صبرها على المستوى الجماعى فى قوة التحمل الكبيرة فى مواجهة مرحلة انعدام الحاجيات المعيشية اليومية وبدرجات متفاوتة ولأزمان تطول وتقصر ... كما يظهر بصورة اكثر وضوحا فى الصبر والاحتمال الشديد لممارسات الحكام ، فهى تعلم مواطن الامور وتصبر ترقبا لتحسن الحال ولا تتعامل هنا بردود الافعال .. تعطى الفرصة وتراقب . . لدرجة يصفها البعض بالبلادة والتجاهل .. ثم تنفجر ثورة عنيفة بمقدار صبرها ، ولكنها تعاود الصبر من جديد . وتكمن خطورة هذه الدائرة (صبر ، انفجار ،صبر) اذا سبق مرحلة الصبر يقيناو ترغباً لتغير الحال ، وتوقع المحال ثم لم يكن ذلك فعندئذ يكون الاحباط . . . . .

ولا يهتم اهل السودان بعنصر الزمن فى العمل والإنتاج ، ولكنهم يهتمون به كثيرا عندما ينفذ صبرهم الطويل ويعتبرون دقائق الانتظار سنيناً عندما يستعجلون الإنجاز والإنفراج المعيشى او التغيير السياسى والتفويض الشعبى ، وتحقيق مفهوم التسامح والإجماع رغبة فى المصالحة وبداية الاصلاح ، مما يوقعهم دائما ومنذ الحركة الاستقلالية فى شباك الطائفية والتى اصبحت منهجاً واسلوباً للحكم ، لا يسيطر على الزعامة والرئاسة والوزارة ، بلا اختيار وكفاية فحسب ، ولا تحده وتحرسه مزاجية وسلوك السادة وحقهم فى الإرث السلطوى ولكنها تركزت كقناعة للقاعدة الشعبية ذات الإستعداد الفطرى للتأييد لدرجة الأصرار والتعصب الأعمى ، مهما

تكررت التجارب الحزبيــة و تباعد او تقــارب زمنها . وتمكّنَ منــها داء " الحنين الى الماضى " العضال ، لأنها سرعان ما تميل و تلين امام عاطفية المواقف و الاستجداء و الاغراء و الوعود الجوفاء ... لا تعرف قيمة للزمن ، لا حساباً و لا اطلاعاً او استنارة .... و سيجد من يحاول التغيير ان اكبر معضلة امامه هـى صعوبة انفكاكها عن ماضى تاريخها السياسى و تاييدها العـاطفى وولائها التعصبى .. لدرجة يجعل البعض يعد ذلك من الاستحالـة بمكان بعيد قد يصل للعدم ...

كما تتجاهل الشخصية السودانية الاحساس بالزمن لدرجة يدمن فيها البعض البُعد عن القراءة و الإطلاع و احترام المواعيد [1] .... وبالرغم من ذلك فهى شخصية ناقدة لاذعة بجهل و غرور .... قال يومـــا رفيق دراستى مازحا ، بينما كنت اكتب " انا اعـارضك فى كل ما ذكرت " وهو لا يدرى ماذا اكتب ولكنه يقصد ان يقول " لمن تقرع الأجراس .. لن تجد من يقراه ولكنك تجد من ينتقده دون الإطلاع عليه ، ويعيبه وان لم يسمع عنه او يناقشه مع من قراه لأن الكثيرين من متعلمِى اليوم و جَهلَتِه يجعل مقام الكتاب سكوناً بين القماطر و خزائن الكتب ، و زينة مظهرية تماثل ولا تتعدى مكانة " حافلة " الأوانى المنزلية عند ربات البيوت ..... وهى نظرة قاسية تظلم البعض القليل بالرغم من ما تحمل من واقعيــة ..... وبالرغم من القولـة المتداولـة و التى تجرح وتشفى و تمدح و تذم و اقع المثقف السودانى (يؤلفُ الكتابُ فى القاهرة ، ويطبع فى بيروت ، و يقـــرأ فى الخرطوم) ، اى يَطّـلـعُ من يَطّلِعْ و يقرأ تلقياً .. لا يكتب و لا يبدع و لا يساهم بثقافته فى بناء ثقافة الآخرين .. ان ذلك فقط مدح بما يشبه الذم ...

لقد قال موشى ديان يوماً لقومـــه من اليهود وقد لامـوه على بعض تصريحـات تكشــف عن اطماعهـــم و تطلعـاتهم وقـــد خشـــوا ان يقراها العــرب ويكشفـوا خططهم " اطمئنوا فان العرب لا يقرأون "..

---

(١) من النوادر الإجتماعية الدالة على ظاهرة خلف المواعيد و تجاهلها ان احداً طلب من صديقه أن ينتظره فى المكان المحدد حتى الساعة السابعة ، فما كان من الأخر إلا ان قال وبكل جديّةٍ وتحذير .. سانتظرك حتى الثامنة ، فإن لم تحضر حتى التاسعة فإنى ساذهب فى العاشرة ..

وباهل السودان عمق للتدين الفطرى يبدأ من انعدام العقلية التبريرية للفعل عند السودانى المتدين فى ارتكاب المعاصى ، فهو يفعل الحرام و لكن لا ينكر حرمته ... تجد مثلا من يضع الخمر بجانبه ويرقد إنتظارا لدخول وقت صلاة العشاء ليصلى ثم يبدأ سهرته ... و من ينتهى تدينه عند بداية العزم على تطبيق القوانين الشرعية والتى تلقى معارضة مثل هؤلاء المسلمين الذين يعتبرون ان حياتهم الخاصة ملك لهم وانهم يمارسون سلوكاً يعرفون حرمته فى الشرع ولا ينكرونها ولكنهم يتذرعون ... بانه " غفور رحيم " و تكثر فى عباراتهم تعبيرات التوكل والرضا بالقضاء والقدر والايمان والقناعة ، ولكن تنفصل ممارساتهم بعيدا عن اطار " افعل ولا تفعل " فى الشرع ... امثال هؤلاء قد يملكون الجراة على التصويت سرا ضد قوانين الشريعة فى داخل الاحزاب او فى استفتاء شعبى عام ولكنهم لا يستطيعون اعلان ذلك جهراً امام قواعدهم الشعبية او وسائل الاعلام المختلفة وان علمه منهم وعنهم الاصدقاء ...وهنا يكمن الخطر فى التناقض بين الشّعَار والممارسة ، والفكرة والتطبيق ، وبين اجازة التقنين و إنفاذه والالتزام به . . .

خاصية التدين المظهرى هذه ، و عدم الاحساس باهمية الزمن و طبيعة المواعيد التسويفية ، جميعها جعلت بعض الشعوب تكتب عنا مستهزأة بوصفنا شعب(أى - بى - ام) " انشاء الله -بكرة - معليش " علما بان هذه الحروف الإنجليزية ترمز لأحد نظم الكمبيوتر (الحاسب الالكترونى) بينما ترمز الكلمات عندهم لطبيعة الشخصية السودانية كما طرحت نفسها أمام شعوب العالم .... متدّينة اتكالية قدرية من دون ان تعقل ناقتها او تستجيب لدينها ، تسويفية كسولة لا تهتم بعامل الزمن ، توفيقية تخطىء و تستجيب لتهدأة الخواطر. . . .

والسوداني في داخل وطنه لا يحترم قيمه العمل [1] ، وغير منتج مقارنة

---

(١) يقول بعض المختصين بان الانجليز قد تركوا خدمة مدنية متميزة فى السودان الا ان خاصية (عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب) والتى بدات عند السّودنة هى التى بدأت تدهور الخدمة المدنية فى الجنوب و الشمال ووقع معها الظلم الوظيفى فى تهيئة الفرص و توزيعها ثم انفرط العقد حتى الدمار و الانهيار . . . .

بإنتاج الشعوب الأخرى او بما ينجزه السوداني المهاجر او المغترب في نفس مجال العمل ، حتى صارت الخدمة المدنية في السودان هي الثقل الذي يقعد بالبلاد دون الطفرة في العمل و الانجاز في التنمية ! ! ! و صارت الديوانية والبروقراطية في السودان تعني انتظار المعاش و البحث عن المنفعة الذاتية والمصلحة الشخصية و يستعان على ذلك بالشللية ، مما ادى لظاهرة الانتقام والترصد و التخلص من المنافس و التعاطف و الاستهجان و المؤازرة بتأخير العمل و تعطيله نجد ذلك في كل تجارب التطهير التي تمارسها جهات المسئولية في الخدمة والعمل و الاصلاح الاداري بإرادة الحزب او النظام أو التنظيم، في كل العهود العسكرية و التعددية الحزبية ، لأن معايير الفصل من الخدمة (الفساد و التعويق و القصور الإداري) كثيراً ما تخلط مع رغبة الخلاص من الطابور الخامس و المعارضين ... علما بان فقدان الرغبة في العمل قد تنتج احياناً عن اداء عمل بلا اختيار لطبيعته ، او ممارسته تحت ضغط الحوجة والإضطرار او لظروف عدم التمكن من الاغتراب و الهجرة او عدم الحصول على البديل في الداخل ... والتَسيُّب حيناً له ما يبرره من بحث لزيادة الدخل لأن ضعف المرتب لا يتناسب و ثقل " قُفَّة الخُضار "، وإيجار المنزل . . . . . .

و بالبعض في مجتمع السودان حب لتقليد الغير في السلوك الاجتماعي حتى مرحلة دخول جُحْرِ الضَبّ .. و يرجع ذلك الى ان البعض قد عاش بعضاً من ايام عمره في ديار الغرب في بعثة تعليمية او لمهمة تجارية او سياحة في الارض و ترف و متعة ، فتأثر ثم رجع و قَلّد و تبعه (مُقلّد المُقَلدّين) في مستلزمات الأثاث و التأسيس وطبيعة إستهلاك الطعام ، نوعه و اختيار أوانيه و طريقة تقديمه في الأفراح و المآتم ... و زاد ذلك أثر الإغتراب و كثرة طبقة المليونيرات بعد عهود الفساد المالي و سلطتها ، مما جعل البعض يَغْشَ اسواق باريس و لندن و القاهرة و دول البترول يتصيد ماجَدّ من أثاثٍ للمنازل و المكاتب و المستلزمات الإجتماعية الأسرية الضرورية و المظهرية الكمالية ... و توصل ديناميكا التأثير و التأثر الحضاري لمثل هذه الظاهرة حيث ان (المغلوب يقلد

الغالب في عاداته و تقاليده)[1] .... وقد استعمرنا الانجليز و الاتراك والمصريون تاريخياً بعد المعارك الحربية و عمت مثقفينا الانهزامية الفكرية و الإنبهار الحضارى بالغرب حتى مرحلة " الاناقة "[2] و غلبنا البترول بدولاره و تغيير حال دياره . . .

و بالرغم من الثروة الشعبية المقدرة في التراث الشعبى , وما فيه من صناعات يدوية محلية الا ان مجتمع السودان أهمل تطويرها و ابتعد عن الابتكار فى مجالها . وفَضّل فى كل ذلك ان يكون صدىً لغيره ... و يستعين فيما يحاول تطويره وتاصيله بغيره ، حتى و ان كان ذلك مجال توجيه مسار موسيقاه و صناعاته الشعبية ، مما يغير من نكهتها المحلية و يغير طعم مذاقها و تذوقها و يقلل من شهية الإقبال عليها ... و مادرى القوم ان الثقافة الخاصة و الصفة المميزة للمنتوجات الشعبية و المعارض الفلكلورية و المهرجانات الأدبية و طبيعة وسيلة الاعلام و المجلة و الصحيفة ... هى وسائل توحى بالشخصية المعنية المحددة للاخرين ، و تجبرهم على معرفتها و احترامها والإعتراف بقيمها و البحث عن اثرها و تاثيرها فى حضارة الإنسان و تاريخ مدنيته . . . .

و ساعد على وضوح هذه الصورة التنوع الثقافى و التعدد البيئى ، الذى جعل منه مجتمع السودان عاملا للتضاد و التضارب السياسى و من ثَمّ الفُرقة و التفرقة ، و كان من المؤمل ان يكون عاملاً للتنوع وتعدد الانتاج فى كل مجال مما جعل البعض فى الشمال و الجنوب منفصلا عن ذاته اجتماعياً ما ان يجذب ثوبه ليغطى راسه حتى تتكشف قدماه .... الجنوبى فى علاقاته الاجتماعية و اسلوبه المعيشى افريقياً داخل مسكنه بَيْدَ أنه غربيُّ السلوك مظهراً و تحدثاً ، و الشمالى يدعى الاصالة السودانية و الانتماء الإسلامى العربى و تكوينه الداخلى غربى يلتصق بمظاهر الحضارة الغربية

---

(١) ابن خلدون

(٢) مرحلة الاعتزاز و القناعة و التفوق على ظاهرة الخوف من التعبير عن الحال كما هو ، اى مرحلة (نعم نحن هكذا ولا يهم ما يقوله عنا الغير) ... و هى ظاهرة ثقافية حضارية . . . . . .

و يعايشها اكثر من الجنوبى ... يهاجر اليها و يقضى اجازته في ديارها ومظهر مسكنه اقرب إليها .. إنها محـنة الانتماء و هجرة البحث عن الذات فى غيبة الوعي و انبهاره . . . .

و تمتاز الشخصية السودانية بحب إستطلاع جارف لمعرفة اخبار الغير و طبيعة حياته .. حتى إن اوردها ذلك الهلاك و عرضها للمخاطر ، مما جعلها تفهم كثيرا في شئون العالم السياسية و حياة مجتمعاته لدرجة تذهل بعض الشعوب التى لا تحتوى مقرراتها الدراسية على جغرافية و تاريخ الشعوب الاخرى[1] ، ... و يمتد مدى حب الاستطلاع هذا عند البعض ليصل مرحلة " خَشْر الأنف " و ادخاله في شئون الاخرين حتى الخاص منها .. و يزيد لمرحلة المتابعة و الترصد و التحدث عن قول الغير و افعاله لدرجة تلهى البعض عن عيوب النفس و امراضها وبالرغم من ما توفره هذه الخاصية من جمع للمعلومات و تَمكُّنٍ منها و من توزيعها بين الاخرين ، الا ان شخصية السودانى تقف مزجورة بطبيعة تركيبها الشخصى الداخلى فتتمنع عن بذل المعلومات و الادلاء بها شهادة لادانة فاسد او تعزيز تهمة ضده ، بالرغم من معرفتها التامة حتى لادق تفاصيل حياته و عمله . . .

و ثالثة الأثافى . . . .

بالرغم من ان بعض الشعوب قد افسدها المستعمر و الغزو الاجنبى حتى درجة تغيير تركيبتها البشرية ، الا ان ذلك لم يحدث فى السودان لأن السودانى كان يحترم العفة و الشرف ، و العزة و الكرامة ، ولا يساوم فيها بالرغم من معاقرته للخمور البلدية لا من اجل الشرب و انما حتى مرحلة الثّمالة ، و بالرغم من وجود الخَمّارات وبيوت الرذيلة كحى معلوم مُمَيّزٍ فى كل مدينة و شبه مدينة ... **كان ذلك فى ايام خاليات** .... وكان و لازال امر الزنا كجريمة اجتماعيــة ، تحمله الانثى فى السودان باعتبارها ساقطاً هابطاً بفعله ، و الذكر الشريك ذنبه ، مغفور لا ينال رضا المجتمع ولكنه يسكت و يميل عنه بصره ... و صارت الرذيلة اليوم سراً دفيناً لا يستبينه الا

---

[1] يجمعها الكثيرون من الاستماع للاذاعات الخارجية ولَقَطْ المجالس . . .

العاملـون فى الترحيل و التسفير وفن .. التعـاقـد و التهجير .. من الاجانب و الوطنيين ، و يعلم ذلك جيدا من يعمل في مجال الأمن و المباحث و ذوى العلاقة بالطيران و البحار والأسفار ،مما أضطر بعض ولاة الامور للأكل مما لا يعلم مصدره .. ويرى من تقع عليه مسئوليتة يلبس ما لا يتساوى و دخله

و دخل ولي الامر و يصمت ... و لم يعد (تموت الحَرّة و لا تَأكل بثدييَهْا) ... تلك الحرة هى المرأة السودانية التى تفجرت من قبل فى الريف و المدائن و البوادى طاقة و عِفّةً و حركة و مشاركة و عملاً فى خارج المنزل ، ورعايـة و تنشئـة و أمومـة في داخلـه .. فهل يستوى المصيـران ؟ ! ... وانتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات بين الشباب ، طـاقـة الإنتاج وامل الغد من كل ما يحقـن او يُشَمّ [1]... ما يُبلَع او يُدَخّن ... و كلـها ادوات دمـار ، وتدمير بتعطيل انتاجٍ او إفشاء امراض ... و لكن الخطر الأكبر عندنا هو تعاطى الحشيش (البَنقو) . لان هذا ينتج محليا ، بزراعته في غرب جنوب دارفور و مناطق الجنوب ، و مناطق النيل الازرق الدمازين و منطقـة جنوب القضـارف ..و يكفى ان تنظر لعيون شباب القرى بتلك المناطق او بصمات أصابعهم لتعرف الأثر و تتبين الانتشـار .. مثلهم مثل مرتادى الأركان المظلمة فى الاحياء المختلفة ، و شواطىء النيل ، و حدائـقه و رحلـه من شبـاب المـدن و بعض الارياف البعيدة عن اماكن الانتاج ... ذكوراً و إناثاً و يصحبهم احيانا بعض الرواد الكبار . . . . تلك مناطق إلْتِمَاس فى تركيبـة الفرد السوداني يعتبرها البعض مناطق " تَابُو " ممنوع اليها و منها العبـور ، او المرور أو الاقتراب أو التصوير ... و لكننا فَضّلْنا صـراحـة التعبير لاننا نخشى ان يزيد الامر و يـستفحل الداء فيتعـدى درجة الانحراف لمرحلـة الإنفـلات ، و يـومئذ سيكـون من الصعب على من يهمـه الأمـر التمكن مـن الإحاطـة و التسوير ، و تنتشر العدوى و تعم البلوى لاننا نعرف معنى الطهارة و اهميتها ... مكانا و بدناً و ثياباً ... و مع ذلك نتغوط و نتبول وقوفاً بجانب اسوار

---

(١) جاء فى تصريح لوزيرة الشئون الاجتماعية فى الحزبية الثالثة رشيدة عبد الكريم (أمة) .. " أن ٣٠٪ من طلبة المدارس و الشباب يتعاطون المخدرات " . . . .

المنازل و المساجد و الاماكن العامة ، ووسط الطرقات ، و لا نمسك بأيدينا اباريق الاستنجاء و الاستبراء ، وكثيراً ما نجهل ونتجاهل معنى الحياء و الاستحياء ... و نعتبره كأنه ليس من الإيمان ....

(ج) سياسيات

لم يسبق تطبيق الديمقراطية الليبرالية في مجتمع السودان محاولة لتطويعها مع خصائص شخصيته ، و ملامح مجتمعها و تكوينها الحضاري و البيئي و طبيعة سلوكها الإجتماعي ... وقد القى البعض اللائمة على من قادوا دنيا السياسة بعد الإستقلال ، بأن الامر لم يكن لديهم قضية تبعية سياسية او ضعف في الحماس الوطني بقدر ما هو انعدام للبعد الفكري لفهم شروط نهضة شعبٍ بدون الأخذ بقيمه و تاريخه .....

ان الدمج بين قيمة الاصالة في شعب و بين مقتضيات العصر هي ضمان البقاء للأنظمة و تمكنها في نفوس الجماهير بقدر اكبر مما يفعله الإنجاز المادي مع الاكراه ، او الشورى السلبية التي لا نجد فيها أثراً لقناعة الشعب بالمشاركة و الإختيار و ممارسة حقه في إبداء الرأي و امكانية التغيير ... و إلا فان أي سلطة او حكومة تظل في ذهن الشعب غير شرعية ... و يستمر بحثه عن ضالته الحرية و يكون الامر اكثر تعقيدا عند أمّة تتناول السياسة بالفطرة و المبالغة و الإثارة و الإشاعة و الولاء التعصبي و ملأ للفراغ و تعتبرها مدخلاً للمغالطات و الخصومات السياسية الشخصية دون الوطن ، و يندر بينها من يتناولها بالعلم و الكفاية و المقدرة و الحس الوطني الصادق و يكثر بينها تاريخ الحاكم الجاهل لواقع تاريخها الإجتماعي معايشة مما يجعل رجل الشارع السوداني المحكوم يفوقه وعياً اجتماعياً بواقعه ، و لعل ذلك هو السر في ان ارادة شعب السودان في الثورة و التغيير ليس مشروطا ان تسبقها توعية ضد فكرة استحالة التغيير ووضع الامل لامكانيتها .. في رجب ١٩٨٥م تجاهل الشعب تماماً الإجابة علي سؤال ما هو البديل ؟ ! تماماً كما علم خيبة امله من ظن نزاهة جعفر نميري شخصيا و رمى بالجريرة

فى الفساد لمن حوله .... ولكنه يعاب بأنه شعب وُجْدَانىٌ، عاطفى السياسة ، كثير النسيان، وملَول ومُحِبٌ للتغيير .. وهو لا يصبر على معاناة التغيير التدريجى، ولا يقبل متطلبات التغيير الثورى ويصبح ويمسى مطالباً مستعجلا للإصلاح، ولا يصبر على متطلبات عدالته ، ولا يتحمل تبعات سرعة إنفاذه

لأن التكوين الشخصى للسودانى كما سلف ذكره، يمنعه من الإدلاء بالمعلومات، وتقديم الشهادة والمستندات التى يمكن ان تدين غيره من الفاسدين، وتعزز موقف من يحاول رد حقوق الشعب منه ... [1] انها شخصية معقدة صعبة الإرضاء السياسى، لذا تكمن المعاناة فى قيادتها، ومن يتقدم لذلك عليه ان يكون زاده صبراً طويلاً، ومعاناة اطول، وقسوة ونكران فضل اثرةً وانانيةً .. وتحطيماً وهدماً يلقاهما ، ممن لا يعمل ويسوءه ان يعمل الاخرون . . . . . .

هذه التركيبة السياسية المعقدة جعلت البعض يصف الشخصية السودانية بأنها منافقة ومتملقة، وعاطفية تعجبها العقلية الادارية الانجليزية، وبطولة الخريجين الاوائل لذا تقف مع الديمقراطية، وسرعان ما تفقد امل الخير والبناء فيها فتَنْشدُ فرحة الإخلاص والخلاص وأمل الإنقاذ فى العسكر .. البعض مع كل حكومة ... والبعض ضد كل تغيير، وهنالك محتارون، وقليل من يتبصر طريقه وسط هؤلاء ليسير . . .

فلاعجب ان تقدم لحكم شعب مثل هذا سياسيون فَهْلَوِيّون سَمَعِيّون سَطْحيون ، يجهلون تماماً ويغيب عنهم دائماً الثابت والمتطور فى دنيا مُسَايسَةِ الشعوب، وفاقد الشيء لا يعطيه ... تملأهم الطبيعة التآمرية فى السياسة، وتخطى الرقاب، ويعرفون " التخريم " فى الوصول للهدف ويجيدون

---

(١) وسرعان ما يتعاطف معه بعد محاكمته، بل يستنكر دائما ويستهجن ما يمارسه البعض من كتابة وحديث بعد حكم القضاء والعدالة على المحكوم، حتى وان كان ذلك حقيقة ولا يحمل اى مهاترات، خاصة ان كان الحكم اعداماً حيث تبلغ به الحساسية وشفافية العاطفة حَداً يغلف به خوفه من أن يقود الكلام الى إثارة الاحقاد والكراهية والنعرات القبلية عند من يقدم الولاء للدم على الولاء للوطن ....

فن اللف و الدوران و المرواغة فى الوصول لبروج السلطة ... ولا ينتظرون و لا يرغبون ولا يصبرون على نضوج نظرية الحكم و الإتفاق على البرامج ، حتى وان كان دورهم فقط حضور الجلسات و رفع الأصابع إذا رفعها الأمير .... يحزنهم أن تؤول فرصة القيادة للشباب حسب الكفايات .... و يصفقون رضاءً عند تقريب الأقارب و الأصدقاء و المحاسيب . . . .

ان عهد السلطة المطلقة ، و الممارسة الحزبية و صحافتها أورثت الصدور الحقد و الكراهية و ركزت النعرات العنصرية ... فقد كان الناس " يتراشقون " بالكلمات المازحة الجارحة الشافية تحت اقبية البرلمان ، و بين أعمدة الصحف ثم يشاركون بعضهم و جبة الغداء و فنجان الشاى فى فترات الراحة و الاستجمام ... و يتداول الناس حديثهم ضحكاً وتسلية وهم يعلمون او لا يعلمون أنها قد أدت الغرض السياسى منها عند من اطلقها او دونها . و اليوم بات الناس يعارضون " بالكاراتيه " و الكلاشنكوف ، ولا يحصد الناس الا خراباً و دماراً ، يحصدون رخيص العبارات و القول ، و نتن العورات الشخصية ، كما كان الحال فى اذاعة التمرد وبعض مضمون صحف الأحزاب و الافراد فى الديمقراطية الثالثة . . . .

و تفشت الوساطات و المحسوبيات و الشللية ، و عم الإحباط بقيادة الأضعف للاكفأ الاقوى ، وضاعت معانى التشريف و التكريم ليجدها من لا يستحق ليموت حافز الاجتهاد و العمل عند الآخرين ... يوم قوانين الشريعة طلب ولاة الأمر الطهارة و الإلتزام ، بينما ظلوا قيادة فاسدة تغيب عنها الحالة النفسية و درجة الإحباط التى يمكن ان يلقاها مواطن كان يعتقد طهارة القيادة فإذا هى خلاف ما يظنه بها ... عندها يتزعزع ايمانه بالقدوة و المثال ، و يفقد الثقة فيها و بغيرها مهما كان نوعها ، بإعتقاده (إنّ أمْ الكلب بَعَشُوم) (١) مما يعَقّد امر الحكم ويصعب اعادة الثقة فى السلطان . . .

ان النفاق الاجتماعى و السياسى الذى تربت عليه هذه الاجيال سيمكث أثره لعدة سنين فى ممارسة السلطة و الحكم تزييفاً و تحريفاً ، و جرياً وراء

---

(١) حيوان بـرى ثدي ذو ناب ، يعيش متوحشاً فى بيئته ، وبه شـبه كامل للكلب . . .

فاسد المال رشوة ًوكسباً ... وسيكون طلب المنفعة الشخصية وتأمين الحال في كل الصفوف مهما تنوعت اسماؤها وحدات اساسية وتجمعات حزبية او لجان شعبية .. لان بعض العائلات بدأت توزع اعضاءها على عهود الحكم المختلفة وعلى الاحزاب والمنظمات، واجهزة الأمن ومواقع تقديم الخدمات للمحافظة على استمرارية كيانها، وحفظ حقوقها المعيشية والامنية . وتوفر بعضهم لقادم الازمان والحكومات . . . . .

ان عشق الشخصية السودانية وحبها للحرية جعلها توَقّرُ من ينادي بها، وافسحت له مكاناً في وجدانها وعاطفتها، وتعصبت لتأييده حتى اصيبت بالعمى السياسي باعتقادها الديمقراطية ممارسة بالكلام والنقد والكتابة ... ولم تدرك ان الديمقراطية عمل وتقييم لحزب البرامج والأهداف، لتحقيق العدالة الاجتماعية والاستجابة لارادة الجماهير الاصيلة، ومن غير ان تعى ان الوعى بضرورة الديمقراطية يمر عبر الوعى باصول الاستبداد والإستغلال ومرتكزاتهما.... ولم تعِ بعد أن مبدأ الإنتخابَ يتيح تبادل السلطة ويُعين السُلطة على تنفيذ أهداف القوة الفائزة، حتى لا يصبح البقاء فى السلطة هدفاً تُسَخَّر من أجله مؤسسات الدولة وإمكانياتها . . . . .

(د) تشويهات

ما الذى طرأ على ملامح وصفات الشخصية السودانية ، وحوّلها عن قيمها الأصولية الثابتة الموروثة فى تاريخها وعقيدة مجتمعاتها ، لتصير شعباً نفعياً يجرى وراء آنى المصالح من افراد مجتمعها ومن المجتمعات الاخرى . . . شخصية غير منتجة ، مُعقّدة وصعبة الإرضاء السياسى .... ضعيفة الحس الوطنى ... سهلة الإختراق الفكرى .... نادرة الأمانة كثيرة النصب والاحتيال .... ضعيفة المناعة الثقافية . . . .

تعيش مرحلة " اللاتوازن " ومتأرجحة بين الطيبة والسماحة واللامبالاة . . . تغالب مشاعر شتى . . . .

الرجاء، الأمل ، الفزع ، الوجل ، الخوف ، والشك ... وتُقيّم الإنسان مظهراً ومتجراً . . . مركباً ومسكناً ، وتجعل كل قيمته المنصب والثراء والمال

... تؤيد بلا وعى وتصحب السلطة بلا قناعة او أيمان ...

فهل يستيقظ الأمل ؟؟!!......

ربما، فان القيمة لا تتغير، ولكن يتغير الانسان بالاستجابة لها سلوكاً او الابتعاد عنها رفضاً... ويمكن ان يغَيِّر الانسان سلوكه المتجمد هذا بالخير، وإعمَال الفعل فيتحرك بركةً ونماءً ...

انه أثر السلطة ......

إنه أثر الغربة والهجرة، والإبتعاد عن الوطن ......

إنه فعل الفرد والمجتمع وخلَقُ التَقَرّب من السلطان .....

(أ) كانـت السلطـة ....

اضاعت الحكومات هيبة الدولة ومعناها، عندما باتت السلطة بلا حول ولا ارادة ولا قدرة، ففقدت مكانتها فى نفوس المواطن وتقديره، وجعلت من المواطنين شعبا متملقا منافقا وصولياً نفعياً، يفكر فى نفسه وينسى غيره ووطنه ... وعُرف مستخدموها بالمحسوبية والرشاوى والاختلاسات، واباحة المال العام مما افسد تركيبة الانسان وشخصيته ... وعَمّ النفاق السياسى والاجتماعى والافساد واهدار المال العام وخربت الذمم ... وصار الكذب اصوليا حتى فى المستندات والاوراق الثبوتية، للحصول على التموين والقطع السكنية والأراضى الزراعية وتزوير عضوية وكمية التعاونيات، واحتكار العمل فيها لفئة معَيّنة محدودة تسرق فيها وتُزَورّ .. صار كل ذلك عرفاً اجتماعياً ممارساً ويلقى الرِضى والإستحسان ... وافسدت كثيراً من القيم واخافت المواطن واسكنته الكبت بالممارسات القمعية لأجهزة الأمن والقهر وزرع المنتفعين والمتعاونين، وجعلته متردداً بين المعارضة والتأييد فى أمـر عقيدتـه ومتشككا فى امكانية انفاذ شرعها، وتحديد وضعها ان كانت عقيدة للأقلية وغيبت عنه طبيعة التسامح فى التعايش بين الاديان .

(ب) وكـــان الاغتـــراب ....

ولزَمَ البعض الحديث عن بلاد الوفرة وتحقيق المستحيل، يصاب بالدهشة ويعيش الانبهار. حال من عاش العدم ولمس بيده المال، وبات شارد

الذهن لا يتذكر كيف كان الحال ... يقتنع بان النجاح مرتبط بالبعد عن ارض الوطن وليس بالإرتباط بها وحبها ويمتلكه شعور الانفصام الوطنى و أنفصال الولاء حتى مرحلة التمرد على قرار الوطن ، فيقشعرُ بدنه وجيبه خيفة ويرتجف قلبه خشيَة أن تنقطع عُرَى غربته ومادته فيؤثرهما على حملِ تبعات الولاء والصمود ... انها معادلة صعبة ... هناك فى ديار الغربة الوفرة و العائد الوفير ، ووجود النفس فيما تؤدى من عمل ، و شعور بالرضاء و الإحساس بنفع الغير و اهمية الوجود ... و هنا لا شئ من كل ذلك ... من الصعوبة ان تدافع عن موقفك و تقنعه بان الخير ينتظره فى البلاد لانه ... يملك إكسيراً ملموساً يضعه أمامك و بيده الدليل ... و لكن الخطر يَكْمُنُ فى استمراء هذا الحال والسكون لتخدير مسحة الأمل والإستغراق فى عائد العمل ، وقليلاً قليلاً يأتى طور الإنفلات عن الجذور ، ويعقبه قرار الإستقرار و الهجرة عن الوطن و غربة الوجدان و مسلسل البحث عن الذات ، و صعوبة العودة للجذور . و هنالك من يتعلق بحبال الوهم وهو يحاول حلّ مشاكل السودان وتحليلها بمفاهيم ما غشى من الديار مغتربا او مهاجراً ، تلك حالات يمكن معالجتها و الرجوع عنها ، ولكن الأدهى و الأمر ان بعض المغتربين ألحق تشوهات بالقيم ال... ردانية حيث ذهب ، وبمفهوم لها كان يعيش هادئاً فى اذهان العرب و العجم ... الشهامة ، الأمانة العزّة الإلفة و الكرامة والنزاهة و الشرف و حب العمل و العفة و إحترام قوانين وعُرف و تقاليد البلد المُضيف ... فسادت ذلك المفهوم غشاوة و أظلته سحابة من الشك و التشويش والتعتيم ، عندما اتخذ البعض من السرقة و التزوير وقد (أئتمنه الغير) ، طريقاً سريعاً للثراء و (تكبير التَحْويشة) ... و أمتهن البعض المتاجرة بالشرف و ممارسة " القَوادة " فكأنّما هجرته كانت للمتاجرة بالمخدرات والخمور و بيع الرذائل و تزوير الوثائق و المستندات ، و بالرغم من ذلك يظهر فى داخل البلاد يجرجر ذيل عمامته و يلقاه البعض بالترحاب ، حتى و ان علم مصدر امواله و نتانة نعمته .....

(جـ) و كـــان الإقـتـــراب . . . . ــــ

من السلطة في الداخل ، عندما هُددت المصالح ، كما فعل البعض في بداية العهد المايوي ... خافوا من ان تؤمم و تصادر ممتلكاتهم فسجلوها باسماء من لا يُشك في ولائهم من المريدين و التابعين .... ليرجع عنها التابع والمريد بعقد يحفظ لأوانه بيد المالك الحقيقي . . . . . .

• كما ارتضى الجميع سلطة الحزب الواحد ، وانتموا اليه ...مصالحة لندن و بورتسودان ، و الجبهة الوطنية التقدمية ، و مشاركة الحركة الاسلامية ، وإتفاقية اديس ابابا ... و فيما بين أولئك كل من لـه كل ناقة و جمل فيما لحق بالسودان . . . .

وكانت الإمامة فكرة متخمرة في عقول المبايعين .. عند الاخوان المرشد المُبايع و عند الطائفية و الصوفية طاعة الشيخ و فناء المريد ، و الامامة عند الأنصار وعند الختمية الخليفة و المرشد و الزعيم ، و كانوا جميعا على الوطن يداً واحدة في اطالة عمر السلطان و استمرار التخريب و إلحاق الدمار ...

(هـ) مـعـــالـجـــــات

(١) ان توجـه السياســات التربوية والمناهج التعليمية عقول الشباب ليكونـوا صادقين مع انفسهم، و فيين لأمتهم مدركين لأصالتهم منتمين لحضارتهم مـؤمنين بهويتهم ... ذلك بادخال مادة الحفاظ على البيئـة [(١)] ، و المـواد التـي تربي الحس الوطني والوعي الاجتماعي و الترابط الجماعي و نكران الذات و الإيثار والتفاني في خدمة الغير ، في كل مراحل التعليم ، لأن الدراســة تركز المعنى لدى من يمتلكه ، و تنبه اليــه الغافل عنه ، و تجعـل كل منهما يقف على نظرة

---

(١) يقول السيد فضل الله الصائم – نائب المدير العام للإرصاد الجوي .. (١٩٩٠)..

" إنه من الأجدى لمحاربة زحف الصحراء من الشمال العمل على إعادة بناء المظلة الشجرية من الجنوب و إمتدادها شمالاً" ، و هذا عكس الفكرة السائدة الآن وهي التشجير في الشمال و أقل تكلفه منها لأن مستوى الأمطار من الجنوب ما زال حسناً" .. أي أن زحف الصحراء من الشمال لن يوقفه أو يقاومه إلا زحف المظلة الشجرية في الجنوب ..) ...

المجتمع و تقييمه للمفاهيم التربوية و اهميتها . لأن جيل اليوم يجهل الكثير عن تاريخ بلاده السياسى و الاجتماعى وهو ليس على استعداد لإن يجلس ويصبر و يستمع لذوى التجربة و المعرفة من معاصريه و لا يستطيع حتى ان يستنتج ذلك من سلوكهم و أسلوب حياتهم مقارنة بنفسه .
(٢) ان يضع المجتمع حداً فاصلاً بين النجاح و الفشل فى شبابه ،ببذر روح الاخلاص و الطموح و الحماس ، واتاحة الفرص للعمل و المشاركة لتتمكن منه روح المبادرة و الإبداع والإبتكار وتتضح امامه الرؤى المستقبلية لما يرغب ان يكون عليه وطنه ...وخاصة قطاع الشباب والرياضة والفن لأن مسيرة الإصلاح والتنمية تبدأ من المواطن الصالح ، ذى التربية الوطنية و النشاة الصالحة ، والقدوة الصادقة الصابرة ... علماً بأن وزارة الشباب والرياضة قد أنشئت لأول مرة فى السودان فى مطلع السبعينات ، ايام سلطة اليسار و سطوته ، ثم ورثها المايويون .... كل ذلك يحتم تركيز جرعة الإهتمام و تحسين بذور حب الأوطان ، و خلق التجرد و خدمة الوطن بعيداً عن الذات و الغرض . . . .
(٣) اذابه الفجوة المكانية لكبر المساحة ، و سوء المواصلات و الإتصالات باقامة البَنى الأساسية ليتم الانصهار المرحلى التدريجى بين المجموعات البشرية المحلية ، وبذر السلام و المحبة ، ونبذ العنصرية لملء الفجوة الثقافية ولمواجهة هموم الوطن المتمثلة فى تحديد الهوية ، وحرب الجنوب ومشاكل الأمن و الاستقرار ، وتقوية البناء الادارى ، والمشكل الأمنى والإستقرار وتقوية البناء الادارى و المشكل الاقتصادى لتتم نفاذية التقنين .. وحتى ينشأ جيل سودانى أصيل يُسَيِّر قطار التنمية بحرية ومسئولية ، ويحافظ على اصل قيَمه ويُسَوْدِن ارادة وحرية قراره ، ويحافظ على هويته الحضارية من ان تسقط بين أنياب تآمر الدول . . . . .
(٤) بالرغم من ان تكرار التجارب وتنوع السلطة يشحذ الذهن فى طريق البحث عن المثال ، ويقوى معانى التحدى ، إلا ان تكرار محاولات التغيير من اجل الغيرة السياسية و (لأن يكون ما كان بيدى) و من اجل المكاسب

---

(١) بروفسير العاقب ... السودان الحديث ١٥/سبتمبر ١٩٩٠م ...

السياسية والخداع لن يزيد الشعب الا فرقة و شتاتاً . ولا نجد مبرراً ابداً لرفض القوانين الاسلامية بحجة التجربة النميرية ولجوئه إليها مضطراً ، وركونه إليها سياسةً لضمان الإستمرارية في الحكم ، لانها تمثل ضمير اغلبية شعب السودان ... لأن الاغلبية الحزبية المسلمة كانت ترى فيها ذلك [1] ولأنها جزء من اصالة شعب السودان لن يتخلى عنها وان تخلت عنها البرلمانات ... فالعضوية كالزعامة زائلة و القاعدة باقية لتحدد من يمثلها ... غير ان الديمقراطية الليبرالية الغربية في ديارها تُحِلُ الحرام ، و تُحرِّم الحلال بالاغلبية فهي مثلا تجيز اباحة الاجهاض و الشذوذ الجنسي سحاقاً ولواطاً .... وتبيح الإنتحار لمن يرغب في الانسحاب من الحياة بدافع الرحمة بين يدي الطبيب ... وكل هذا لا يمكن أن يجاز بالأغلبية في برلمانات شعب السودان .... إذاً يبقى ان يستمر البحث الصَّبُور عن المثال الوطني الشوري الذي يجمع بين الحداثة و الأصالة ، ليكون نظاماً ديمقراطياً شعبياً يتولى عملية الحكم وإدارة البلاد بعد تحديد الدولة وَوِفْقَ دستورها..

(٥) اذا فقدت الأمة ذاكرتها فانها تصاب بآفة التخبط ، وتهتدي لمسالك الضلال ، و لا تلتفت لعبرة او موعظة . و تفقد حاسة التصور المتوازن للأهداف ، بعيدها و قريبها ، ولا تعرف وسيلة اليها ... وكذلك يكون الفرد قبل الأمة ... فكيف يكون حال شعب بلا ذاكرة و لا يتعظ بماضي تاريخه وينفصل عن حاضره ... ألا ينبغي له ان يقف مناديا جمعه ان تعالوا ندعو شتاتنا و شتاتكم . جنوبنا و شمالكم ، ثم نتحد و نحاول الاهتداء للطريق ... انا نستيقن ان لا مكان لنا في عالم اليوم الا بالانتاج و العمل ونبيت ندعو للاضرابات والمظاهرات ... ثم نَقعُد نَتَجَشّأَ ونَتَقَيّأَ حسراتنا ، و نَعَضُّ أناملنا وشفاهنا غَبْناً و حَيْرةً ... ثُمّ نَنْسى ، و نغشى مجالس المغالطات السياسية ... نعرف ان العمل عبادة و شرف وقيمة بشرية عليا ، و يكون ذلك محور حديثنا في مجالس الأنس و السمر و المنادمة و يكون

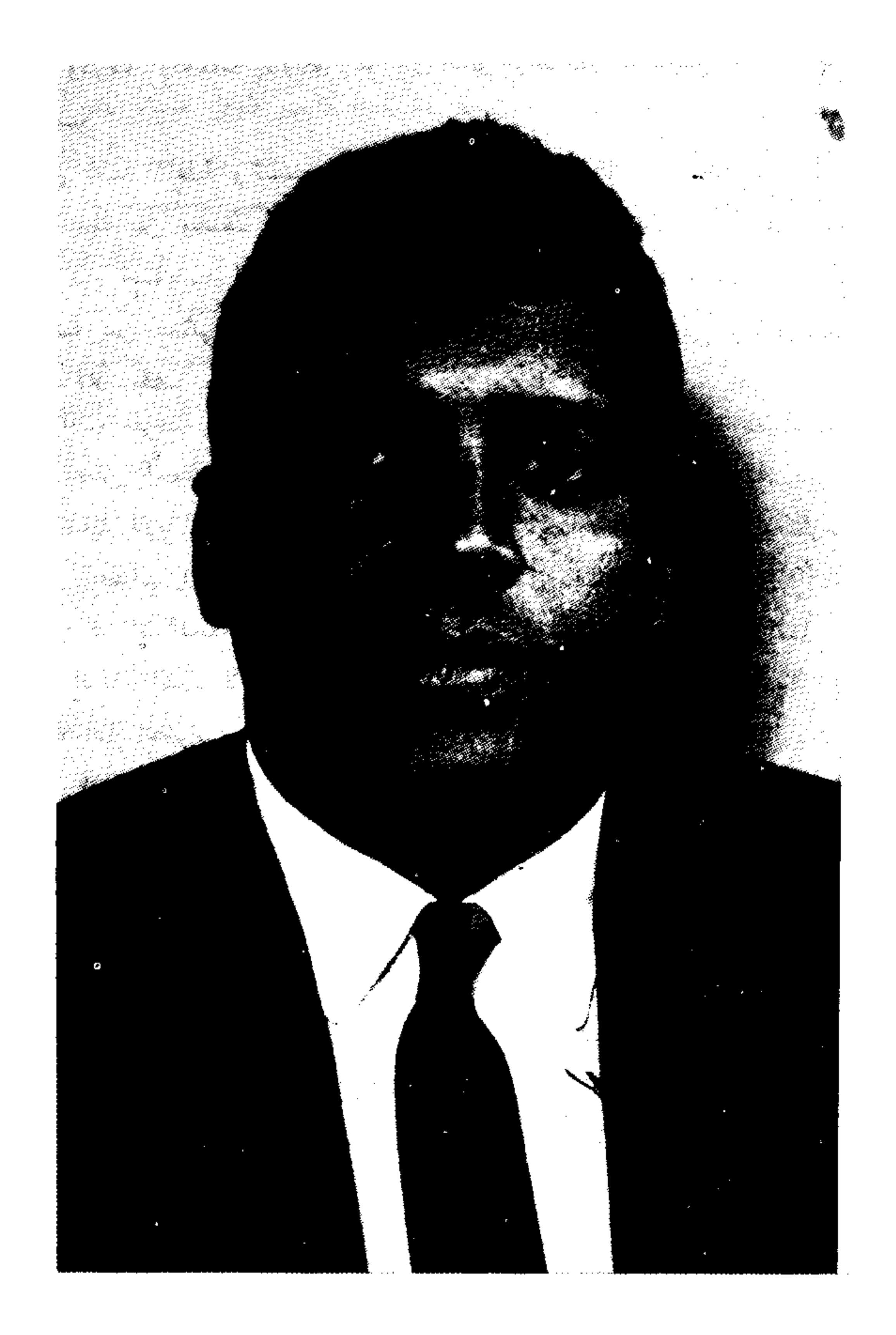
---

(١) الجمهورية الاسلامية (الأتحادي الديمقراطي) ، ونهج الصحوة (الامة) ، وميثاق السودان (الجبهة الاسلامية القومية) ......

دينننا حركة ويقظة في ديار الغربة والهجرة، ويكون حالنا خمولاً وكسلاً وقعوداً فى ديارنا ، نترفع عن اعمال فى وطننا ونؤديها فى غربتنا طوعاً وكرهاً وأحيانا نؤدى ما هو أدنى واقل من كفايتنا ومؤهلاتنا الوظيفيه والمهنية ....

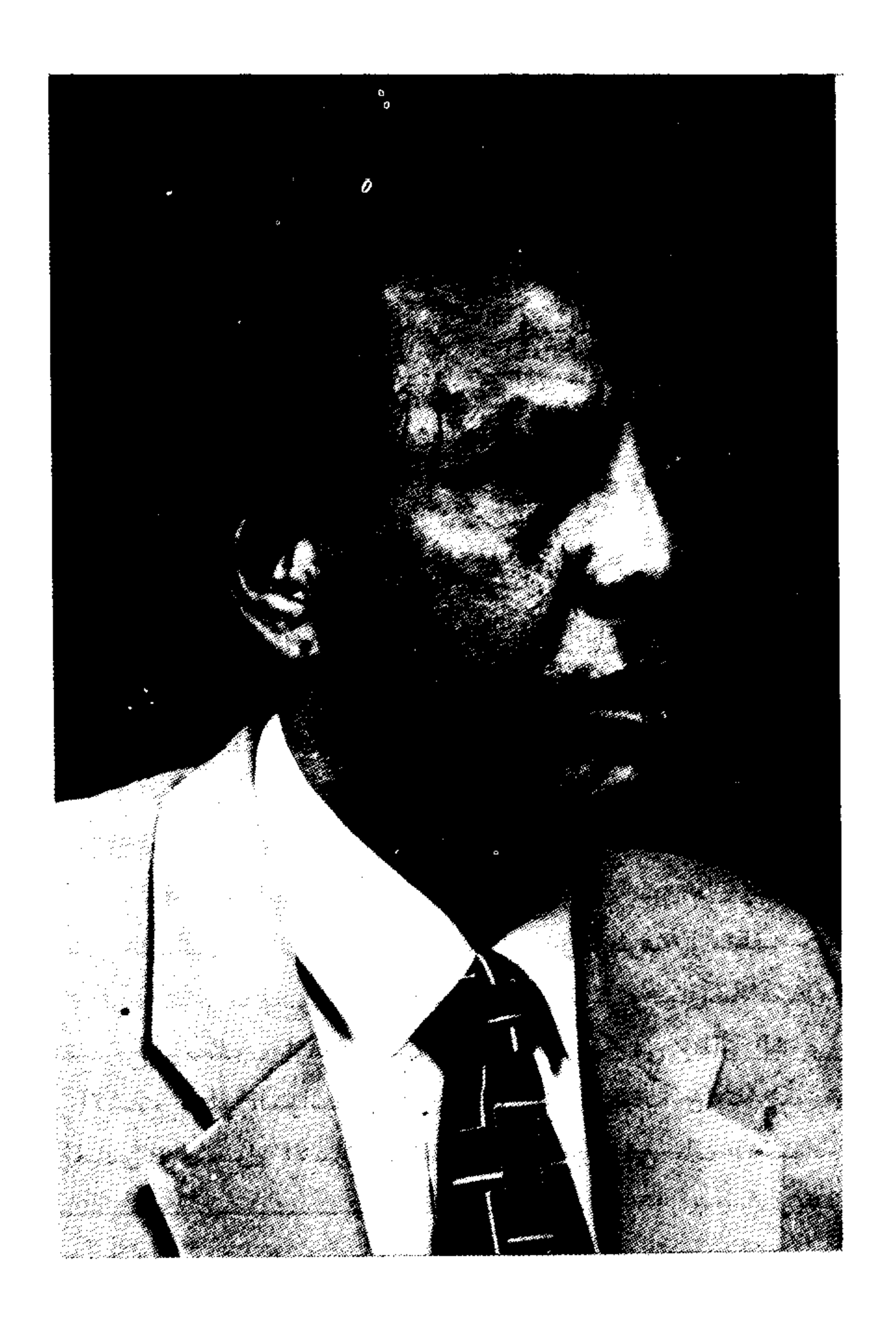
(٦) نحن أمة غافلة وتنسى كثيرا ، ويصعب عليها ان تتعظ ....

منّا من وصف الشعب بما لا يحق إلا وصف الله به ، فَزلّ ووقع ... ومنّا من أسقطه الله من مدرج مسجد بناه متلفزاً بالصورة واللون أمام ضيوفه من ممثلى العالم . ومنّا من رأى مناماً قبة لولَيّ يسقط سقفها على راسه فلا يقف مُعْتبراً ويتمادى فى إدعاء عدالته ... وفى عز المجاعة يبتلى الله مدينة الأبيض يوليو (١٩٨٥) بأمطار مصحوبة بعواصف ثلجية تُخرّب بعض احياء المدينة وتزيد معاناة الجفاف ..... ونقرأ ونبصر كل شئ عن قضايا الايمان وآيات الله فى خلقه وأخبار القرى ... ونعتبرها تاريخاً فكأنّما العقاب الإلهى قد إنحصر واكتمل، فيما قبل التنزيل الحكيم ... ونتلقى عذاب الحكام ، كبتاً وردعا وتجويعا ، وذلة وهواناً . ونظل ندعوا الله (اللّهمَ لا تُسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا) ونعى ان المرء اذا احتوى جوفه لقمة من حرام لا يرفع دعاؤه للسماء اربعين يوماً وانه (كما تكونوا يُولّى عليكم) نقرأ وما ذلك على الظالمين ببعيد ونسعى نظلم انفسنا ونظلم غيرنا ونظلم وطننا ونظلم حكامنا ولا نذكرهم بان (الظلم مرتعه وخيم) .....



السيد سر الختم الخليفة

رؤساء الوزارات الإنتقاليـة



الدكتور الجزولى دفع الله

الباب الثانى

و تنادَوْا هاتفين

يقولون ....

السياسة عند المفكر الإيطالى ميكافيلى " المصلحة اولاً و المصلحة اخيراً " فهى إذاً فن الإبقاء على السلطة بصرف النظر عن الوسيلة المستخدمة فى ذلك وهنالك من يؤمن بأن السياسة هى " فَنّ المُمكِنْ " حتى ان اهدرت قيم واخلاق وحقوق فى الطريق الى الهدف ... أىْ عند هؤلاء هى فن الممكن من الواقع .. ويفضلها اخرون تعاملاً مع الواقع " ولعبة قذرة " ....

وفى الدين السياسة هى احكام التعامل مع الناس والدين المعاملة فهى إذاً لا تختلف مع الدين فى الهدف ....

والسياسة في الاسلام هى (الاعمال التى يكون الناس بها اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد اى تَعَهُّد الامر بما يصلحة) [1] ... فهى إذاً فى المفهوم الإسلامى مصالح مرسلة ، منضبطة بموجبات الشرع و مقرراته الأساسية ، يضاف لذلك فقه الواقع ومعرفة فنون القيادة والخبرة وأخلاقيات الإسلام ، والكياسة والمهارة والدهاء والحذق ......

وتبرز النظرة الإيجابية للإسلام باعتبار السياسة قيم ومبادئ وأخلاق ومعاملة حسنة وشجاعة وقوة واقدام من اجل خير كل البشر وسعادتهم .... فعلى السياسى المسلم ، بعد معرفة العصر وعلومه ومنطقه ومقوماته وتقنيته ان يلتزم بالمبادئ الاسلامية عملاً وقولاً وممارسةً داخل إطار ما هو مشروع ومطلوب لرعاية شئون الأمة عامة فى إطار الشورى ...

ويعتبر الاسلام تَعلم السياسة وفنونها بذلك الفهم عبادة وعملاً يقرب الى الله حيث المبادئ والأصول الاسلامية الثابته والمتغيرة فى باب الإجتهاد.... ثم

---

(١) الطرق الحكميّة فى السياسة الشرعية ... (ابن الجوزية) ...

الإقدام على المسئوليات كاملـة فى بناء الأمـة معنويا وماديا ... وان ا
السياسى المسلم اجتهاداً فلابد له من ان يكون ذكياً دقيق الفهم عالما بمعارف
عصره الانسانية والمادية حتى يدرك مصالح الناس ومتطلبات حياتهم ، وان
يعلم أنّ حق الانسان الشرعى فى الإسلام يستند على التكريم الإلهى للانس
، وهو منحة من الله تعالى ويرتبط بعبودية الإنسان لله وانصياعه لشرعه
واتباعـه لهدى رسله ، بينما يعتبر الفكر الغربى ان الحق الطبيعى للانسان
مرتبط بذاتيـة الإنسان من الناحية الطبيعية (بغض النظر عن الفكر والمنهج
وان الحقـوق السياسيـة فى الاسـلام تقـوم على ضـرورة المناصحـة
والمحاسبة السياسية للحكّام ، وقاعدة المسئوليـة الجماعيـة و الفرديـة وتجميع
المواقف المُتَصَدِّيـة للإنحراف عن النهج الشرعى [1] وقاعدة الطاعـة الشرعيـة
لتحقيق الوحدة الداخلية وحِسْبة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... بينما
تتحدد الحقوق السياسية فى الحضارة الغربية وِفْقَ الحرية السياسية المحدودة
بميول الفرد ورغبتـه فى ممارسـة حقوقـه . . . . . .

ديـمـقـراطيــة الســودان التــعــدديــة . . . . .

* (وِصَـدٌ بلا وفـاءَ عَـدَاوةٌ بلا ســبَبٌ) ... ...

استيقظ الوطن بعد طول سبات بالاحزاب تنادى الاستقلال ، ولم يمكن
معناه الاجتماعى والثقافى والاقتصادى فى نفوس وعقول جموعهم ... ونادو
بالديمقراطية الليبراليـة وشَوّهَـوا صـورتها فى اذهان تابعيهم حقـاً وممارسـة
حكومـة ومعارضـة ، ولم يُفهموا جماهيرهم ان الحق الديمقراطى غالٍ باهظ
الثمن ، حلـو المـذاق مـر الفـراق . وانـه فى بلادنا مَرْصُودٌ يتربص به
المغتالـون ....

وهكذا ، تصرف الحزبيـة الرعناء جـاء "بنوفمبر" ، واعقبـها " بـمايـو " ، وساء

---

(١) النظرية السياسية الاسلامية فى حقوق الإنسان الشرعية (دراسة مقارنة) - كتاب الأمة
محمد أحمد مفتى - د. سامى صالح الوكيل ...

على إستمراريتها ومهد " للانقاذ" ... اكوام و رزم بشرية لا يهمهم الا ما يكسبون ، حلالاً حراماً متشابهاً ، لا يَهِمْ ما دام يفى بهوى النفس ان تاكل وتسترزق من كل من لا يحاسبه ضمير ولا يعرف مقومات للخُلق القويم ... وعند الحكومة مادام التاييد يخدم الغرض لا يهم من هو المُؤَيّد.... ثم عارضت وهى نفس الاحزاب وكانت معارضتها مواكب نفاق صارخة وصامتة ... تتفع وتنتهز لفرصة مواتية وتفكر حتى في الاستفادة من أموال حركة من قاتل غازياً من ليبيا وصار عند السلطة بعد هزيمته مرتزقاً ... وتعمل ضد إقتصاديات الوطن وتنميته ومحاربة تسويق منتجاته في الاسواق العالمية تعارض بلا خلق وطنى ، وعندما تصالح تستنزف موارد البلاد سرقة وفساداً وتخريباً لاقتصادها ثم أيّدت .. فراود بعضها مصالحا وظل هاربا معتقداً أنّ قميصه قُدّ من دبرٍ فقط ... ومنهم من شارك وقُدّ قميصه من قُبلٍ .. وهنالك من اكتفى بالمغازلة عن طريق الإستشعار من بعد من وراء الحدود ... ومِنْ كلِ فريق تورط حتى شحمة أذنيه فى هوان مايو وخرابها وفسادها ونتن رائحتها وذبولها ، حتى جاء وعد الشعب وبرقه ساعياً ياكل ما يأفكون وكان كُلٌ قد فَقَد عذريته حتى من تلاعب بعصبيه من سحرتهم ..... هى الأحزاب صفوية فاسدة مترددة مختلفه ، تعمل تحت الوصاية وتبعية الطائفية والسادة ، أو عرابية القدامي وكبار السابقين .... تنقل الفساد برجالها فى العهد الديمقراطى والعهد العسكرى . ويرجعون لفسادهم فى عهد ديمقراطى يعقبه . يحتكر رجالها المعَيّنون المـمَيّزون الفهلويُون العمل السياسى والاجتماعى والقيادى فى المناطق الريفية والإقليمية .... وذلك هو سر تمجيد الناس فى كل عهد للعهد الذى سبقه ، بما فى ذلك رحيل الانجليز ، لأن اولئك هم اداة كل فعل حكومي ديمقراطى كان او عسكرى ، يزيدون فسادا فى كل عهد ويتعهدهم كل عهد برعايته ، ويتعهدونه بتأييدهم مما جعل الشعب السودانى غنياً بالتجارب الديمقراطية عهوداً ، لانه يعرف الطريق اليها ولا يتقن ممارستها ، و تغيب عن ذهنه سبل المحافظة عليها ، هى تماماً كأرضه الزاخرة بالإمكانيات الزراعية والمعدنية الكامنة ، يملكها بين يديه ولا

يفجر خيراتها ، ويستهون امرها ولا يستقل نعيمها لما فيه صلاحه وصالحه .... انهم يسيئون استعمال الحرية المتاحة بموجب الدستور والقانون . . . . . .
السياسي في غير السودان يكون رجل دولة بالخبرة والمعرفة والممارسة وفي السودان الأحزاب تلمعه وتجعله رجل دولة لأنه رجل ثقة بولائه ، ووفقاً للمصلحة والمعرفة الشخصية ، وقرابة الدم والنسب من الزعيم ، أو اجادته لقول نعم وفن مسح حذاء الزعيم . . . .

كبرى أحزاب السودان تتطور تَخَلّفاً نحو السيطرة الطائفية ... بدأت تحت زعامة السيدين ، ودخلت الديمقراطية الأولى والثانية وعلى رأسها الطبقة المتعلمة المستنيرة كالأزهري ومحجوب ، وعادت في الديمقراطية الثالثة لتدخل البيت الطائفي من جديد بالسادة الصادق ، ونصر الدين ومبارك الفاضل ، ومحمد واحمد عثمان الميرغني ... وتمتاز الاحزاب عندنا جميعا بان هنالك فئة وصفوة تفكر نيابة عن جماهيرها ، وتكتب وتتحدث بأسمهم . وتقرر في كل الاحوال والقضايا نيابة عنهم لذا فقد تطورت عندها عقلية التفويض ، ومَلِكَة الإذعان للتعيين المرحلي اسماً . الدائم تنفيذاً لقابليته للتجديد ، وذلك عيب ، ولكن العيب الأكبر ان يكون دور الاخرين ، الاغلبية ، دور المتفرج والمعجب ، المصفق والمؤيد المهرّج دوماً ، علماً بأنهم القوة الدافعة التي يُدفع لها لتدفع بهم لدور البرلمانات والمجالس النيابية بمختلف أزمانها . . . . .

وزاد الامر سوءاً ان فَجعَتْ الديمقراطية الثانية لضعفها وهوانها بسنوات مايو الطوال العجاف والتي ابعدت معناها عن ذاكرة من وجدته على وعي يتوكأ ، وكثيرون غيره قضت عليهم السنون أو اتعبه المسير ... لذا فإن اغلب من مارس حقه في الديمقراطية الثالثة ، وبذل طاقاته الشبابية في انتخاباتها ، وطاقاته الكتابية في تفسيرها ومحاولة تثبيتها ، هم من الذين جاءت مايو وألفتهم يَفَعاً وأطفالاً وتلاميذ وطلاب .. تفتحت عقولهم على ممارسات مايو وتجربتها .. وطال بهم الزمن وغابت عنهم نكهة الديمقراطية وطعمها إلا من غشيها منهم ثقافة أو قراءة أو تنظيراً . . . .

ولما عادت الديمقراطية في رجب الإنتفاضة نشرت البلد اجنحتها على الاحزاب وجعلتهم تحت جفونها ، فماذا فعلوا ...

بدأوا بقانـون القصاص الشعبى العادل والذى يسرى على كل الجرائم السابقة منذ ١٩٦٩/٥/٢٤م واللاحقة لاجازته وقالوا عن عبارة (سدنة مايو) تشمل :-

رئيس وأعضاء المكتب السياسى والمكتب التنفيذى للقيادة المركزية للاتحاد الإشتراكي المنحل ما عدا الذين عينوا من القوات النظامية " ....

هكذا تداهن الاحزاب القوات المسلحة كأن فساد مايو لم يلحق بها ، وذلك عين الفساد ، لذا فإن الاحزاب لم تستطع أن تزيل من آثار مايو ولم تقطع من أعناقها إلا رؤوس أعمدة سور قاعة الشعب ، (الجمعيـة التأسيسية) بأم درمان ... وعانت وسقطت بعد مناقشات ومداولات إحدى بصمات النميرى فى توجيه الحكم فى السودان .... كيف لا وبقراره (قوانين الشريعة) وضع الاحزاب فى تحد ومواجهة مع رغبة بعض قيادتها المغايرة لارادة جماهيرها بتحكيم الشريعة ....

وعلى عين مَنْ تَذرُ الاحزاب رماد مراوغتها لإرادة الشعب ، وكيف تحاكم السدانة المايوية وقد ضمت القيادة المركزية للإتحاد الإشتراكي ومكتبه التنفيذى كل من السيد الصادق المهدى والسيدين أحمد المهدى ، وأحمد الميرغنى و ... حسن الترابى.... فلا عجب إذاً ان صحب الديمقراطية الثالثة عدم فاعلية المؤسسات التشريعية وغيابها وعدم مراقبتها للسلطة التنفيذية لجسارة الراعى أو الرئيس ومداهنته من اجل المصلحة والإستوزار ، أو لضعف فى الإختيار .... ويختار الرئيس من لم تختره الجماهير ورفضت إنتخابه واسقطته ... مساومة وترضية ووفاقاً بلا توفيق ، ليتحدث باسمهم ويهمل فهمهم وتقريرهم... ولا عجب فهم جماهير إشارة وتوجيه .....

وتحولت هتافات الجماهير الى أرصدة فى البنوك وعمارات شوامخ من الاسمنت والحديد ، ومزارع لا خضرة بها إلا الاستراحات والمواخير وأوكار ... ، وتوزيع الغنائم وتخزين العربات ، والمواد التموينيه والمواد البترولية

....وموائد صفقات تجارية ورخص وتصاديق، ووساطات ومحاسيب ومعارف . . . .

لكل ذلك فليس بغريب ولا بمُستَبْعدٍ، عن توقّع من يعلم ويملك وعيه، أن يسقط السيد الصادق المهدى بعيداً عن اغلبيته الديمقراطية، التى لم يتحدث عنها يوم إستجابته لتدخل القوات المسلحة بمذكرتها [1] فى تحديد مسار الحكم الديمقراطي، ويوم ان كون حكومته الأخيرة فى قصر الخرطوم بعيداً عن برلمان أم درمان، وبإرادة العسكر وهي ليست إرادة النّواب . . . .

هَمْ عليه يدٌ واحدة . . . .

تقاس قيمة حركات الاصلاح والثورات بقدر النتائج والآثار المتروكه وراءها تأصيلاً او تهميشاً ومدى عمقها الزماني والمكاني بإيجاد الخير والتغيير البناء في حياة مجتمعاتها ... فماذا عن مايو؟؟! . . . .

عُرف السودان دولياً فى عهدها بالتبعية السياسية، وعدم تحديد الهوية وصحبه العجز والقعود عن الوفاء بالتزاماته الدولية والاقليمية، كما ارتكبت قيادتها الخيانات العظمى عربياً بترحيل الفلاشا وداخلياً بالموافقة على دفن النفايات الذرية . .

وصارت مصالح الناس شعارات وأقوال في وسائل الإعلام، وافقدت الدستور والقانون هيبته، وغيرت أخلاقيات المجتمع ونظرته الإجتماعية ... واستوعبت مايو فساد الاحزاب واحتضنت الأحزاب الاشكال التنظيمية المايوية وضيعت المحسوبيةُ والوعودُ والرشاوى والإختلاسات [2] العمل الادارى والديوانى والرقابى والأمنى . . . . . .

" إنه فى كثير من الاحيان ما يأتى فى الدستور او ما يأتى فى أى اتفاقية يمكن التغاضى عنه اذا كان هنالك شئ أفضل . " . . . [3]

(٤) " نحن دولة تحقق أعلى معدل من معدلات التنمية فى العالم الثالث . "

---

(١) ١٩٨٩/٢/٢٨م

(٢) راجع أوراق سمنار المال العام اغسطس ٩٠م بقاعة الشعب بامدرمان ..

(٣) الصياد ١٩٨٤/٥/٢٢م نميرى .

(٤) الصحافة ١٩٧٧/٩/٢٧م .

" ديمقراطية الحكم فى السودان لا توجد في اى دولة نامية فى العالـم . " . . . . [١]

" ان المرء ليحمد للذين ناهضوا هذا النظام الى حد حمل السلاح شجاعتهم وقد وقفنا ضد كل منهم فى الخندق الآخـر . " . . . . . [٢]

وكثر المشاركون بلا كفاية فى مواقع العمل العام في الدولة ، وفى المواقع القيادية السياسية العليا والوسطى والدنيا ، ومنهم الفاسدون الذين عُينُوا لتَعبرْ بهم مايو مراحل اكثر قذارة ، وبالرغم من ان العقل يقول بابعـادهم بإنتهاء مهمتهم المرحلية ، إلا انهم يظلون عبئاً على السلطة برغبتـها لاستغلال عيوبهم ونواقصهم لضمان الولاء ومناعة سياج دائرة الهاتفين حولها

من الكاذبين ذوى الدراية والمعرفة بالمداهنة وتزيين الباطل وخلق الاحلام والأوهام وهالات النجاح ... يتبارون ويتنافسون حوله تقرباً ، وطرداً وابعاداً لبعضهم من دائرة الحاكم المستبد المطلق القوى ، حيث ان أبقى الناس داخل تلك الدائرة هو اكثرهم ضعفاً ورضوخاً ومهادنة واستسلاماً .... ومنهم كتبة خطاباته التى يكثر فيها التناقض بين القول والواقع .. والتى تحمل كثير المغالطات " والغلطات " الكلامية والهرطقات النميرية عند الارتجال .. ويكثر فيها قولاً عن صعوده برج الرصد والمراقبة وبالرغم من ذلك يزود مستشاريه بالنصائح والمعلومات . . .

وآخرون قالوا آمنا باهداف مايو بأفواههم وقلوبهم راجفة لم تؤمن ... يخفون غرضاً فى الصدور . كل ما دخلت منهم فئة لعنت أو لعن لها سابقتها . حتى إذا اداركوا فيها جميعاً أتى كل بغرض ولوُجِه وابان خَفِىّ قوله وفعلـه .. وقد نسوا أن لكلٍ دوراً اداه راضياً أو مكرهـاً .. ..

وهنالك من زامله النميرى في حلقات الذكر ومجالس الشيوخ تقرباً ، وهنالك من قاد المشعوذين وزاحم بهم على بابه .. ومن دعاه ليعيد أفتتاح مؤسسة أو دار ظلت تعمل منذ سنين ليتبع ذلك الكسب والتسهيلات بعد الاشادة

---

(١) الراى / الايام ١٩٨٣/٥/٣١م .

(٢) النفق المظلم د. منصـور خـالـد ص ٦٤ .

به فى خطبة الأفتتاح .. وليتمتع بالاعفاءات الجمركية ورخص الاستيراد بعد توصية الاصدقاء وأمتطاء ظهر أعمال الخير والبر والاحسان بغرض الفساد وحب جمع المال ... ويضاعف تقدير المواد اللازمة للتشييد والتشغيل لبيع الفائض منها أسوداً . . .

كانت مايو تظهر خلاف ما تبطن .. تظهر القوة ومنطق المستقل بارادته وقراره شعاراً فى إعلامها ترديداً ، ووقوفاً مع الشعب الفلسطينى ، وتفعل فى الخفاء مظهر الذليل المهان باكمال صفقة الفلاشا لخدمة الصهيونية وأسرائيل ...

وتملأ الدنيا صراخاً وهتافاً بمنظمات الشباب والشبيبة . كتائب وسواعد وطلائع ورواد ومقاوير ماتت فى داخل رحم الهزيمة . بينما هى فى باطن الامر تمهر إتفاقيات تقضى على جينات المواليد بين المبايض والصلب والترائب بالاشعاعات الذرية ودفن نفاياتها فى صحارى يتحدث العلم عن أنهارِ ماءٍ جارية فى باطنها بمقادير تفوق مياة نهر النيل ، تريد مايو تلويثها بدل تفجيرها .. وانزوت وهى تشكو من الجفاف والمجاعة والحرث يزرعه الله بالماء ومنه كل شئ حى . . . . . .

وادعت مايو فكرا لتنظيمها الفرد ، كَثُر حوله المؤيدون جمعاً واختلفوا اراءً وغرضاً وتأجحوا ولاء وتفانيا وايمانا به .. ومن المؤمل فى الافكار ان تتمكن بمرور الزمن من عقول حامليها حتى اذا ما قدم اليها الاتباع وكثر المؤيدون المؤمنون بها ، كلما تقاربت افكارهم مما يُمَكِّن القليل [1] منهم ان يعبر عن رأى الآخرين بلا تباين ملحوظ وكبير فى قضايا الالتقاء الفكرى ، ولكن كان الحال عكسيا فى لجنة الاتحاد الاشتراكى المركزية ومكتبة السياسى ، فبمرور الزمن بدأت زوايا التباين الفكرى تَنْفَرِج حتى وصلت لخطوط متوازية فى نهاية المطاف ... اما مجلس الشعب فإنه مرة يجيز الزكاة ويؤيد الغاء الضرائب .. وسرعان ما يؤيد اعادتها من جديد . . . . . . ولا عجب فإن

---

(١) عضوية الاتحاد الاشتراكي السودانى (أ) اللجنة المركزية ١٩٧٢ ٩٠ عضواً

١٩٧٢ ٤٩٠ عضواً

* (ب) المكتب السياسى ١٩٧٢م (١٥ عضواً) ١٩٧٠م (٣٠ عضواً)

وكثير من هؤلاء يرى رأياً فى اللجنة المركزية ليرى غيره فى المكتب السياسى بحضور نميرى "

أغلب من ينتمون إليه كانوا يرون الخطر و الخطأ و الخراب و يعمدون إليه [١] . .
(كالْمُتَمرِّغِ فى دمِ القتيل) . . . .

الأسواق مرابط الشيطان ، فكم من شياطين السوق دخلها وهو يستعيذ بالله من نفسه! وإستَشرَى الفساد الاقتصادى في مايو و استنهر فتقه فيما تلاها من عهد حزبى ... وتعدى جمع المال دائرة الحلال وتمركز فى دائرة الحرام ودائرة الشبهات ، فلا نجد الا الكثير السيء و القليل الصالح . . . . . .

و امتلأت جوانب الأسواق و طرقاتها بالفَهلَويِّين ... فى كل مكان تجد طويل و قصير القامة ، ضخم الجسد ، حسن الهندام وقبيحها أنيق الشال او ربطة العنق "الكرافتة " جميعاً تقوص اقدامهم حتى أخمصها فى وحل الفساد فى طرق السوق ووسطه ولو ان للفساد رائحة لأزكمت الأنوف فى المساكن قبل المخازن . . .

هؤلاء يملأون مداخل ومخارج أماكن العمل ودووابن الحكومة ذات العلاقة بالمجال المالى و التجارى . جمارك ، ومطارات ، وموانى بحرية ونهرية وبرية ضرائب وبنوك ودلالات ودور سمسرة ... جاء بعضهم من الوظيفة العامة والخاصة بعد معرفة أساليب وفنون الفساد يحملون تجاربهم ، وجاء بعضهم من دول البترول حيث الكثير من الممارسات المالية و التجارية الفاسدة و التى تغطى عليها الوفرة و كثرة المال ، و حيث عالمية التعامل و تجارب العمل و الغش

---

(١) هنالك الكثير من القصص و الحكايات التى تؤكد صدق ذلك ، وهذه واحدة ... وبالرغم من أن راويها رفض ذكر إسمه إلا إنها تصلح مثالاً القصد منه معرفة ما كان من افعال .. ، حتى وان أهملنا الأسماء ، ... بالرغم من ايمان الفاعل بخطئها . ذكر الراوى ولم يمض يومها على نهاية الجلسة دقائق معدوده وهم يمتطون سيارة ، يجلس بمقعدها الامامى وزير وبالمقاعد الخلفية رئيس المجلس ورائده .. حتى خاطب الرائد الوزير متحدثاً عن نفسه ورئيسه .. " تعرف يا ... أنا وفلان هذا سنبعث يوم القيامه مع هامان وفرعون " ... وضحك الوزير حتى إغرورقت عيناه ثم سال :- لماذا .... فيجيب الرائد . . . .

" ما يتحدث المرء حقاً ونقداً إلا يمنعه وهو يضرب منضدة الرئاسة بشاكوشه ، وما ينطق احدهم نفاقاً ورياءً واطراءً إلا ويترك له الحبل على الغارب ليصول ويجول وانا أؤيده فى ذلك " . . . .

جـاءوا باستنـارتهم الضالـة ليظلموا بـها الأسـواق فتزيد انفاقها سـوادا ً وحلكـة ً وظلاما ً ... جـاؤا بمعرفتـهم وعلـومـهم وابدعـوا الحِيَلَ القانونيـة والتجاريـة والاقتصاديـة ، واثروا ووقع المـال فى انفسهم وأشْرِبُوه وانغمست انفسهم فيه وتَشَبَّعَتْ بحبه .... وتبعهم فى ذلك من سبقهم بجهلـه يتخبط بـلا وازعَ ولا ضمير ولا معرفة تجعل النفس تتردد وتُمَحِّصْ وتفكر وتتراجع ، وانما امتطـاء لكل فكرة تطرأ والإنـدفـاع في تنفيـذها وتغيير السبيل اليـها اذا انقفل اخر وابعاد ما يعترَضه وبكل الوسائل ، المهم الوصول للهـدف مهما تحطمت تحـت ارجلـه من انفس وقيـم ومعانى واخـلاق ...(دُوسْ رأسْ اخُوك واطْلَعْ كان قُجّـةْ كان أصْلَعْ) ..... من لا يساير او يحاول المحافظـة على خُلقٍ أو دين وكسب حلال مشروع ، يجد نفسـه فى هامش القافلـة ، تستعيذ منـه مواكب الفساد لأنـه شيطان السـوق ، تنتظـره مضايقاتهم وصعوبـة العمل وتكاليف الحياة . وتقفل أمامـه سرعـة التعامل فى البنوك ودواوين العمل لانه يفقد متطلبات ومستلزمات مواصلة السير ، الى ان يغرق فى الديون وبرك المطالبات الماليـــة ، فإمّـا الخضوع والوقوع والسقوط وإما الإنزواء والإنسحاب ، وقليل من قاوم بشق الانفس ورجـاء ولطف الرحمن ... وهنالك مالا يقال عن قصص الفساد المالى والتخريب الاقتصادى مما يعرف بين الاصدقاء ويملأ صحف اسرار المعارف رفـاق الـدرب والحزب واخـوة التنظيم (وكل امرىء فيـه ما يـرمـى بـه) ..... من آبائيّة سُوقيّة ألفى عليها سابقيه ، أو دنيا شغلته عن دينه ، أو أموالٍ له ولغيره باع بها دينه ودنياه . . .

تلك الجسـوم الممتلئـة ، والعمارات التى تعانق نجوم السماء ، والمـزارع الممتـدة ، والامـوال المكنـوزة ، والعربـات الفارهـة ، والسـنـدات المقبوضـة ، والاسـهم المهورة ، وانصبة الشركات ومشاريع الإستثمار المشبوهة ، لو افصح اصحابها عن ما ورائـهـا من جرائـم جمّة كبيرة ، وخطط مكرٍ فاسدة ، لبدأ القوم كل فى قميص فرعون ولإنكشفت سـوءآت واستبان الناس كذب قوم يعـدونـهم من الصالحيـن ... ولاستيقـن الأبناء والآباء والاخوان والعشـيرة

والاهل أنّ الاموال النى اقترفوها ، والتجارة التى يخشون كسادها ، والمساكن التي يرضونها ، بعض من زبد الارض وألْسنة الجحيم ... ولانهارت بُنى اسماء انخدع فيها شعب السودان كثيرا ، ولسقطت أقنعة أوجُه ورؤوس ، ولعلم الناس ضلال لحى وشوارب كُثر منها البور والحصيد و" الأدْرَوْجْ " العديم ... الأبيض منها والبهيم ... ولكنه لطف الله وقدره بأن لا يفسد ما بين الناس بسبب تضارب مصالحهم اذا علمت النوايا وكوامن النفوس ، فاحتفظ بذلك فى علم الغيب عنده حتي لا تفسد الارض ... في كل ذلك تشم رائحة دموع الصغار وصرخاتهم ... لبناً جافاً وحلوى وبسكويت وتموين غافلين .... الطريق اليها عبر كل من سهله المال واسهله ، ومحسوبية السياسة وشُلّية الأصدقاء ومعاقرة الخمور وما يتبعها من نساء وأوكار الشيشية والمخدرات ، وعَشَواتْ العمل وولائم الاحتفال ببلوغ الملايين ، وأن تتخطّى التسهيلات المصرفية للمليونيرات والمحاسيب إرادة البنك المركزى ، وتَسْتهزِئ بالبرامج الإقتصادية والتنموية وسقوف التمويل ... أمثال هؤلاء يجهضون آمال الأمم ويفعلون بها مالا يفعله الجفاف والتصحر [1] ... كيف لا ؟ وقد وجدوا من يحميهم من داخل أجهزة الأمن والرقابة ، ومن يؤمّن خروجهم ودخولهم للبلاد ، ومن يسهِّل عبورهم ومغادرتهم فى حدود الاقاليم المختلفة ... لأن بعض المجرمين قد اخترق أجهزة الأمن بانواعها لحماية مصالحه ومصالح أمثاله ، ليتسنى له الفساد من تحت مظلة رجل السلطة والقانون .. .. ..

هؤلاء المفسدون يقفزون لمدرجات السلطة عند نقاط معينه يتصيدون الفرص إليها وينتهزونها ، عند الإحجام عن الالتحاق بأجهزة الأمن المختلفة طلباً للإغتراب مثلاً ، وتمثل نقاط الإنقلاب فى مسار السلطات العسكرية والحزبية وبحثها عن الشرعية الشعبية بتكوين التنظيمات والنقابات وارساء قواعد التنظيم السياسى دائماً فرصتها الكبرى لتقديم نفسها ومبادرتها عند أحجام الآخرين وترددهم وترغبهم ، ثم تمضى القافلة وهم يمتطون

---

(١) تكونت الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة الجفاف والتصحر (إيقاد) عام ١٩٨٦م بعضوية كل من : جيبوتى ، الصومال ، اثيوبيا ، كينيا ، يوغندة والسودان . . . . . .

ظهورها ويلعبون حتى يصلوا مرحلة القرار والتقنين ...

ودخلت النساء عالم المال والتجارة سراً وجهراً، كصاحبات دُور وعمل او وسيلة لغاية، أو حافز على الطريق يلزم وجوده لإكمال الصفقات وكمشهّيات لدغدغة اقلام الإمضاء والتوقيعات ومهر رخص الاستيراد والتصدير وتأشيرات الخروج والدخول، أو اعطاء الإشارة الخضراء لتمرير الاوراق لمواقع الحسم وإتخاذ القرار ... أو تاجرات شنط وعابرات بحورٍ وحارقات بغور في داخل وخارج الديار كغيرهن من ابناء " عمّي آدم " السودان ..... ذلك الذي تقل قدرته واحتماله للعمل ويمتلئ طموحاً، يرغب تحقيق النجاح بسرعة الضوء دون ان يجهد نفسه ويُضَحّي ويصبر ليدفع ثمن النجاح .... كل همه أن يختصر الزمن ويقلل الجهد ليفوز باكبر الاكوام وأعلاها وان خبثت من اجل ذلك القيمة والقيم ....

(مالُ تجلبه الريّاح تأخذه الزّوابع) ......

وأين من ذلك كله العقاب الإجتماعي بالتحقير والإستهجان ونظره الإحتقار والعار والإشعار بأن منِ يمارس كل ما سبق عضو فاسد وغير صالح ومجزوم بفعله مما يوجب الفرار منه ... تغيرت تلك النظرة في مجتمع السودان وصار يصف اولئك بالشطارة والمهارة والفهلوة والنجاح، ويتمنى البعض لابنه ان يكون مثلهم "كسِّيباً" ليخدمه الغير ويقدمه ويناسبه ويصاهره ولا يشعره أبداً بانه حرامي فاسد وفاجر مجاهر ... كم منكم بَنِي قومي يستطيع مقاومة رنين الدرهم والدينار، وبريق الفضة والذهب !!! ويفضل ان يبيت في داره قنوعاً شريفاً مستوراً، بجوفه لقمة واحدة من حلال يتفقد جاره وخاله ويرضى بالقليل مصحوباً بالحمد والشكر والثناء والإستغفار ؟!!!.....

نعمة ونقمة الهجرة والإغتراب ....

(يا ماء لو بغيرك غصِصْت) ....

كان الوطن في احسن حال، به سعة في الرزق وسهولة في الحياة، ويلزم ساكنه القناعة والرضا والسلام الرُوحي، يغشاه المغتربون عن اوطانهم

من بلاد العرب والعجم آملين فيه الخير الوفير ... وبات يغالب جراح الفرقة والشتات وضياع الخيرات مما فعلت به يد الانسان، والقحط والمَحَلْ والطير والجراد والجفاف وقلة الامطار وهلاك الزرع والضرع وغياب الامن وجور السلطان وعدم الإستقرار ....
وتبع ذلك هجرة الكوادر المؤهلة القادرة على العطاء والبناء، واغتربوا عنه ... مَنْ منهم سافر من اجل الوطن، لا بمعادلة تحقيق الغرض الشخصي والعمل فى داخله ؟ كم منهم احتسب ايام غربته لانه خرج مهاجراً من ارضٍ استضعف فيها، تاركا وراءه من لا حيلة لهم من ذوى القربى والولد ؟ ....
وإنّ منهم من التزم اخلاقيات الوطن، في غربته واحرز نجاحا فى حياته ومهنته نَضّر به وجه الوطن، وسَرّ سمع الغير، وَوَضّحَ لهم ان منّا لجواهر ودررا .. وإن كثيراً منهم خرج بحثا عن الحياة الكريمة، ولما وجد المال رجع بما وجّه لغير التنمية من شاهق العمارات راغباً فى هبوط الجنيه السودانى، يحاول حل معادلة نفسيه صعبة بين الذات والوطن .. يقارن بين ما لقيه في دنياه وماخسره من أحلام بنيه ... يحاول التوازن بين القيم والدين والمادة والبدن وتقييم المكاسب والخسائر ... ويفاضل بين سهولة الحياة ووفرة الغذاء والكساء والدواء وبين القلة والعدم والتقتير ......
يُعْتَبَرُ الاغتراب نِعْمة وطنية اذا قسناه بضَخِّ العملة الصعبة ودَرِّها وجلبها اضافة للدخل القومى، ومواكبة المغترب لمستجدات الحضارات العالمية المتوجهة لدول المال والبترول، والاحتكاك بقومها وتِقنيتها، والاخذ من احسن قيمهم واخلاقهم ... وحُسن السفارة، وجمع الخبرات وتفجير الطاقات، وممارسة المهن لوفرة البنيات الاساسية والتقنية ووفرة المال ... وبما يحدث داخليا من تغيير اجتماعي في حالة المغتربين وتحسين مستوى حياة اهلهم ومساكنهم، حيث نلمس ذلك بوجه اوضح فى القرى والأرياف واشباه المدن اكثر من الحواضر والمدن ...
ويعتبر الاغتراب نَقْمة على الفرد والوطن اذا نظرنا الى نزيف العقول والكوادر المؤهلة والخبرات والطاقات وتبديد قوى خلق جاهزة تستوعب في

الخارج ، يفقدها الوطن لسوء الإدارة في الداخل و الرغبة في العائد المجزى ، تزرع صحارى الغير من باطن جوف الارض ، وتهمل حقول و غابات الوطن التي يرويها غيثُ الخريف و نيلُ الحياة وقصير الآبار السطحية ، ليضيف الاغتراب جيلاً معه وفرة الاغتراب مختلطة بغريب الاخلاق و القيم .. فما من احدٍ إلا و يستحضر قصة تمتهن الكرامة السودانية في الداخل و الخارج ، أو يعرف قصة تجرح الحياء و تثير الخجل و تندى الجبين ، وراءها مالُ الاغتراب و بعد المغترب عن الاسرة و الزوجة و الولد ... بالإضافة الي ادخال المظهر البذخي في عرف و عادات العرائس و المناسبات الاجتماعية بعيداً عن البساطة و الاصالة و الاقتصاد ... ولم يحسن بعض المغتربين الاختيار من اخلاق الامم المختلفة في المهنة و العمل و الجودة و احترام الوقت ، و ركّز على العطالة و المخدرات و الاحتيال و السرقة و التبذير ، فبدرت من بعضهم بعض الممارسات المرذولة و الخيانات المالية كالنَصْبِ و الغشِّ و الإحتيال و كل ما هو غريب على الخلق و العرف السوداني الاصيل ، مما جعل بلاد الاغتراب و اهلها تغير نظرتها القديمة السابقة عن المغترب السوداني، من اوائل المهاجرين ، الذين كانوا مثالاً للامانة و الكرامة و احترام الذات وحسن السيرة و السمعة و الاخلاق ... وشجع سرعة الحصول على المال اللازم لتغيير الحال بالطرق الرخيصة من رفض التعليم بين الشباب ، تفكيراً في سرعة اختصار الزمن و قطف الثمار ، فيترك قاعات التحصيل و التأهيل و يذهب عاطلاً خاملاً يتكدس في ديار الغربة يمارس أرذل الافعالَ معطياً سيِّئ المثال ... و ينشأ أطفال الإغتراب اجيالاً تكبر مغتربة أو مهاجرة لا تعرف نكهة الطين و التراب ، تتذمر من الكتّاحَة و الغبار ، تلعن بلا سبب النُدرة و المعاناة ، ولا تصبر على جحيم الصيّف و مُغالبة شحْ المياه وانتظار عودة وقطع الكهرباء وتسلق وسائل المواصلات و خشونة المأكل والملبس و المأوى و ضيق فصول الدراسة والتعليم ، و يغيب عنها انه (لابدّ من صنَعاء وإنْ طال السفر) . . . . . .
و من يَعشْ رَجَباً يَـرَى عَجَبـاً . . . .

عاشت مايو رغم تنظيماتها سلطة دكتاتورية ، و دولة بوليسية يحرسها الجيش و أجهزة الامن المختلفة ، وبالرغم من ذلك حدثت الكثير من المحاولات الانقلابية

والمظاهرات ولكنها كانت دائما تنتهى الى ما يزيد ثقة النميرى بنفسه وبأجهزته الامنية لفطير فكرتها واختلاف منفذيها وخيانتهم ... وتحت الرماد بدأت رجب بمظاهرات الجياع المحرومين وهتافات امعاء وبطون خاوية، بدأت " بالشَمّاسَة " وكان احتمال ضربها واخمادها اقرب فى اذهان من اسقط من تقديره معنى الثورة الشعبية كاكتوبر، اما ثقة فى الحاكم أو لشدة الردع والضرب والقسوة التى تواجه بها أجهزة الامن الجماهير الثائرة والمظاهرات السابقة فى محاولات ازالة السلطة المتكررة، او تصديقاً لوسائل الاعلام والتخذيل . ثم زال حاجز الخوف والتردد وبدأت طبقات اخرى تظهر فى الشوارع تظاهراً وهتافاً، كل الناس بمختلف فئاتهم واتجاهاتهم السياسية، فتجمعت صرخات شعب يئس وبئس وغضب وثار .....

ثورة شعب يعاني الفاقة والحرمان، فهم يهتفون بإيقاف سياسة التجويع والتبعية لصندوق النقد الدولى، رغم هتافهم بسقوط البنك الدولي وقد تشابهت عليهم البقر .. وانفجر الموقف تحت ضغط الاسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بالرغم من ان كل رجالات الرئيس يَرَونَ ان في الموقف مؤامرة احزاب عقائديه .. وانبهر العالم بانضباط المتظاهرين وسلوكهم الحضارى رغم كثرتهم، لا تخريب، لا نهب، لا كسر متاجر وسرقة محتويات، كما يحدث دائما فى مثل هذه الثورات الشعبية فى كثير من انحاء العالم، بالرغم من ضيق العيش وشدة الحاجة وامكانية انتهاز الفرصة .... وتكرر الموقف كما حدث فى اكتوبر ١٩٦٤م .... وتلك إحدى أعاجيب هذا الشعب الفريد ... تلك كانت بداية الانتفاضة التى تواصلت مظاهراتها حتى موعد الانتصار ليلا وضحىٍ بالإنحياز الإيجابى للقوات المسلحة لجانب الشعب ... فى ثورة كانت في مضمونها الاجتماعى انصاف المحرومين واسماع كلمتهم، فاذا هى بين ايدى الاحزاب تهتم بالطبقات السلطوية العليا وتغرق فى بحر من الفساد والافساد والترف ... مما قاد لسيطرة شعور الاحباط على جماهير احزابها طائشة حمقى سادرة فى غَيّها، لا تعى .. تعد فتخلف، وتبرر تسود وتقرر فقط بارادة السادة وذل التابعين .... ولزموا التبرير، تقول بعض

الدوائر ان تعديل مقابلة نميرى لريجان في واشنطن كان بغرض ابعاده عن الخرطوم اثناء قيام الثورة فقد سبق ان راقص كارتر زوجة الشاة اثناء إتفاق الجنرال هاوزر مع الشيعة لاسقاط الشاة فى ايران ... ولا يهم لصالح من كان ذلك بقدر ما ان شعب السودان ، شارعاً ورأياً عاماً ، ارادها ثورة وطنية من كل عقله وقلبه ضد إستنزاف اموال الشعب وتبديد المساعدات والقروض و الاعانات و الاستدانات و توجيهها لغير التنمية و الاستثمار بتحويلها للحسابات الخاصة فى الخارج و الداخل ، مما افقد الأمن و اضاع السيادة و رهن القرار السياسى واضاع الشعب وأجاعة ....

التنمية ....

(نامى جياع الشعب نامى) ... [1]

هنالك صعوبات تقابل السودان في طريق التنمية بالرغم من وفرة الموارد الطبيعية ، منها زيادة السكان من أهله و اللاجئين [2] و متطلبات احتياجاتهم الغذائية ، وندرة الموارد المالية اللازمة خارجياً وداخليا ، وماتم من هجرة الكفاءة و الكوادر المؤهلة و اغترابها عن الوطن تلبية للجذب الحضارى و المادى وفعل السياسة و الادارة ... والتى لن تعود اغلبيتها الا بعد ان يؤكد لها الحاكمون جدية استشراف المستقبل و تبصر معالم الطريق ، وواقعية البناء للوطن بالإحصاء و التخطيط [3] و التدبير فيما يمكن توفيره من اموال للإستثمار لان ذلك يوقف التردى الاقتصادى الداخلى ويقلل التورط في الديون و السير نحو الإفلاس ، ويحرر الإرادة و القرار السياسى الوطنى المرتهن ويصنع الامل فى ان تحقق الامكانيات الزراعية و الثروات الطبيعية و المعدنية

---

(١) عنوان قصيدة للشاعر محمد مهدى الجواهرى .

(٢) يبلغ عدد اللاجئين بالسودان ١,٢٥ مليون شخص ، وعدد النازحين من جنوب السودان لشماله تحت ضغط المجاعة و الجفاف و الحرب ٣,٥ مليون ....

(٣) التخطيط فى السودان تخطيط قصير المدى يلبى حاجة معينه أو يحل أزمة قائمة ، ولكن يجب أن يصير تخطيطاً تكاملياً طويل المدى ، يجمع بين استغلال الموارد الطبيعية و استمرار المحافظة على البيئة ....

الاكتفاء الذاتي ...ثم تعويضها عما تجده في الخارج من تقدير و اعتبار لكفاءتها ومقدراتها ، وتوفير وَضْعيّة مطمئنة ومريحة لها في بلادها . . . .

التنمية في السودان قوامها القطاع الزراعي ... فهو يستوعب ٨٠٪ من القوى العاملة في السودان ، ويكَوّن اعلى نسبة من الدخل القومي ٣٠٪ (٨١-١٩٨٦) و ٣٥٪ (٨٩/٩٠) ،كما ان المصدر الرئيسي لعائدات السودان من النقد الاجنبي من المحصولات الزراعية فهي تدر في المتوسط حوالي ٧و ٨٨٪ من مجموع عائدات السودان من الصادرات (٨١-١٩٨٦) و تضم اراضيه ٥٩٨,٧ مليون فدان اراضي خصبة ٢٠٠ مليون منها صالحة للزراعة (٤ و ٣٣٪) المزروع منها ١٩ مليون (٥و ٩٪) من الاراضي الصالحة للزراعة

... ومع ذلك كله فقد (استخدم السودان حوالي ربع عائد البلاد من العملات الاجنبية المتاتي من بيع الصادرات الزراعية في استيراد منتجات زراعية لمقابلة النقص في الاستهلاك المحلي في الفترة ٧٠ - ١٩٧٧) [١] وتقييم الدوائر الاقتصادية و خبراء الاقتصاد في البلاد بان . . . . .

نصيب الفرد السوداني من الدخل القومي ٣٠٠ دولار

وبلغت المديونية الخارجية عام ١٩٧٠ ١٥٠ مليون دولار

وبلغت المديونية الخارجية عام ١٩٨٤ : ١٠ مليار دولار

اقساطها السنوية ٧٠٠/٨٠٠ مليون دولار . . . .

وقد نتجت الفجوة الداخلية عن زيادة حجم الانفاق الحكومي .ن موارده حتى وصل عام ١٩٨٤م الى مليار جنيه سوداني ، ويتم تمويل هذا العجز الداخلي بالأعتماد على النظام المصرفي وهو تمويل تضخمي ، ونتجت الفجوة الخارجية عن العجز المتزايد في الميزان التجاري ، ويتم تمويل هذا بالاقتراض من المؤسسات التمويلية ولمدد قصيرة وبتكلفة عالية ، كل ذلك مصحوب بعدم امكانية الايفاء لسداد الديون مما ادى الي تراكمها .. ويرجع ذلك الى :-

هنالك انفاق حكومي في المجالات غير المنتجة وسوء تخصيص الموارد بين

(١) اكساد ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية - المركز العربي لدراسة المناطق الجافة و الاراضي القاحلة دراسة حصر وتقييم مصادر الأعلاف في الدول العربية . . .

اولويات القطاعات والصرف المتزايد على الدفاع والأمن كنسبة من الانفاق الكلى و انخفض الانفاق على الصحة و التعليم و الخدمات الاقتصادية .

** تدهور الانتاجية في قطاع الانتاج الزراعى وتدنى حصيلة الصادرات .

** البنية الاساسية السيئة بما فى ذلك الطاقة .

** القصور فى برمجة و تنفيذ مشاريع التنمية مما ادي الى تاخير العائد و ارتفاع التكلفة .

** القصور في اختيار القيادات و الكوادر الادارية العليا .....

** سياسات إقتصادية خاطئة ، استهلاكية و تفاخرية و ترضيات و افساد .

** شروط و فوائد اقتراض مجحفة تقبلها البلاد . . .

** تغطي الحكومات العجز فى ايراداتها بطبع النقود . . . .

** تفاعل سلبى ملحوظ بين انخفاض اسعار الصادرات الدولية و ارتفاع العائد و تكلفة الديون [1]

** سياسة اهمال الريف و عدم توجيه المزارع و دفعه فى طريق الامن الغذائى ، وتحول المزارعين من زراعة المحاصيل الغذائية الاساسية لمزيد من محاصيل التصدير النقدية بينما الحكومة تدفع اسعار منخفضة للمزارع مقابل ما ينتج ، و هذا المبلغ المدفوع لا يساوى الا جزءاً يسيراً (١٠-٢٠٪) من سعر منتوجاته فى الاسواق العالمية ، مما يجعل المنتج منهم فى مستوى الكفاية بغير فائضٍ لتطوير الارض و شراء البذور المحسنة و الاسمدة الكيماوية و مبيدات الآفات الزراعية و الاجهزة و المعدات الميكانيكية .. ..

** ثم الاسباب السياسية فى ضبط تكليف المعيشة لصالح سكان المدن الكبيرة ، خاصة الموظفين وجنود القوات المسلحة ، والذين تلبى مطالبهم أرضاءً وضغطاً على المواد الغذائية محلياً بالرّغم من ان المزارعين و الرعاة هم النسبة الكبرى من العمالة .. ..

---

(١) ٥٨٪ من الدخل القومي لأفريقيا لخدمة الديون . . .

فى بلـد كالسودان بكل تلك الامكانيات الزراعية والثروة الحيوانية الكبيرة [1] يقتات الكبار و الصغار و الاطفال الالبان الجافـة المستوردة و تهلكهم المجاعات والتى يساهم فيها الانسان السودانى بدور اكبر من العوامل الطبيعية كالجفاف و التصحر و الفيضانات و الآفات الزراعية المختلفة ففى المؤتمر التداولى لدراسـة مشاكل انتاج الذرة [2] قدم محافظ مشروع الجزيرة ورقة عمل يقترح فيها استبدال زراعة الذرة فى المناطـق المروية بمحصـولات اخرى ... و جاء فى دراسة اللجنة الاقتصادية الافريقية (الامم المتحدة) الدورة ٣٩ [3]

" الدلائل تشير الى ان عام ١٩٨٤م فيما يتعلق بإنتاج الذرة و الدخن سيشـهد انخفاضاً يتراوح بين ٢٥-٣٠٪ في مناطق الانتاج الرئيسية فى الشرق (القضارف) و بالرغم من زيادة ٢٠٪ فى الاراضـى المزروعـة فى الدمازين إلا ان الانتاج سيشـهد انخفاضاً عما كان عليه في عام ١٩٨٣ نسبة لتدنى معدلاتـه ، وبالرغم من هذا ان السودان ظل يستورد كل عام قرابة ٥٠٠.٠٠٠ طن مـن الحبوب لـمقابلة النقص " . . .

---

(١) تبلغ الثروة الحيوانية فى السودان ٥٠- ٥٥ مليون راس من الأبقار و الأغنام و الماعز و الإبل ... يكون السوق المصرى سوقاً تقليدياً للماشية السودانية و خاصة الأبقار و الجمال ، للقرب المكانى و زيادة السكان .. غير ان تجارة الماشية تسجل انخفاضاً نسبة لقصور الهياكل الأساسية بين البلدين و خاصة مجال النقل كما ان الإمكانية المحدودة للقطاع الخاص مع عدم الحافز لا تمكنه من منافسة المصدرين الآخرين .. و تمثل السعودية سوقاً رئيسياً للأغنام السودانية .. ولكن انخفض نصيب السودان لصالح استراليا و نيوزيلنده و تركيا و بلغاريا و غيرها نسبة لارتفاع معدل استيراد اللحوم المبردة و المجمدة على حساب الحيّة ، و لارتفاع اسعار الماشية السودانية مقارنة بغيرها لارتفاع تكلفة التعليف و لتعدد الرسوم و الضرائب ، و لأسعار الصرف غير التنافسية التى يحددها بنك السودان لذا فقد انتشرت ظاهرة تهريب الماشية مما افقد البلاد الكثير من العملات الحرة ...

(٢) ١٤-١٥ يونيو ١٩٧٢م وادمدنى . .

(٣) المواقف الاقتصادى الحرج فى افريقيا الوثيقة ٥٩٤/٣٩/١٧ تاريخ ٢٣/١٠/١٩٨٤م الفقرة ١٢

وإجتمع السببان حكومة غافلة لا تتابع[1] ولا تحصى ولا تخطط وتتلكأ في توصيل الدعم وتترك مواد الاغاثة لتماسيح و"تنابلة" السوق الأسود، ومانحٌ يهدف لخلاف ما يقول ، يرغب فى الدخول فى التحديات السياسية الاقتصادية والاجتماعية للوطن ، ويحاول حل مشكلة الغذاء بجلب الغلال والمعلبات وهو يدرك جيداً ان الحل ليس الإغاثة المادية السريعة وإنّما دعم جهود الدول الممنوحة لتنمية مواردها الذاتية بتوفير المال والتقنية والكفاءات الفنية .... واعادة النظر فى سياسة الدول الغنية التجارية فى التعريفة الجمركية والأسعار ، وفتح أسواقها امام منتجات الدول النامية حتى يتم تحرير التجارة الدولية وتنزاح اوضاع عدم التكافؤ ......

وساء الحال حتى بلغ حجم الدين الخارجي على حكومة السودان ١٢,٧ مليار دولار حتى ١٩٨٩ وبلغت حجم التزاماته ٣,٧ مليار دولار .... [2] وبلغت تقديرات الانفاق فى اخر موازنة للاحزاب يونيو ٨٩م ٢٦ بليون منها ٦ بليون ايرادات من الموارد الذاتية بفرق يستدعى التمويل ١٣ بليون جنيه (التّضخّم الجنونى) ...... ويسوء الحال رغم محاولات الإعتماد على الذات حتى صنّفَ السودان كأحد أفقر خمسة دول فى العالم .... (أغسطس ١٩٩٠) [3]. ...

مأساة التنمية والاستثمار في السودان تكمن فى جبن رأس المال العربى وتردده وتقلباته والشخصية السودانية ، أىْ فى راس المال والعامل البشرى ..... وبالرغم من مرارة بعض تجارب راس المال العربى بالسودان كما قيمته دراسة المؤسسة العربية لضمان الاستثمار (الشرق الاوسط العدد ٤٢٥٥ الاثنين ١٩٩٠/٧/٢٣) ...

... (اوضحت الدراسة ان ابرز مظاهر القصور فى دراسات الجدوى التى أعدت للمشروعات التى خصصت للدراسة هى :- عدم دقّة تقدير عناصر

---

(١) سجلت مصلحة الإرصاد الجوى ارهاصات الجفاف والتصحر فى عام ١٩٨٤ بإنخفاض معدل الأمطار إلى ٦٠,٧ ملم بينما المعدل الطبيعى ١٦٠ ملم .....* (٢) ندوة ادارة الديون الخارجية فى العالم العربى - الكويت (دول ومؤسسات التمويل العربى).

* (٣) ديون السودان الخارجية بلغت حوالى ١٣ مليار دولار (السودان الحديث ١٢/٢٦/ ٩٠) ....

التكاليف سواء تكاليف الاستثمار الثابتة ام تكاليف التشغيل ....
بالاضافة الى عدم واقعية التوقعات الخاصة بالطاقة الانتاجية وتطورها ..
ونلاحظ ان غالبية دراسات المشروعات كانت تتضمن توقعات مبالغ فيها بشكل كبير .. كما تتضمن كثير من المبالغة في تنويع الانشطة بشكل يفوق القدرات المالية والتقنية للمشروع ، وبشكل لا يتناسب مع احتياجات السوق ، بالاضافة الى إختيار تكنولوجيا غير ملائمة في بعض المشروعات الصناعية .. وتعكس هذه العوامل عدم خبرة الشركة التى تعد دراسة الجدوى أو عدم أعطاء الاهتمام اللازم بدراسة اوضاع البلاد وتوفر المعلومات الاقتصادية والاحصائية الدقيقة . . .

وفى السودان تمت دراسة ستة مشروعات يبلغ اجمالى رؤوس أموالها حوالى ٧٦١,٥ مليون دولار يبلغ اجمالى المساهمات العربية فيها حوالى ٤٤٤,٥٠٥ مليون دولار أى نسبة ٥٨٪ ، ومن هذه المشاريع التى اقيمت فى السودان مشروع واحد فقط حظى بدراسة جدوى واقعية .. وفى السودان ايضا استهلك احد المشاريع العربية السودانية المشتركة خمس دراسات جدوى مختلفة ومتناقضة ، وبدأ كمشروع للثروة الحيوانية ، ثم انتهى بإنتاج الأعلاف والسلع الزراعية وتم إغلاقه وإفتتاحه اكثر من مرة بسبب خسائره المتراكمة) .

إلا ان هذه المبالغ المذكورة لا تتناسب وكمية الاموال العربية المستثمرة والمودعة في الخارج .. كما أنها اعتمدت علي خبرة بشرية تجهل حتى الظروف المناخية فى السودان والتى تتميز بارتفاع الحرارة وتشبع الهواء بالاتربة والغبار . . وتغفل حاجة المشروع المعين للسيولة المالية للموسم الزراعى الأول ...

علماً بأن اجمالى الاموال العربية في الخارج يبلغ ٦٧٠ مليار دولار ، واجمالى الاموال اليابانية والامريكية ٤٤٥ مليار دولار ، (١) ومع ذلك يستورد العالم

---

(١) المؤسسة العربية لضمان الإستثمار . . . .

العربى غذاءاً وقمحاً [1] بما يبلغ ٣٠ مليار دولار ويصرف اكثر من ذلك في الكماليات والترف والفساد والإفساد وَيُذعِنْ للسيطرة والهيمنة الاقتصادية الخارجية لتفرض عليه شروط التعامل التجارى والاستثمارى ...... وينسون السودان واراضيه وامكانياته ... ويتحدثون عن الأمن الغذائي العربى وتصيد اليابان وغيرها ، اسماك البحار حولهم وتصنعها ، ولليابان سفن لصيد السمك مجهزة للإبحار فى رِحَلٍ طويلة وبعودتها للساحل يكون الانتاج المعلب جاهزاً للاستهلاك والتصدير ومن ثم ياكله العرب فى اسواقهم معلباً ... وينَسون الانسان السودانى والعربى معاً ، فبينما أنهى البترول حرفة صيد اللؤلؤ في الخليج العربى ، تزرعه اليابان فى شواطئها وتملأ به اسواق العالم وأسواقهم أولاً . . . .

وعن إنسان السودان ، تتعدد القيود ... الخدمة المدنية وترهلها وضعف البناء الادارى والخلط للأدوار الوطنية فى فهم النقابيين والمهنيين - طاقة الخدمة والتنفيذ - ففى ظل غيبة هيبة الدولة استغلت النقابات التداخل بين الولاء الحزبى والعرف النقابى المتوازن بين زيادة الانتاج وجودة الاداء والمطالبة بالحقوق وصارت وسائل للضغط السياسى ومنابر للتعبير عن الراى المضاد للحكومات لتعهد اليها بنصيب في الوزارة موازٍ للأحزاب السياسية ... وذلك تاريخ لها معلوم منذ جبهة الهيئات اكتوبر ١٩٦٤م ، والتجمع الوطنى ابريل ١٩٨٥م ، والحكومات الانتقالية و تجربة ضغط النقابات والقوى الحديثة على السيد صادق المهدى وتكوين حكومة القصر قبل الانقاذ ... وللإنسان السودانى دور آخر فى توجيه سياسة البنوك الداخلية في التمويل التجارى والتنموى الاستثمارى فجميع البنوك ربوية واسلامية لم تؤدى الغرض منها حيث لا موضع قدم للفقير فيها تمويلاً ...

---

(١) لماذا لا يكون السودان مزرعة القمح العربى الكبرى ، وقد أزالت قوانين الاستثمار وضماناته الخوف من المصادرة والتاميم..ولا معنى للأمان بوجود المقدرة على التجميد حيث تستودع تلك الأموال فى أماكن اخرى فى البنوك الغربية والأمريكية ...

ومن المؤكد ان تكلفة هذه المزرعة اقل من جملة الأثنى عشرة مليار دولار التى ستدفعها كل من السعودية ودولة الأمارات المتحدة وحكومة الكويت مساهمة فى تكلفة قوات عملية " درع الصحراء .. " . . . . ويرتاح السودان من مشاكل توجيه سفن القمح لغير أهدافها . . .

تتعامل مع الرأسماليين ومعارفهم واهلهم ، أيّ مع الاقوى ماديا وتزيده ثراء ، لم تشارك فى تشييد البِنْية الاساسية للوطن ، ولم تمول مشاريع تنموية في القطاع الزراعى خاصة لأنها تبحث عن العائد السريع المضمون فتمارس العمليات التجارية وتفضلها ويسيل لعابها لهثاً وتتبعاً لها ... أما إن وجد تمويل لمشاريع صناعية وزراعية محدودة فإن ذلك يقوم ..... على المعرفة والعلاقة الشخصية بين ادارة البنك وموظفى الاستثمار والعميل وليس السمعة والمقدرة المالية فقط ... والأدهى والامر ان في بعض البنوك يوجد موظفون يشاركون بعض الرأسماليين مما يخل بمبدأ عدالة ندية التعامل مع العملاء ومساواة توزيع الفرص ومعاملتهم بالمثل ويتيح فرصة للمفاضلة والميل لجانب العميل الشريك وخاصة عند ندرة الفرص وكثرة عدد المنافسين ، مما يرجح كفة المحاسيب ومراكز القُوى ويُبَرِّرْ تقسيمها بين ذوى الادارة والنفوذ ....

ولم تخل من ذلك حتى البنوك الاسلامية والتى نجد ان بعض ممارساتها تُرَكِّزْ عدم القناعة بامكانية تطبيق الاقتصاد الإسلامي وتجسيده في المجتمع خلاف ما هو مخطط له ومؤمل فيه ، وفق ما يلزم ذلك من تركيز لمعنى ان المال فى الاسلام مالُ اللهُ والإنسان مستخلف فيه ينفقه وفق توجيهات القرآن والسنة ، متبعا عدم الإكتناز وعدم الإحتكار ، والمداومة على إعمار الارض ، واستثمار المال وزكاته وتحقيق التكافل الاجتماعى من خلال الزكاة والقرض الحسن ....

وقد ابتعدت البنوك الاسلامية في بداية عهدها ، ولزمنٍ يشكل أغلبية عمرها ، عن الدخول في الإستثمارات الزراعية والحيوانية راكنة للعمليات التجارية سريعة العائد بكل أنواعها ودرجاتها ، مما يؤدى لتركيز الاموال عند الاغنياء ذوى الضمانات المالية والعقارية .. ورفضت تمويل المشاريع الزراعية بنوعيها النباتي والحيوانى بحُجَجٍ مختلفة ولأسبابٍ غير موضوعية وبصيَغٍ وردود تبريرية شَمّ منها البعض رائحةً أنّ البنوك الاسلامية تعتبر الدخول في تمويل التنمية الزراعية كأحد بيوع الغَرَرْ التى تحتوى علي جهالة أو تتضمن مخاطرة أو قماراً ، لأن الزرع والضرع تحفهما إحتمالات المخاطرة والهلاك

الجزئى أو الكلّى المفاجىء .... فعلوا ذلك ونَسوا بأن المال رغم إنه خادمٌ أمين ، إلا انه سيّدَ قاسي ربما يزيف الشعور بالأمن و الإستقرار مما يبعد فكرة الاعتماد علي الله صاحب المال ... و بما ان المال يساعد على ابراز عامل الإحساس بالأمن تجاه المستقبل ، و يدخل الطمانينة في مسيرة الحياة ، مخادعةً و تخديراً ، لذا فهو يصلح تماماً ان يكون ميداناً عملياً لإختبار حقيقة التوكل ....

و يعتبرها البعض بنوكاً مَختَرقة ، نسبة لأنها تضاد فكرة الربا فى البنوك غيرها ، و نسبة لظروف تاسيسها زمن السلطة المطلقة و شكوك المصالحة ، مما ادخل فيها حسابات أمن السُلطة بادخال بعض العناصر ، وكذلك وَجد فيها طالبى الثراء فرصة لادخال بعض من يرعى شئونهم و مصالحهم من دون ايمان بالفكرة و بكل مجهود للجمع و التصريف .. و أباض أمثال هؤلاء و أفرخوا واقنعوا غيرعم بسلوك نفس الطريق .. و بالرغم من ان هنالك من لاحظَ واحتَجَّ و ذكَّرَ إلا انه سرعان ما يغادر المؤسسة كامثاله ، إمّا إبعاداً او احتجاجاً أو تَنَقُلاً .... وصحب تجربتها من تربع على رأس الادارة أو صار عموداً ضمن قمتها ، إمّا مداهناً مرائياً لا يؤمن بفكرة الأسلمة الاقتصادية ، ولكنه يسير مرغماً بنيته او بفعل غيره مَنْ هو فاقد لسابق التجربة المصرفية المالية أو المعرفة الاقتصادية و لكنه مَسنُود و مدفوع بُركن أهل الثقة و الولاء السياسى او التنظيمى ... كل ذلك و غيره جعل ثَمّة فجوة بين الفتوى والتطبيق فى تجربة البنوك الاسلامية لان بعض موظفيها يتخطون الفتوى تنفيذاً و اهتماماً بالعمليات التجارية و الاستثمارية فى حدود ضماناتها المالية دون سلامتها الشرعية ....

وجاء اخيراً ما يؤكد ذلك من قمة خبرائها ، و بشهادة شاهد من أهلها

" لا توجد مؤسسات عملية تجسد الإقتصاد الإسلامى وتجارب البنوك الإسلامية الحالية فاشلة بسبب الطفرة و الاعتماد على العاطفة " ..... (١)

** (١) أحمد النجار – الأمين العام للبنوك الاسلامية (المسلمون العدد ٢٧٩ يونيو ١٩٩٠م)

(منَ رضِى عن نفسه كَثُرَ السَّاخِطين عليه)

قصتان تلخصان الشخصية السودانية كعامل تنمية .... احدهما في بلاد الانجليز المستعمر السابق ومن عرف السودان عن قرب ومعاشرة، والاخرى فى امريكا الدولة العظمى ... ومن يغيب عنه دور امريكا في ارض السودان[1] والعرب ... أولاهما : ذكر ان مفتش انجليزى عمل بالسودان ويعمل يومئذ خفيراً لعمارة، نسبة لان المعاش لا يكفيه، بان الحاكم الانجليزى كان يقول لهم " لا تعاملوا السودانيين كالهنود لأن السودانى لا يُذَلْ فهو يُمكنُه ان يعيش بالضَرّابةَ (الويكَة) والذرة وحدهما ولا يرضى ان تهان كرامته " .... كان ذلك ايام المجاعة فى السودان ٨٤/٨٥ وقال بان " السودان الذى يعرفه لا يمكن ان يصل الى ما يطالعه فى الصحافة العالمية حتى ولو حكَمَتْهُ لجنة تخريب أُوكِلَ اليها مهمة دماره " ... ولعل " الخواجة " قد بكت نفسه مواضى الايام ودار بمخيلته شريط الذكريات بأرض الخير والبركة وسهولة الحياة .. وتذكر المناظر التى يراها من فوق ظهر جمله وحصانه عند المرور، وتذكر اشتراكية النّفِيرْ والضَحْوة والسَرْبَةْ والضرّاَ وايام الفكي والخَلْوة واصرار البحث عن الماء بالرَقْعة والرّشَا من جوف الآبار وتخزين ماء الأمطار فى جوف أشجار التبلدى ... ومُرِحاتْ الإبل والضأن والماعز تتوسط خُضرة وِديان الخريف . ومواكب الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ٌ وتعاون الدّفيعَةْ والخَتّةْ فى مناسبات الأفراح والأتراح ، وصنع وتقديم الطعام للضيف والمحتاج .... وبذر الذرة للغاشي والماشي .... وتخزين المحصول فى السّويبَةْ والمَطْمُورة، وتذكر قُرّاصة القمح وكِسْرة البَفْرة (الكَسَافا) والكَابَيْدة وتراءى لناظريْهِ قدح العَصيدَةْ المحدودب الظهر يكسوه بياض الرُوب وبريقْ السمن وصفرة الدخن (وليس من رأى كمن سمعا) .... اما القصة الثانية فقد حدثت فى عام ١٩٦٤م عندما ذهب راويها مبعوثاً لامريكا- لجامعة اوهايو لدبلوم التسليف الزراعى ...

---

(١) رواهما شفاهاً للكاتب السيد يعقوب ابراهيم عثمان - الخرطوم الرياض مايو ١٩٩٠م .

وكان المحاضر يومها مستشاراً في البيت الابيض الامريكي يقول : "وصل تقرير للبيت الابيض بعد استقلال السودان ١٩٥٦م يفيد بأن كل عوامل التنمية الزراعية متوفرة في السودان ، الأراضي الخصبة الواسعة المستوية والمسطحة، و النيل و الامطار ... و بما انه الأقرب الى الأسواق الاروبية فهو يشكل خطراً بالمنافسة التى تضر بمصالح امريكا الزراعية ، و خاصة في الحبوب الزيتية و الأعلاف ، وخاصة بوجود فائض المال فى امريكا و المانيا و اليابان "وواصل " وفى رأيي ان ذلك لا يُشكّلْ أى خطر حسب نظريتى التي تقول بان للعامل البشرى فى التنمية ٩٠٪ ، و ما تبقى ١٠٪ للمال و الارض ، و الدليل على ذلك اولاً العنصر البشرى فى اليابان و المانيا و أسرائيل و ما احدث من تغيير ، و العامل البشرى في السودان صفر ٪ و الدليل على ذلك منذ ١٩٥٦م و حتى اليوم ١٩٦٤م أضطررنَا ان نمنحهم جزءاً من غذاء خنازيرنا و حيواناتنا و دواجننا لنهب لهم الحياة و اصبح المنافس يغاث نسبة لضعف العامل البشرى " ...

وقال العم يعقوب [1] (إنها قصة مؤلمة ولازالت عالقة بذهنى وأصبت يومها بالخجل و غشينى الإحباط ولم استطع مواصلة المحاضرة لملازمة أعراض الإنهزام النفسى) . . . . و ذكرته بان ذلك تكرر فى عام ١٩٨٥م و لا زال الوضع كما هو فى ١٩٩٠م ... ولقد تكررت مشاركة الشعب السودانى خنازير امريكا و حيواناتها فى غذائها عام ١٩٨٥م [2] . . . . . .

---

(١) ١٩٦٤م مدير فرع الخرطوم ، و مدير التسليف بالبنك الزراعى . . .

(٢) في الموسم الزراعى ٨٩/٩٠م اضاع السودان عشرات الملايين من جوالات الذرة بعذر نقص الايدى العاملة و غلاء عمليات الحصاد . وفي موسم ١٩٨٩م بلغ الإنتاجي الإجمالى للذرة ٢,٥ مليون طن فقط (صحيفة الإنقاذ) ، ليقفز سعر اردب الذرة لأكثر من " ٢٢٥٠ " جنيه فى مناطق الإنتاج ... و يستمر سوء التخطيط والإدارة و الإحصاء و حس التوقع الخاطىء ، .... إنه صراخ البطون و هتاف الجياع ولعبة السياسة فى السودان ، وكلاهما يهمه رعد الأمطار و برقها .... مما اضطر وزارة التجارة لتسعير الذرة و إدخالها بطاقة التموين ، و شراء كل المخزون بواقع الجوال ٦٠٠ جنيه بسعر يفوق ضعف سعره عام ١٩٨٥م... وفجأة تعلن وزارة التجارة عدم تدخلها فى شراء الذرة لموسم ٩٠/٩١(السودان الحديث٧ نوفمبر)وتمنع البنوك التجارية من الشراء لصالحها أو صالح عملائها ..... ويتوقع انيكون إنتاج ٩٠/٩١ ، ١,٦ مليون طن .

ومتابعة لذلك حضرَ بَوشْ نائب الرئيس الامريكي يومئذ شخصياً للسودان وزار معسكر النازحين حول مدينة الأبيض، حاضرة عروس الرمال، في ١٩٨٥/٣/٧م حيث انبرت امرأتان ترفعان الدعاء واكملتا جملة بسيطة، جمعهما أثر الموقف وتوافق الإنفعال ورد الفعل ... " بوش [١] ربنا ينْطيك حَجّة [٢] ويَدخلّك الجنّة " [٣] .... انها جملة بسيطة يحسبها من يقرأ بالنظر تعبيراً ساذجاً ونكتة بلدية جمعت بداهة الريفي بشمال كردفان ولهجة البَقّارة بجنوبها الغربي . ولكن القارىء المستبصر يجدها ذات أَبَعْادِ شتّى فهي تجمع وقَع العطاء وأريحيّته وفاعلية الدعاية [٤] وتدبير المخبرين، ووقع المشاركة الوِجدانيّة الميدانية، وفيها عُمقٌ وسَذَاجَةُ فطرية التّديّنْ الشعبي في انسان السودان القروي البسيط ..

---

(١) البَوْشْ حفل العرس والختان في القرى والأرياف والوديان والفُرقَان، تجمع الوليمة فيه بين العظم واللحم وقدح العصيدة وكأس الخمرة ((المَرِيسة)) و((العَسليّة)) لمن يرغب وحسب الطلب والمجموعة .....

(٢) ينْطيك : يعطيك

(٣) ذهب رهط المرجفين في المدينة ينقلون الخبر ويزيدون فيه، وهم يعملون براعة النُكْتة السياسية والكراكتير في تلخيص المراد (كانْ بَوشْ ما دخل الجنة إلاّ تَكون سلَبطَةَ ساكتَ) ، .. فقد كان اللواء الفاتح بشارة وقتئذ اميراً حاكماً لكردفان، والناس على دين ملوكهم ، وفي الاذهان قصة اتهامه لبنك فيصل الاسلامي بتخزين الذرة والفحم ... وتلك غميزة يؤكد بها عداءه السياسي للحركة الاسلامية وخاصة بعد المصالحة والمشاركة في عهد مايو ...

(٤) لم تكن المساعدات والإغاثة الامريكية غرض في ذاتها، وانما كانت تكتيك وواسطة المنظمات والغرب لتحقيق الاهداف المبرمجة، ليحكم سيطرته على القرار السياسي ، .. فقد أُكْتُشِفَ احتواء بعض صناديق المواد الغذائية وعلبها على اسلحة وذخائر في معسكر النازحين بالمجلد بكردفان بعد ان ذهبت مايو .. أين من ذلك فشل وانحراف جهود الاغاثة السوفيتية في اثيوبيا .. وا خيرا تساوم امريكا واسرائيل اثيوبيا بعد سقوط مَصوّعْ في ايدي الثوار بان تستمر عمليات الاغاثة مقابل ترحيل بقية اليهود الفلاشا الاحباش ... إذن هي عندها كليهما سلاح استراتيجي سياسي ...

وهـى نتيجة الجهل المراد الموروث المَغْرُوسْ وغَفَلَة ، الامير و فيها حرارة الدعـاء وصدقه وسرعـة إنطلاقه . . . .

بلاد السودان التى كانت تجد رزقها رغداً فى كل مكان زرعاً وضرعاً ، تجمعت عليها عوامل الطبيعة (الجفاف والتصحر وجرف التربة وتغير المناخ و قلة الامطار وانعدام المراعى) وهوانَ بِنيهاَ وقُعودهم واهواؤهم وخمـولهم ومطامع الشعوب . . . إنّـها . . . .

الاراضـــى الممتــدة الخصبــة .. .. ..

باطن الارض يضم المعدن والبترول .. .. ..

وطن فيه كل هذا لا طريق له غير التنمية حتى يفى بالديون لضمان تَدَفّقْ المال لاكمال ما بدأ وبداية ما يَدرّ الخير ... إن جاء عفو الدين من صاحبه فذلك شانه وتلك ارادته ، وإلا فلابد من الوفاء به .. فقد سبق أنْ نادى أحد الروساء الافارقة بالتمرد على الدائنين وسبق ان اعلنت بوليفيا تجميد دفع اقساط ديونها الى حين ... واعلن رئيس بيرو (الان قارسيا) فى ١٣/٥/١٩٨٥م تمرده على الديون وعلى صندوق النقد الدولى ... وطلب جيوليوس نيريرى رئيس تنزانيا من الدول الافريقية الاتحاد حـول ما اسـمـاه (سُلْطَـةُ الدّيْن) بالتمرد على الديون العالمية وعدم دفع ارباحها المستحقة ... وقال الرئيس الاثيوبى منقستو عن ديـون أفريقيا التى فاقت ٢٥٠ مليار دولار .. " إنها لم تعد فقط مصدر قلقٍ بل ، لم تعد لدينا القدرة لدفعها . " [١] . . . بالنسبة للسودان يمكنه ان يَفى بديونه اذا دخلـه رأس المال العربى الكبير الذى يعمل فى خارج ديار العرب واذا استطاع السودان بعد ذلك ان يؤَمّـن جـزءاً من الغذاء العربى تكون تلك عدة فى حرب الغذاء والمياه القادمة ولتسير الاقطار العربية خطوة نحو الوحدة ولا وحدة بدون تنمية أقتصادية [٢] . . . .

---

(١) افتتاح مؤتمر القمة الأفريقى بأديس أبابا يوليو ١٩٩٠م (منقستـو)

(٢) هل يمكن ان تكون مجالس التعاون الاقتصادى العربى الاقليمى (مجلس التعاون العربى ، مجلس التعاون الخليجى ، مجلس التعاون المغاربى) نواة للوحدة الاقتصادية العربية الشاملة .. أم هى مجرد واجهات سياسية إعلامية تعيش أوهاماً بعيداً عن الواقع كما أظهرتها واقعة الإجتياح ، العراقى للكويت ، ليكفى عنها تحالفاً غربياً عربياً امريكياً ، يحدد مسار الواقع العربى الجديد . . .

لقد بدأت الخطوات و العمليات الوحدوية في اوربا و سيتم اعلان البيت الاوربي الكبير (السوق الأوربية المشتركة) [1] في بداية عام ١٩٩٣م و بدأت الدول الغربية و المنظمات الدولية تخفيض مساعداتها لدول العالم الثالث و توجيهها لدول شرق اوربا بعد التغييرات الإنقلابية التي طرأت على نظم الحكم هناك لمتابعة الاصلاح الاقتصادي ، و سيلحق بذلك تغيير كامل للاستراتيجيات الدفاعية باعادة تنظيم حِلفَيْ النّاتو ووارسو العسكريين و خلق بديلٍ أوربي مشترك عنهما . . . .

و لا يزال السودان كغيره من الدول ذات الاقتصاد الوطني في طريق النمو يواجه صعوبة رأسمال كاف للتنمية ، وذلك نسبة لحلقة دائرية تحيط بالسياسة الاقتصادية ... (لا يمكن توفر راسمال ضروري للاستثمار لان ذلك يتطلب ارتفاع ملحوظ في الدخل القومي ومن اجل هذا لابد من زيادة الاستثمار) [2] ...... و الراسمال المطلوب نقديا و تقنيا (اجهزة و تجهيزات) ... وبما ان السودان هو احد دول التقنية المحدودة فانه مجبور لتوجيه المساعدات الاجنبية لمحاربة البطالة و التخلف وهي مساعدات مشروطة (شروط سياسية) [3] وهي اقل حتى من الحاجة ، و شروط فوائدها تثقل كاهلَ الاقتصاد الوطني النامي ، وبما انها تدخل في هوة التخلف و البطالة العميقة فلا اثر يظهر لها ، هذا ان خرجت من افواه تماسيح السلطة و السوق . . . .

وليس أنسب للسودان من أن تنطلق تنميته من الداخل و بعوامل ذاتية وطنية باستثمار موارده الداخلية وتطبيق نظرية استثمار العمل .... و التي نجدها متأصلة في روح التعاون السوداني ...

---

(١) مشروع (أوربا ١٩٩٢م) سوق اوربية كبرى يتحرك فيها الافراد و رؤوس الاموال و السلع و الخدمات بحرية تامة و بدون ادنى قيد او شرط بين أثنتي عشرة دولة هي الاعضاء في الجماعة الاوربية .. ويتمثل ذلك في ازالة كل الحواجز و الحدود المادية و الفنية و السياسات الاقتصادية التي تقف عائقاً امام إنتقال الاشخاص و البضائع و رؤوس الاموال بين اعضاء الجماعة . . .

(٢) تم حل الجناح العسكري لحلف وارسو في ١٩٩١/٢/٢٥م في بودابست و أبقى على الجناح السياسي حتى عام ١٩٩٢م في اجتماع حضره اعضاء الحلف الست . . . . .

(٣) التفسير الرأسمالي للتنمية . . . . .

(ان الرأسمال و استثماره هو الذي يحدد ارتفاع الدخل القومي و يحدد مستوى القوى الضرورية للانتاج او مستوى الشغل ....)

وقد جربت هذه النظرية عالميا فى ظروف محدودة في محاربة العطالة المقنعة واستخدام الاراضى ، ولكن يمكن تطبيقها حتى تكون اداة للتنمية الاقتصادية فى الاراضى الحكومية والملك الحُر الغير مستغلة او غير المستغلة بما فيه الكفاية .. وتوزيع فائض العمالة والبطالة المقنعة عليها ليتكون رأسمال لازم للاستثمار بعد الانتاج والنمو الاقتصادى .... وبذا يتوازى استثمار القروض والمساعدات واستثمار العمل المحلى علماً بان الاستثمار الخارجى فى افريقيا يُوَاجَه بالإضافة الى عدم الاستقرار السياسى بالفساد المالى المستشرى فى مجتمعاتها وسلطاتها ، وتزايد البيروقراطية وانشغال الأنظمة فيها بِأمْنِهَا السُلطوى والشخصى بعيداً عن دائرة أمن الدولة ، اكثر من انشغالها بالتنمية ... وان تجربة المستثمر الاجنبى في السودان امامها ماضى تجربة بعض البيوتات المالية والعائلات العاملة فى مجال التجارة والتى خرجت بتجربتها الميدانية وامكانياتها العملية بعد سَوْدنة التجارة بعد اكتوبر ١٩٦٤م ، وكذلك مضايقات الرقابة العامة بعد مايو ١٩٦٩م ، وان هذه التجارب بالرغم من انها تَمّتْ علي المستوى الفردى إلا انها تعكس اثراً فى زعزعة ثقة المستثمر وسكون إطمئنانه علي مصير امواله ، كما ان المستثمر الأجنبى امامه المفاضلة بين اعظم الفرص وتَنَّوعها لاستثمار امواله فى كل بقاع العالم ، وان المستثمر المحلى اكثر ارتباطاً بوطنه لتوجيه استثماراته داخلياً ما استطاع وما أعين على ذلك ....

إنّــه (فَــتىً ولا كَمَالــكْ) .. ..

ما سرُ مارد الشرق الاصفر الذى اخاف الغرب ؟! ....

اليابان كيف قامت من كبوتها الذرية (هيوريشيما - ناجازاكى) ونافست الدول الصناعية الغربية فى اسواقها وتفوقت عليها . وصنعت منتجات عالية التطور التكنولوجى والجودة ، لا سيما فى الالكترونيات والكمبيوتر والروبوت وصناعة السيارات لتهدد بها الاسواق الغربية فضلاً عن المنتجات الزراعية ... حدث ذلك لاهتمام اليابان بالناحية العلمية بتغيير اتجاه السياسة التعليمية مرحلياً لمواجهة احتياجات المرحلة.. وللاهتمام بالدراسات المستقبلية ،

وان اليابان قد نبذت الحروب الى الأبد [1] والتزمت بالسياسة الدفاعية البحتة (قوات الدفاع الذاتى) وانها توجه السياسة لخدمة الاقتصاد، واتبعت إنتهاج سياسة خارجية محسوبة بعيداً عن الانفعالات والتشنّجات والمغامرات ... كما يمتاز اليابانيون فى العمل بالنظام والدقة، وفى التعليم بالدراسة والبحث والعمل والتربية، ويملأون نفوس الشباب الفتيّة بقوة الابتكار، ويتعاملون على أساس التربية والأخلاق، ويقوم العمل الحُر بعيداً عن الاستغلال، فلا المؤسسة تستغل العامل ولا العامل يستغل وظيفته لانه يعلم أنّ سجله الأخلاقى ينظر اليه قبل الكفاية و الشهادات ... ويستمر عطاء العامل بلا تحديد لسن معاش حيث يصل الانسان سن المعرفة والاتقان والخبرة والهدوء ... ويسير التعليم سوياً مع التربية والسلوك، والانضباط مع تنمية المهارة الفردية وتركيزها .... وترجع طفرة اليابان للبرنامج اليابانى للتعليم، حيث يعتبر خيرُ برامجِ العالم التعليمية، وأن المتعلم اليابانى اكثر شعوب العالم إحاطة بالخبرات الضرورية في حقول المعرفة المختلفة ....

وتتركز الثروات لدى الشركات الكبيرة مع توازن القطاع الخاص والعام .. ولكل من المدير والعامل والتقنى نصيبه كشريك حسب الاداء والبذل والاخلاص . ونجد ضمور او زوال الفوارق الاجتماعية العميقة بين افراد المجتمع مع تحديد الخطأ فى أوانه، وسرعة الحسم مع عدالة الأحكام وصرامة القوانين وسطوة التقاليد والاعراف، وتنعدم فى مجتمع اليابان الصراعات القبلية والعشائرية والمذهبية الدينية والايدولوجية ... وتتحمل المؤسسات الخاصة فى اليابان العبء الأكبر من نفقات البحث والتطوير ....

(1) بالرغم من معاهدة الأمن بين امريكا واليابان عام ١٩٨١م، إلا ان الكونجرس الامريكى يحاول ضغط اليابان لتزيد من حجم انفاقها العسكرى، ولتعمل على تصحيح العجز فى الميزان التجارى بين البلدين ..... وبعد عملية الإنتشار العسكرى فى دول الخليج (درع الصحراء) ، سيساهم اليابان بعدد ثلاثة مليار دولار من جملة التكلفة الكلية والبالغة ١٥ مليار دولار للعام المالى ١٩٩٠م ... علماً بان باليابان ٥٠ ألف جندياً امريكياً منذ الحرب العالمية الثانية وقد أجاز مجلس الشيوخ الامريكى (سبتمبر ١٩٩٠) مشروعاً يقضى بانسحابهم بشرط دفع اليابان تكلفة اقامتهم طوال هذه المدة والبالغة ٢٨٣ بليون دولار

حكى احد من زاروا اليابان قصته في زيارة احد المصانع وكيف انه طاف على الوحدات المختلفة للمصنع بصحبة مرافق واحد فقط وكيف انه لاحظ شريطاً احمراً على أذرع بعض العمال المنهمكين في العمل بينما لا يوجد عند زملائهم الآخرين .. وعندما سأل مرافقه اجابه بان ذوى الشريط الأحمر مضربون عن العمل مما يستوجب بحث مشاكلهم ... اين من تلك الاضرابات المتكررة وسحب بعض الاجزاء من المكَنْ والأجهزة سراً حتى لا يدركها من يحاول العمل ؟!!..

ولعلكم تذكرون جيداً كيف فقد " تاكاشيتا " رئيس وزراء اليابان منصبه وسمعته ومستقبله السياسى عندما اشترى اسهماً باقل من سعرها الحقيقى قبل طرحها على الملأ ومن لا يعجب اذا علم ان امبراطور اليابان السابق " هيروهيتو " والذى يُعَدْ من اغنياء اليابان تبلغ ثروته ١٣ مليون دولار .... المبلغ الذى يملكه العشرات من السودانيين فى بلد فقير يستجدى الآخرين المال لإنتاج قوته ..... حيث يندر وجود المواطن الوفى المستشعر لواجبات الانتماء الوطنى ، وحيث روح المواطنة ينخفض لدى معظم افراد المؤسسات والشركات الخاصة مهما وصفوا بالراسمالية الوطنية .. انهم يتصفون بالجبن الاستثمارى ويركنون للاعمال التجارية التقليدية ، وتشجعهم على ذلك البنوك لأنهم يملكون الضمانات و (يُفكُون حيْرة) الموظف ، ولأنهم مثل البنوك يفقدونَ التعامل الاخلاقى فى المال والاقتصاد ... لذا فان اليابان فتى غير السودان .... اليابان اغنى دول العالم لان مجموع اصولها المالية فى عام ١٩٨٧م بلغت ٤٤ ترليون دولار بينما بلغ مجموع أصول امريكا المالية فى نفس العام ٣٦ ترليون دولار (١) وابحث لتعرف كم كان عجز السودان في ١٩٨٧م لتعرف الفرق بيننا وبين مارد الشرق الأصفر !!!..... إنهم يستثمرون طاقاتهم البشرية ويبيعون ثمار عقولهم ابتكاراً يدفعه الآخرون من مواردهم الكامنة فى باطن الأرض وسطحها فتزيد طاقاتهم وقواهم العقلية وتتناقص عند من يدفع الثمن.....

---

(١) مجلس النقد الفدرالى الأمريكى (البنك المركزى) ، ووكالة التخطيط اليابانية ...
(الترليون يساوى ألف مليار) .....

(قطرة الماء اذا دامت تُثقِب الحجر) ......

** " ملعون ابوكى بلد "

** ليت اللحى صارت حشيشاً فتعلفها خيول الإنجليز ......

** لو أغلق الباب فاستعصت مغالقه نادوا خبيراً من المكسيك منتدباً ....

** الميرى كان فاتك إتمرمَق فى دربه ....

** ودار ابوك كان خربت شيل ليك منها شلية ......

** وبعـــــد

ابحث عن دورى ودورك ، وفعل غيرنا وقول غيره .. عد بذاكرتك الي موقف صديق او سلوك خاطف عابر ، او تصرف هو غير مسئول لفرد او جمع فى الاسواق والأحياء والأرياف فى فيافى واصقاع البلاد ، فإنها قطرات تتجمع فتسقى وتنبت وتحيى او تهدم وتجرف وتدمر لتحدد ما هى مساهمتك في دفع الديار نحو هاوية الدمار ، واستبصر كيف يكون الخلاص لتعرف مَنْ وما هو الفأر الذى يقطع في الظلام ليهدّ سد مارب ، واين يَكمُنْ مَصّاصو الدماء والبعوض الذى أدمى مقلة اسد افريقيا الهصور ليصير جريحاً يوصف برجل افريقيا المريض ......

سمسرة سوق ، تخزين غذاء ، تجارة تموين ، سرقة الدواء وقطع الغيار ، سحب الوقود من خزانات عربات الدولة ، او اساءة استخدام أو استغلال سلطة زيادة استهلاك كهرباء وترك صنبور المياه ينقط طوال الليل ، ولعن ابو البلاد ، تعطيل درس او غضبة تشل التفكير فيضيع فضل وفعل القدرة والمثال ... عدم اماطة اذىً عن الطريق أو تقصير في أمرٍ بمعروف او نهى عن منكر ، غياب عن العمل واصطناع لعذر غير صحيح بموت جدّ أو قريب ، أو تحرير شهادة مرضية بالزور .. تزوير أو تقرير كاذب بزيادة طلبية أو عطاء أو زيادة ساعات عمل اضافى ، أو عدم تدبير واقتصاد لمواد فى صناعة الطعام او ترك ارض بور بلا زراعة ... هتاف لامير فاسد أو وضع صوت لانتخاب حقود او فاسد ، موتور ... اعجاب بقول او تصفيق لمتحدث يحسن التدمير والتزوير ... لا يهم المكان .. هناك في الاقاليم وبعيداً عن

الخرطوم تجد من يهدم بمعوله فساداً وهو غير معلوم حتى للقلة من حوله ... ولكن ولاشك ان كل احد يعرف دوره تماماً ... وهنالك من لم يذكر اسمه أو قوله أو فعله . وربما كان دوره في الدمار والهدم اكبر من كل ما ذكر

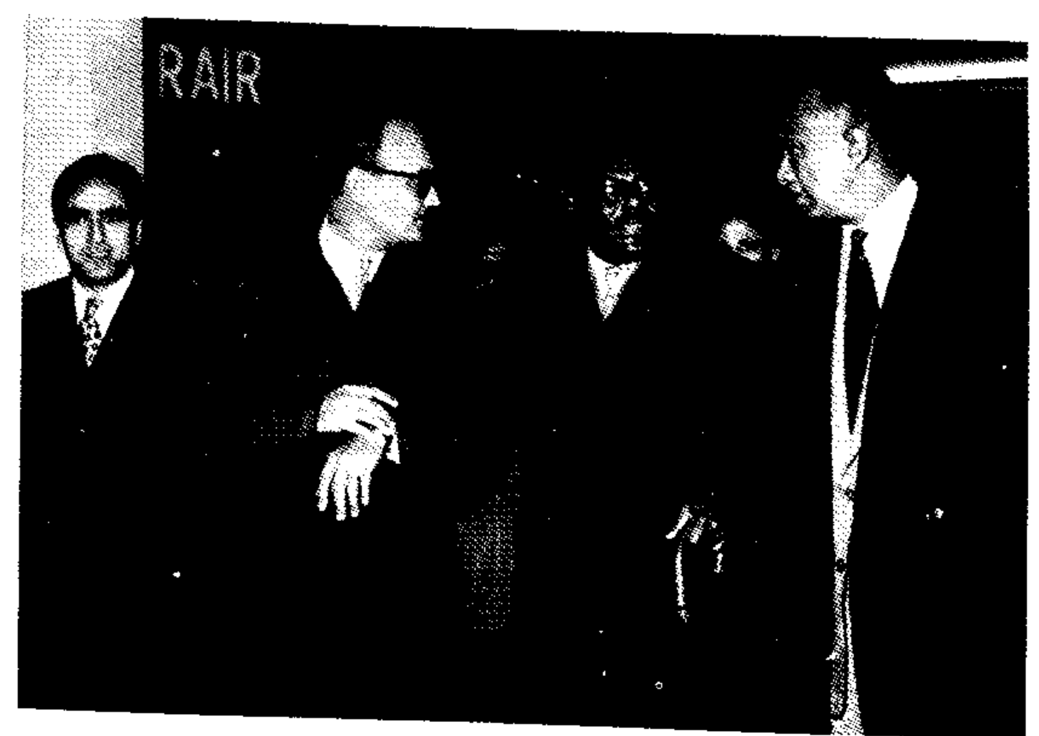
تحسس موقعك في صف دافعي البلاد نحو الهاوية وليس مُهماً ان تشكل لك محكمة أو يطالك القانون .. فكم من فاسد وفاشل تخطى رقبة القانون ولم تشكل له محكمة ، ولكن احذر مراقبة الضمير البشرى وصحوته وأحذر عين الله التي لا تنام ....



البدايـة ...
إتفاقيـة تقرير المصير

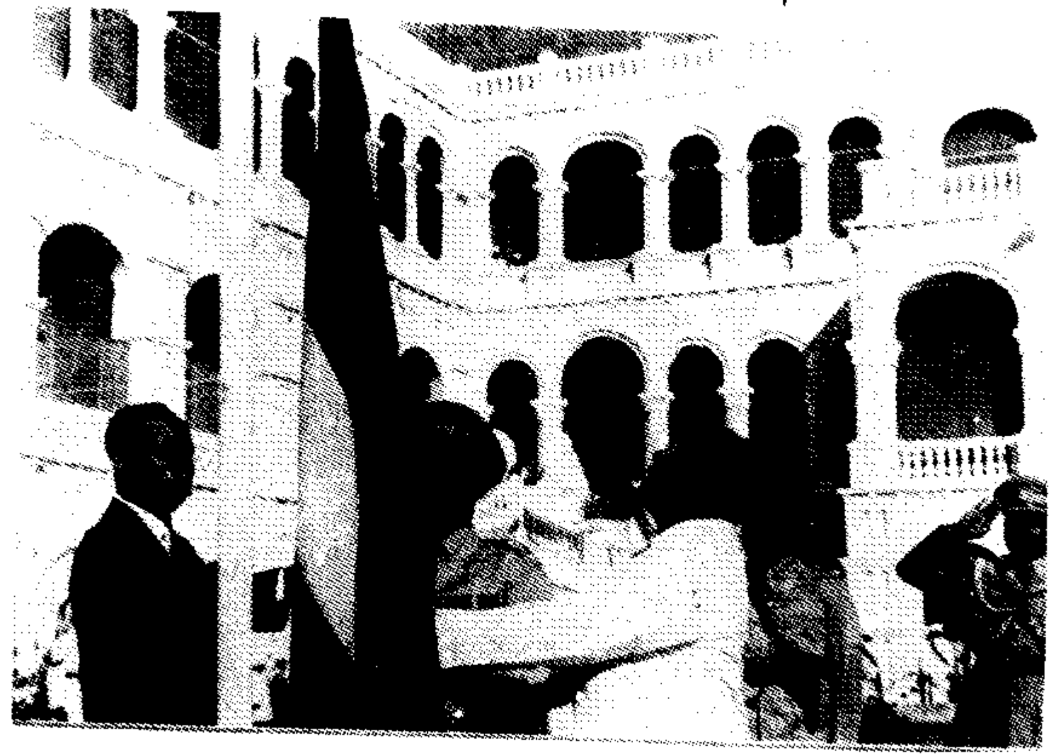
الرئيس جمال عبد الناصر و الزعيم الأزهرى





الزعيم الأزهرى و الصاغ صلاح سالم

تم التحرير و بقى التغيير و التعمير



إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

الباب الثالث

وجــاءت الأحــزاب

(أ) الأمة و الأنصار

(ب) الختمية و الاتحاديون

(ج) الحركة الاسلامية

(د) صفـوة جنوب الوطن

(هـ) جبهة التحرير السودانية الوطنية

(و) الشيوعيون وقوى اليسار

(ز) الجمهوريون

(أ) الأمة والأنصار

من التاريخ ...

ولج الامام المهدى وحركته المهدية لمجتمع السودان وهو يمتطىء صهوة حصانه رافعاً راية العقيدة الإسلامية .. فلقى الاتباع والأنصار واذكى فيهم معانى الجهاد وروح الكفاح والوطنية .. وتعهدهم بالتربية الدينية الروحية والبدنية العسكرية ، فإنصلحت بدايته واكمل بهم ماأراد...

وعندما اعلن المهدى ، الصوفى السمانى الطريقة ، مهديته الدينية ثورة وطنيه قومية داعياً كل الطرق الصوفية يومئذ للإنضمام تحت راية الكفاح والجهاد ، لبت نداءه ، واختارت الطريقة الختمية صف المستعمر التركي-المصرى وذلك حرصاً على كسبها الديني .. وهو نفسه موقفها من المهدية عندما صحبت دخول الغازى الانجليزى المصرى ، وهو يكتب نهاية الثورة المهدية فى كررى ، ويقتل الخليفة فى ام دبيكرات ..

وجد المراغنة فى ذلك فرصتهم لتجميع شتات المريدين الذين فرقتهم المهدية ووسعوا دائرة نفوذهم فى شمال وشرق السودان مما جعل المستعمر حليف الأمس يفكر فى تحجيم قوتهم و تسخير جهد ابناء المهدى ذوى الإرث الدينى ليوازى توسع الختمية ، وبذلك يكسب الانجليز نجاح فكرة التحجيم ويجدون فى المهديين عناصر إسلامية تعادى لهم الأتراك ، سابقيهم فى اذلال واخضاع السودان... ووجد وَدّ الانجليز هوىً فى نفوس الأسرة المهدية مما جعل صغيرهم عند الغزو (السيد عبد الرحمن المهدى) يسافر مختاراً فى ١٩١٩م ليقدم سيف الامام المجاهد هدية للملك جورج الخامس ، ملك [1] بريطانيا.... فما كان من الجلالة البريطانية غير قبول الهدية ثم ردها لمهديها...... ولعله خيراً فعل فبذلك أنجى الابن من غضب الأجيال ومعَرّة السنين بتضييع حسام الكفاح . . .

---

(١) كان رد ملك بريطانيا عندما خاطبه السيد عبدالحمن " إن الحرب التى كانت بيننا قد انتهت "......" بل احتفظ بهذا السيف لك و لأبنائك لمقاتلة أعداء الامبراطورية فى افريقيا ... "

أن مافعله كتشنر الغازى وجيشه من هدم لقبة الامام[1] بالبقعه المهدية لم يكن الا لأنه قد ضرب منهم كلّ بنانٍ واصاب منهم ومن استراتيجيتهم الاستعمارية كل مقتل بسيفه الهدية ....

والذى لولا فعله فى الماضى بهم وما تركه فى تضاريس ذاكرتهم من ثبات وجهاد ، لما دمعت عينا الامام عبدالرحمن المهدى فرحاً بالاستقلال صبيحة رفع العلم وهو يتمثل الشعار الاستقلالى (السودان للسودانيين) ، والذى لم يكتمل إلا بعنصر المفاجاة الأزهرية و امتطاء مؤسسات التطور الدستورى لإتفاقية الحكم الذاتى ، و التضحية بحلفاء الأمس السند المصرى و قيادة الختمية ... (فتـل فى الزروة والغـارب) ...

وتوالت هبات الإنجليز لابن الامام واسرته ... أراضى واقطاعيات بأواسط الجزيرة ، والجزيرة أبا ، ثم أمدوم وسوبا والسّقاى ، مما مكنه من تأسيس البنية الأساسية لدائرة المهدى الإقتصادية والاجتماعية ....

---

(١) .. جاء فى بعض المراجع التاريخية (كحرب النهر لتشرشل) ان كتشنر ورجاله نبشوا قبر الامام المهدى واخرجت جثة ومثّل بها وقطع الرأس عن بقيه الجسد وارسل لانجلترا وألقى ماتبقى من الجسد الطاهر في مياه نهر النيل ... ومهما كان نصيب ذلك من صحة تاريخية ووقع احداث إلا إنها لاتنقص البطل المهدى الثائر شيئاً ولا تنال من مكانته الوطنية المتاصلة فى نفوس السودانيين جميعاً نسبة لصراعه ومقاتلته الجسورة لطرد المستعمر وتحرير السودان واقامة دولة المهدية... فمن قبل أهدى رأس النبى يحيى ابن زكريا إلى بغى من بغايا بنى اسرائيل ، وحدث فى تاريخ الأسلام أن رأس الصحابى المهاجر عمرو بن الحمق الخزاعى هو أول رأس فى الاسلام ينقل من بلد الى بلد أخر حيث قتل فى الموصل وحمل رأسه الى دمشق واخذ لزوجته فى سجن معاوية وألقى فى حِجْرِها فما كان منها الا ان قبلته وقالت "غيبتموه عنى طويلاً ثم أهديتموه الىّ قتيلاً فاهلا به من هديه غير قالية ولا مقلية " غير مهجوره ولا مكروهة - ..

كما ضرب ابن زياد والي الكوفة الاموي بقضيبه رأس سيدنا الحسين (رضي الله عنه) وعبث بثغر قبله رسول الله(صلعم) ؛ فعل ذلك ورأس الحسين في طست بين يديه ...

وكم من مجاهد وثائر إجتزّ الحسام رأسه وفصله عن جسده ومثّل به ولم يبقى منه إلاذكرى أيام الشهداء و يافضات قبور الجندى المجهول ..

وركب الأمام عبد الرحمن مطية الإقتصاد بزرع التكافل فى مجتمع الأنصار وقصد بهم درب السياسة . . . .

فى عام ١٩٤٣ م جاء ت الاداره البريطانية بفكرة المجلس الإستشارى لشمال السودان ..فما كان من مؤتمر الخريجين ـ (الاطار السياس الوحدوى الأول)، إلا تقرير رفضها ومقاومتها درءاً لمخاطر إنشقاق الجهود الوطنية . . .ثم انشق الجمع تجاه الفكرة تأ ييداً ومعارضة . . .

وتزعم السيد عبد الرحمن المهدى المؤيدين المنشقين مكوناً بذلك تحت زعامته حزب الأمة برئاسة إبنه الصديق فى ١٩٤٦م . . تحت شعار السودان للسودانيين [١] يتراءى للراعى يومئذٍ خلف الشعار ملكيه السودان ، يبدأها العرض ويكسوها الطموح ، ويمهدها التطور الدستورى لنظام الحكم الذاتى المقترح . . .

ودخل الأنصار المجلس الاستشارى لشمال السودان . . .

وشرف الأميون الجمعية التشريعية . . .

وأنابوا قومهم فى برلمانات مابعد الاستقلال . .

حدث كل ذلك وبالأنصار بقية من تربية روحية دينية يلهبها الولاء ويحييها راتب الإمام ...... وترعاها عين وكلاء الإمام ممن يرى انسياب العطايا والهبات و المنح والزكاة لبيت مال الأنصار اجدى للحزب من مهمته التربوية الروحية والتنظيمية ، تاركاً كل ذلك لمنشورات الإمام القابعة فى سَحّارة الوكيل ، يجتمع السامر الأمى الجاهل حولها ويغيب من يقرأها ، ولليالى الملاح المقمرة العامرة بايقاعات الرق والكَشكوش وعبارات الثناء فى مَدْح إمام الدين ووصف معاركه الحربية والسياسية ...

و سرعان ماتتعثر خطوات مُدّاح الإمام تحت ثقل رسالة التوجيه . كيف لا ، وقد صحبهم اتساع الديار وبدائية الوسائل والإعلام . . . ويغازلهم الضعف البشرى ، بموازنة لقمة العيش وغريزة جمع المال . . . وغاب عن قيادتهم حقيقية إنـه مهما اتسعت كلماتهم و تعددت وتعمقت معانيها ، لاتجد فى أذن الأنصار وقع راتب الإمام . . .

---

(١) أيضاً تبنته المجموعة الاستقلالية كشعار لها . . .

واختفت من رمال المريدين والأتباع آثار خطى وخطوات مواكب شباب الأنصار وتدريباتهم العسكرية . . . يجوبون أجواء القرى طائفين منشدين أهازيج الكفاح ، يتبعهم الصغار تغمرهم نظرات الأعجاب والأمل مرددين معهم ..

. إلى الامام . . إلى الأمَـــامْ

ياشباب الإمَـــامْ . . .

وكلّ ظَالم إن ظَلَـمْ . . .

دوسُوا عليـه بالقـدم . . .

يالها من تربية تدعوهم لرفض الخنوع والكسل ، وتحثهم على رفض الظلم والضَيْم . . . إنها تبذر فيهم حميد القيم بالرغم من وصفها لهم بشباب الإمام

. . تلك أمـّـــة قـد خلت . . . .

واعقبوا جهلاً يمكنهم من التّبـرّك بنظرات الإمام وآثار مطيته عند زياراته النادرة ، متمسحين بما علق عليها من غبار ...

ولما اختلف السادة واحتاروا فى مصير مركب الحكم الغارق خططوا تسليمه لعهد جديد . . . [1]

وجاءت العسكرية الأولى فى ١٧/ نوفمبر /١٩٥٨ بعد إن هيات لها احزاب الأمة والشعب الديمقراطى عن طريق اتفاق رئيس وزراء حكومتهم عبدالله خليل مع عسكر نوفمبر بعلم وتأييد السيدين عبدالرحمن المهدى وعلى الميرغنى...

وحمل ضوء الصبح بيان الأنقلاب ، وتبعه بيانا السيدين حيث قرأ عبدالرحمن على طه بيان الامام عبد الرحمن زعيم طائفة الأنصار وراعى حزب الأمه ...

"كلكم تتطلعتم جميعاً فى الأشهر الأخيرة االى المنقذ الذى يحمى الاستقلال ويحقق للمواطنين المكاسب المرجوة ، وهاهو اليوم قد أتى الفرج ، إذ تقدم رجال الجيش السودانى وقبضوا على زمام الأمور بيد الشعب السودانى القوية العاتيه التى لن تسمح للتردد ولا الفساد والفوضى بأن تعبثا على ارض الوطن بعد اليوم ... اليوم آن لى ولكم أيها السودانيين جميعاً ان نفرح ونسعد

---

(١) ذكر خضر حمد فى مذكراته قول عبد الله خليل لوفد الوطنى الاتحادى بخصوص اجراء الانتخابات سنة ١٩٥٧م (مبارك زروق ، بشير عبد الرحيم و خضر حمد) ...

" إن هذا البلد يجب ان يحكم حكماً دكتاتورياً لمدة ٣ سنوات و بعد ذلك مافيش مانع الواحد يقتلوه و يخلص ..

إذ هيــأ الله لنا من ابنائنا البررة قادة الجيش وجنوده من يقود زمام الحكم بحق وعزم ليحقق لهذا الشعب ماكان يصبو إليه وماعجز عنه القادة من السيـاسيين" . . .

ولقى الامام عبدالرحمن ربـه وتبعه الإمـام الصديق . . .

وجاء الحفدة و (بالت بينهم الثعـالب) ووقع بينهم فساد الود و الولاء . قربــوا من يبتعد سلوكه عن مفاهيم الدين والعبادة ، اهملوا تربية الأنصار الروحية والجهادية وغاب عنهم أنه (ليس لسلطان العلم زوال) . و ابتعدوا عن فكرة التكافل الاجتماعى والاقتصادى فى البنيـة الانصار يـة . . وتركوا المتاعب والعمل لجمهور الأنصـار مستأثرين بالعائد النافع من عرقهم . . . إنـهم يأكلون التمر ، ويرمى الأنصار بالنوى . . واقتسموا الأتباع وورثوا المال والديار ، ومازادوا جمعهم غير تخسير . .

وعندما عصفت رياح التغيير السياسى بمقعد الحكم لمايو بدأت قيادة حزب الأمة محاولات الاحتواء والتأييد . .

" فى يوم ٣٠ / ٥ / ٦٩ انعقد اجتماع بالجزيرة أبا حيث كان يقيم الامام الهادى وتقرر فى ذلك الإجتماع تفويضى كرئيس لحزب الأمة للتفاوض مع النظام المايوى الجديد لأن النظام كان قد انتدب الرائد الفاتح عبدون لابداء تلك الرغبة " [١] . . .

" إنه فى يوم ٢ يونيو ٦٩ اجتمع كل من الرائد الفاتح عبدون والرائد محجوب برير محمد نور كممثلين للضباط الأحرار مع السيد الصادق المهدى، وقد اعترف الصادق المهدى بسوء الأحوال التى آلت اليها البلاد بسبب السياسة الخاطئة و الفساد الحزبى ، وقد أيّد الصادق المهدى ....قيام مايو ولكن اعتراضه انصب على وجود الشيوعيين فى النظام الجديد وسيطرتهم عليه " [٢] . . . .

" نجح رئيس النظام المباد فى الحيل التكتيكيه نجاحاً باهراً ، ولكنه اضاع كل الفرص الاستراتيجيه التى عرضت له وما اكثرها . . .

---

(١) الصادق ، الصحافة ١/٦/٨٥ - محمد رمضان السيد / أين تمليك الحقيقة للجماهير

(٢) من وثـائق مايو ٦٩ م .

ففى بداية انقلابه عرضنا عليه باسم القوى الوطنية كلها فى ٣ يونيو ٦٩ أن يجعل الحركة ذات أهداف قومية فيعبر بالسودان مرحلة خطيرة معتمداً على سند شعبى عريض، ففكر فى الأمر ثم انقلب عليه. " [١] . . . .

" وذكر صلاح عبدالسلام الخليفه فى محاكم الجزيرة أبا والتى كان يرأسها الفاتح بشارة . .

" أن إتصاله بالامام الهادى كان بمعرفة عمر الحاج موسى وحمدالله وأنه حاول أن يثنى الإمام الهادى عن المعارضة وذكر بأنه يؤيد ثورة مايو، وقد صدر قرار بالعفو عنه " [٢]

وجرت الأقدار بغير المؤمل وتم قصف وغزو الجزيرة أبا وتبعتها بعد سنين أحداث يوليو ٧٦ [٣] ، الغزو المسلح بكوادر الجبهة الوطنية من ليبيا... ومع تبدل المواقف السياسيه والآراء جرت المصالحه الوطنيه [٤] . . . والتى أخرج فيها الصادق المهدى وقادة حزب الأمة أدباً سياسيا كثيراً ، يختلف بإختلاف مراحلها . . اقناعاً للشركاء فى الجبهة الوطنية ، وطرحاً لكسب المؤيدين فى الداخل بعدها ، وتبريراً للخروج منها ثم تحميل وزرها للإسلاميين أخيراً . . . [٥]

" إن الجبهة اقتنعت بالمصالحة صبيحة أنقلاب يوليو ١٩٧٦م عندما إكتشفت ان العسكرى الذى أوكلت إليه مهمة التنفيذ من قبل القيادة السياسية للجبهة ومان بدا له إنه سيطر على العاصمة حتى ضرب عرض الحائط بالقيادة السياسية للجبهة وتعليماتها ، وتصرف لحساب نفسه وعلى أساس ان الإنقلاب قد صار من حقه بل واتخذ اجراءات خاصة بإعتقال

---

(١) الصادق ، الصحافة ١٤٠٥/١١/٧هـ .

(٢) ١٩ / ٨٧/١٠ . وزير شئون الرئسة ، ورئيس التجمع بالتناوب

(٣) عرفتها مايو باحداث المرتزقه . .

(٤) بورتوسودان ١٩٧٧/٧٧/٧م .

(٥) يقول د . ترابى لصحيفة الأمة ١٩٨٧/١٢/٢٧م (الصادق قبل فكرة الحزب الواحد ولكنه خالف الاطروحات الفكرية وخالف البناء التنظيمى الذى لا يسمح بالتعبير الديمقراطى الحر" .

وتصفية القيادات التى إتفقت معه إذا حاولت العودة للسودان . . .

وهنا اقتنعت المعارضة السودانية ان أسلوب الانقلاب العسكرى يجب ان يستبعد نهائياً . . . إيضاً أحست المعارضة أن استمرار التناحر بين النظام والمعارضة سيحوّل السودان الى ساحة صراع للقوى الأجنبية و العربية ، تصفى حساباتها هناك بيد السودانيين أو بدمهم . . . هنالك خطورة الوضع فى الجنوب ، فإن اى صراع فى الشمال سيكون ثمنه غالياً على صعيد الإستقرار والوحدة . . " . . . (١)

ذهب الصادق المهدى للمصالحة ببورتسودان بلا سابق إتفاق مع شركائه بالجبهة الوطنية . . ، . . وإتفق مع وسيطها فتح الرحمن البشير على ان يتصل الصادق المهدى بالشريف الهندى وتتصل الحكومة بالترابى ببورتسودان . . ولقيه النميرى وقناعته (بأنه لايريد اخوان ولا إتحاديين وليس لهم دور ولكن كرئيس للجبهة الوطنيه يمكننى تمثيلهم) . . .

وجاءت كلماته فى بدايه الا جتماع موجهة للنميرى . . .

" لم نكن نثق بك ولكن منذ فترة سمعنا عنك ومنك اهتداء اسلامياً وانضباطاً سلوكياً واخلاقياً جعلنا نثق فى شخصك وندرك اننا صرنا نتعامل بنفس القيم والمعايير . وتلك هى الأسباب الموضوعية والذاتية التى تكمن وراء استجابتنا لنداء المصالحة . . . " (٢)

" الديمقراطية الليبرالية لا تناسب ظروف البلاد ، وان الحزبية لاتسمح ببناء الوطن ولابد من التمسك بالتنظيم السياسى الواحد . . . .

ومنذ لقاء بورتسودان فى يوليو ٧٧ حيث خاطبنى الرئيس نميرى بأخلاق المسلم المؤمن ، وحرص الحادب على وحدة الكلمة المصمم على فتح صفحة جديدة فى مسار بلادنا وطى كل اسباب التوتر والارتياب . . منذ ذلك الحين انضافت ، للظروف الموضوعية ظروف ذاتية هى الثقة فى نوايا الرئيس وقد زادت لقاءاتي به بعد ذلك تلك الثقة رسوخاً . .

---

(١) الحوادث ١٩٧٨/٤/٢٨م الصادق المهدى (درس المصالحة الوطنية) ..

(٢) وثيقة المصالحة الوطنية (وقائع اجتماع بورتسودان) . . . .

. . هكذا قام حبل متين من الثقة صمد فى وجه شكوك المتشككين وغالب الدسائس . . " (١)

وللحقيقة أيها الأخوة - اننى منذ لقاء بورتسودان لمست فى صاحب المبادرة (نميرى) خلق المؤمن صدقاً ، وحرص الوطنىّ الحادب على جمع الكلمة حقاً ، مما كان ضماناً ذاتياً لنجاح المبادرة . . . " (٢)

" ان مشاكل بلادنا متعددة ومتشعبة وان التفكير فيها يؤدى الى تَلمُّسْ حقيقتين هما . .

١- عدم التصدّى الحاسم والجذرى لها زاد من تشعبها وتدهورها الى درجة بالغة . . . .

٢- ان من ايجابيات المصالحة الوطنية مناقشة السودانيين لهذه الأمور بصراحة وجرأة بعيداً عن دوامه العنف والقهر . .هذه الإيجابية الباقية ربما كانت الفرصة المتاحة لأهل السودان ان يجدوا مخرجاً سلمياً لانقاذ البلاد ... " (٣)

" إما العناصر التى ترفض العودة للبلاد فهى الأن أقلية لاتذكر ، وإذا سار السودان موفقاً فى وضوح فكرى ، واستطاع ان يستمر فى التنمية مع علاج سلبياتها وان يستمر بقوة فى سياساته الخارجية الوطنية فإن من بقى مكابراً أو مزاوداً سيعيد النظر فى حساباته .. وحسب علمى فان ماحدث أخيراً من ممارسة للحريات والانتخابات الأخيرة التى كانت حرة ، والتطور فى السياسة الخارجية السودانيه والذى حدث أخيراً ،.. هذه العناصر جعلت العناصر المزاودة تدرك خطأ حساباتها وخطأ مراهنتها على الإخفاق . . ."(٤)

وبالرغم من أداء االصادق المهدى لقسم الولاء غير المشروط للاتحاد اللاشتراكى (٥) .... السودانى . . . . . . ، إلا ان مشكلـه عدم الثقة لم

---

(١) الصادق المهدى - الايام ١٩٧٨/٣/٢م

(٢) خطبة عيد الاضحى - صادق المهدى ١٩٨٧/١٣٩٧ ص ١٢ . مسجد الخليفة

(٣) المستقبل ١٩٧٩/٨/١١م

(٤) الأيام ١٩٧٧/٩/٢٨

(٥) فى ١٩٧/٨/٣ بصحبه عبدالحميد صالح وعمر نور الدائم .." أقسم بالله العظيم ان أكون مخلصاً وصادقاً لثورة مايو الاشتراكية و أن أدعم تحالف قوى الشعب العاملة و تنظيمها القائد الإتحاد الاشتراكى السودانى : " . . . .

تختفى أبداً ما بين الصادق والنميرى حتى مرحلة المفاصلة . .[1] . . . .

فعندما استقال صادق المهدى بحجة معارضة كامب ديفيد . . تحدث النميرى ... " قال انه يعتبر ان استقالته الاسلوب الوحيد الذى يعارض به كامب ديفيد .. فأجبته بأن هذا الأسلوب خاطىء ويختلف عن اسلوب الثورة ومنظماتها فى المعارضة وفى إبداء الرأى المخالف ، ذلك ان أسلوب الاستقالة قديم وقد تخطيناه . . فكأنه يقول انه اكثر السودانيين تمسكاً بالقومية العربية . . . الحقيقة اننى لا اعرف نواياه الحقيقية . . . "[2]

ومن قبل وعقب أحداث يوليو ٧٦ وصف النميرى الصادق بقوله : (الكاذب الضلِّيل)، حتى إذا ماصالحه قال مادحاً . . .

" أستطيع ان اؤكد الآن بانه كان على مستوى الظن فيه ، أميناً صادقاً ملتزماً بما وعد وفياً لما هو مدرك للمصلحة الوطنية ، وانه من أجل هذا يوجه كل جهده وطاقاته ". .[3]

" و انه شجاع وصادق وإنهما يتفقان فى الكفر بالحزبية وإنه مفكر اسلامى أصيل . . ."[4]

لم يكن الصادق المهدى هو الوحيد من قادة حزبه الذى أيد وعمل مع مايو بعد المصالحة . . فقد ذكر الشريف التهامى فى محاكمته [5] بأنه ليس من سدنة أو رموز مايو ، ولكنه من رموز المصالحة و ذكر بانه دخل بصفته انصارياً مع آخرين كالصادق المهدى وعبدالحميد صالح . . كما نادى عمر نور الدائم بفكرة التنظيم الواحد بندوة الصحافة حول الوحدة الوطنية . .[6] وذكر فى ندوة بجامعة الخرطوم ١٩٧٩ م ..

---

(١) عبدالحميد صالح " بين الرئيس نميرى والصادق المهدى أزمة " المدينه ١٠/٩/١٩٨٤م.

(٢) نميرى الحوادث ٢٦/١/٧٩م (نشأت التغلبى) .

(٣) ملحق المجلة ١٧/١/٧٨ (نميرى يصف الصادق المهدى بالأمانه والصدق والألتزام)

(٤) النهج الاسلامى لماذا – نميرى ص ٢٢١/٢٢٣ . . " ، سيجد القارىء ما وصف به الصادق النميرى بعد سقوطه فى رجب ٨٥م فى الصفحات التالية ... " .

(٥) الشريف التهامى و آخرين – الأسبوع ٨/٢/١٩٨٧م ...

(٦) الصحافة ١١/٥/١٩٨٧م . . .

" ان المصالحة خطوة مصيرية نحو مستقبل أفضل للسودان ، وإنها تحقيق لوحدة شاملة صارت ممكنة لأول مرة فى تاريخ السودان . . "

وفى مؤتمر تنمية كردفان بكادقلى دعا بكرى عديل حاكم كردفان (سابقاً) المواطنين للانخراط فى الاتحاد الاشتراكى العظيم وذكر "ان مايجرى فى كردفان مصدره وملهمه أصلب الرجال نميرى . .(1) " للذين يجهلون كثيراً عن المصالحة الوطنية أقول ان المصالحة وضعت أمامهم أساسيات ... هذه متفق عليها لااعتراض لأحد عليها ، لا خلاف على زعامة الأخ الرئيس القائد وقيادته للأمة . . ولا خلاف اطلاقاً على وحدانية التنظيم السياسى وحاكميته ولا خلاف اطلاقاً على النظام الجمهورى الاشتراكى الذى أسسته ثورة مايو ، هذه أساسيات اتفق عليها وليس موضوع جدل " (2) ...

وظل أحمد المهدى حتى نهاية مايو عضواً فى اللجنة المركزية للاتحاد الأشتراكى السودانى يستقبل الزوار فى مكتبه ، ويشرح لهم ابعاد قرارات الرئيس القائد فى تحقيق العدالة الناجزة وتطبيق الشريعه الإسلامية وتفجير الثورة القضائية . . . (3) وعضواً فى برلمان وادى النيل .. وإماماً متحدثاً باسم الأنصار يُدَبجّ برقيات التاييد لنميرى كل ماحلت مناسبة ... " إن التاريخ سيشهد مرة اخرى ان مايو رفعت رايه الدولة الاسلامية فى السودان ، وسنمضى مع القائد والثورة بعزم الآباء والأجداد وفاء لعهدهم القديم ".. (4)

" الأنصار قوة من قوى التحالف .. تؤيد الرئيس القائد فى قراره الذى يحمل فى معانيه خلاصاً للأمة من ادعياء الدين والذين يتخذون من الدين مظلة ليكتموا أنفاس الشعب السودانى الصامد باذن الله .. ليس من صفات المسلم الغدر والخيانة والتستر برداء الدين للوصول للمآرب الذاتية .. نحمد الله من

---

(1) الأيام ٢٨/١٠/١٩٨٠م.

(2) وثائق اللجنة المركزية للاتحاد لاشتراكى - الأمانه العامة الدورة الرابعة فبراير ١٩٨١ - بكري عديل

(3) الصحافة ١٧/١٠/٨٣ م .

(4) برقية لنميرى بمناسبة تكريم أبطال الثورة المهدية ((الايام ١٥/٥/١٤٠٥هـ .))

ولى فينا مـــن يعلن الشريعــة الاسلاميـــة ولا يخشى فى الحق لومـة لائم ، يحفظ الله السيد الرئيس القائد المؤمن حتى يحقق لشعبه الإستقرار والعزة والله متم نوره ولوكره الكافرون ، ولاحول ولاقوة إلابالله [1] ...

يبدو لقارىء تاريخ المصالحة وأدبها ان الصادق المهدى وجعفر نميرى متفقان تماماً على مبادىء أساسية فى نظرية الحكم فى السودان وتوطيد قواعدالدولة .. ولكن ما ان يدقق النظر حتى يعلم انهما نقيضان وخطان متوازيان لايلتقيان أبداً ، إلا من باب المكيدة والمكر والدسائس وترغب الفرصة للأنقضاض على الخصم وتحطيمه ... تحسبهما متفقان على إقصاء الأحزاب عن الحكم ...

" لم أطلب من الرئيس نميرى العودة الى نشاطات الأحزاب .. والواقع اننا اتفقنا كلنا وحتى قبل هذا الاتفاق [2] على أن نظام تعدد الأحزاب هو ليس لبلادنا ، لاننا ندرك جيداً ان طبيعة مجتمعنا تجعل فى الحقيقة الحكومة الحزبية الطريق المؤدى الى الانشقاق الداخلى والتدخل الخارجي ..[3] . ولهذا فاننا نامل فى ان نحقق ما يعيد الحركة المدنية والسياسيه ولكن من غير العودة لتعدد الأحزاب ...[4]

" لن تقوم فى هذا البلد أحزاب وانا فى موقعى ، فالتنظيم السياسي الموحد ضرورة لتوحيد السودان " [5] . ..

وتحسبهما متفقين على دور القوات المسلحة السياسي فى السودان . . .

" لم يعد أحد يطالب بأن تكون القوات المسلحة كما هي فى النظام البرلمانى بعيدة عن المسيرة السياسية ، فميثاق الجبهة الوطنية ينصُ على أهمية المشاركة السياسية للقوات المسلحة دون

---

(١) برقية لنميرى عند اعتقال الاسلامين (الصحافه ٢٨/٦/١٤٠٥هـ .) - احمد المهدى

(٢) المصالحة الوطنية .

(٣) الصادق صحيفة الأنوار ٢٨/٧/١٩٧٧م.

(٤) الصادق ، صحيفة النهار ٢٥/٧/١٩٧٧ م

(٥) نميرى (روز اليوسف) والأيام ٨/٥/١٩٧٨ م.

أن يؤثر ذلك على الإنضباط اللازم لكينونتها العسكرية . . .[1] ....

(ونتفق مع النميرى على أنه فى الأقطار المتخلفة مثلنا لابد من تسييس القوات المسلحة وانخراطها فى عملية التنمية ، خوفاً من أن تؤدى عزلتها لأن تكون قوة مخططة للإنقلابات)...[2]

وما ان يأتى رجب الانتفاضة حتى ينفض سامر (اتّفقنا) ، و(وجدتُ فيه) مابين الصادق والنميرى ، وتعد معاول الهدم والتحطيم ...

(قلت للصادق المهدى ..[3] علاقاتك مع الرئيس السودانى السابق تميزت بالمتناقضات فهو فى كتابه (النهج الاسلامى لماذا) يقرظك ويبْدى اعجابه بك في عديد من الصفحات .. وهو عندما سأله أهله في دنقلا لماذا اختار اللواء عمر نائباً له .. ضحك وقال .. نائبى هو ذلك " المُستَعْجِلْ " فى ام درمان يعنى انت .. فما هى اسرار هذا التناقض فى تقديرك ؟ ....

(الصادق :.. هو كان متنا قضاً فى مسلكه معى بالفعل يحبنى الى درجة الإنصات العميق ، ويسمعنى وكأنى استاذه .. وهو كان شديد الرّقة معى الى الدرجة التى يكاد ان يطعمنى فيها بيده ... وهو كان فى نفس الوقت وبمجرد ان أغادر مجلسه يعلن كراهيته لى ورفضه لأفكارى الى درجة إصدار قرار اعتقالي وسجنى ...

لقد فكرت بالفعل ان اكتب عنه ، ووضعت بعض النقاط الرئيسيه التى تحدد معالم شخصيته و مسلكه و ممارسته للحكم ، و خرجت بأنه يُجَسِّدْ ..... شخصية الأمير عند مكافيلى عن طريق استخدامه كل الدسائس والمتناقضات فى كسب الأنصار والبقاء على السلطة بالمنافع الشخصية والإرهاب . وادارة لعبة الصراع لقسم واضعاف خصومه وتفجير الجبهات السياسية فى داخلها .. واستبدال المبادىء كما تتبدل الملابس .. والتخلص من الأقوياء والأذكياء واستبدالهم بضعاف الأخلاق ومن يشعرون بانه ولىّ نعمتهم ... والاستفادة القصوى

---

(١) الصادق المهدى – القبس الكويتية ، العدد ٥١٩٠-٧/٩/١٩٧٧م.

(٢) باسكال فيليرى دى موى ، AFRICAN AFFAIRS, NO: 81/MAY 19-78

(٣) يوسف الشريف وصادق المهدى ، روز اليوسف ١٥/٩/١٤٠٥هـ .

من الأعوان والحلفاء وتبنى افكارهم ومناهجهم .. وادعائها لنفسه .. ثم الاستغناء عنهم فى الوقت المناسب والانقلاب على افكارهم ومناهجهم و ادعائها لنفسه ... وتحميلهم الأخطاء والتجاوزات كما لو كانوا كباشاً لفداء عرشه " ...

" لقد كان رئيس النظام المباد من ناحية الوعى الاستراتيجى والوعى الاقتصادى أمياً ولكن كان ضليعاً جداً فى فن التكتيك السياسى . . . فن فَرِّق تسد، وشراء الذِّمم وتهديد الخصوم وشق الكيانات ، واستغلال الشعارات ، واستغلال الأفراد ذوى السمعة الحسنة .. وتقديم كباش الفداء فى حالة السياسات الفاشلة .. وتبنى كل جديد وكل نجاح .. وهلُمَّ جرّاً .. مقصدها المحافظ على السلطة بأي طريقة وبأى ثمن ... كانت تفوق ممارسات امير " ميكافيلى نفسه " [1]

(ثم قام نظام مايو ومَزّق مشروع الدستور [2] واصفاً إياه بالوريقة الصفراء فحق لنا الآن أن نمزق ورقته .. [3]

وماذا عن البيعة ... !!!

(إن البيعة التى اخذت لرئيس النظام المباد هو شخص غير مؤهل لها قاصر عن كل شروطها فقد كانت بيعة الزور والإكراه).. [4]

(البيعة شعيرة إسلامية لها عشرة شروط ، ليس لنميرى فيها الا الذكورة ، وبعد استيفاء الشروط هناك الشورى .. ثم كيف تكون البيعة لنميرى وهو ظالم .. كاذب ..وجاهل !! ودعوة نميرى للاسلام كانت اكبر أساءة للاسلام ، وساهمت بحق فى تقوية المشاعر المضادة للاسلام .. ولااستبعد ان يكون هناك مخطط صليبى اقترح هذا الأمر على نميرى لانهاء الدعوة الاسلامية .. وكانت دعوته اجهاضاً للحركة الإسلامية فى السودان [5] . . . . .

---

(١) الصحافة ١٤٠٥/١١/٧هـ.

(٢) وثيقة دسستور ١٩٦٨ والذى ينص على ان تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع

(٣) الصادق – احتفالات الاسراء والمعراج ، القبة ام درمان ١٤٠٥هـ.

(٤) خطبة الجمعة ٥ رمضان ١٤٠٥ النهج الاسلامى بين الاستقامة والتشويه صادق

(٥) الأيام رمضان ١٤٠٥هـ.

كل الذين عرفوا جعفر نميرى وأهل السودان عامة يعلمون ان النميرى جاهل وكذاب وظالم ، ولا أهلية له اصلاً ليبايع ، وتقديمه للبيعة استخفاف بالولاية الإسلامية .. وتفريط في واجبات الدين ، ولايختلف اثنان ان البيعة لنميرى لم تكن على أساس الشورى بل كانت بيعة زور واكراه لاقيمة لها بمقياس الاسلام ، والآن فإن تجربة مايو الاسلامية بقوانينها واجهزتها هى وسياسات مايو وممارساتها مكانها كلها مزبلة التاريخ ... " [٢] . . .

يواصل صادق المهدى سيره في درب السياسة الطويل يبنى على قاعده الموروث الدينى والطائفى لحزب و طائفة الأمة والأنصار ذات العددية الكبيرة والتى لا تتناسب طردياً مع عددية المستنيرين فيها ،،، مفكراً ومنظراً ، منقباً ودارساً لفكر المهدية وتاريخها ، ولكن لمن تقرع الأجراس !!... فهو يملك الجراة والفصاحة والبيان ، والمقدرة على الصياغة والتعبير .... (وإن من البيان لسحرا) غير انه يحاط بعصبة تصفق لكلماته اكثر من ان تتفهمها ، وتترك له التفكير والتنظير والتنفيذ ، وتصفه بأمل الأمة ولاتعينه ليكون ، وتفوضه في ما يريد وما لا يريد .. ماذنبهم !! هكذا عَلّموا وهكذا تريدهم الطائفية .. وإن منهم لمن أمّ الجمع وهو شهيد ..

فى (١٩٤٦- أعلن زعيما الفرقتين الختمية والأنصار - الميرغنى والمهدي راعييْنِ لحزب الاشقاء والأمة على التوالي ... ونظم كل من الحزبين نفسه على نمط ديمقراطى عصرى ، فكان له مجلس منتخب ولجنة تنفيذية ولجان مختلفه و أمانة عامة ، ولكن السلطة النهائية حتى على آخر التفاصيل كانت فى أيدى الراعييْنِ ، إذ كان لابد من الحصول على رأييهما وموافقتيهما فى كل الأمور) ... [٣]

تلك أحرف من صحب الحزب معرفة وتاسيساً وريادة حتى رئاسة الوزارة كتبها بعد " مايو " وهذه كلمات رجل معاصر .... حتى "الإنقاذ " . . .

(١) وصفة مرة بعد الانتفاضة و من باب الفجور فى الخصام بقوله (النميرى لايعرف هل الستوت تصام أم تصلى) . . . .

(٢) خطبة الجمعة مسجد الامام المهدى ٢١ رجب ١٤٠٥ ه.

(٣) محمد أحمد محجوب - (الديمقراطية فى الميزان) .. رئيس وزراء سابق (أمة) . . . .

.... كتبها وهو يشارك قيادة حزبه المسئولية. . .

(ان القرار السياسى هو محصلة لتوجهات الزعامة الدينية يحاط فى الغالب بقدسية القائد ، والتى لاتخضع فى كثير من الأحيان للمراجعات... تشكل هذه القدسية سياجاً ضد النقد لأن النقد يعتبر خروجاً عن التقليد .... بل قد يكون سبباً للعزل السياسى ومدعاة للاتهام بالخروج عن حدود الأدب ، والكفر فى حالات التطرف ... تأسيساً على ذلك فإن قرارات الحزب تتصف بالخصوصية ولاتعكس فلسفة حزبية تقوم على أسس عقلانية وإنما تخضع لمزاجية القائد ... [1]

وبين سنوات "القولين" يغالب الصادق صراعاً داخلياً ...

" إنه لا عودة للاحزاب وسياسة الأحساب والأنساب " [2] ...

وإنه قبل فكرة الحزب الواحد وخالف الأطروحات الفكرية وبناء الحزب التنظيمى الذى لايسمح بالتعبير الديمقراطى ..

وإنه يكفر بالتعددية ، ويطرح مكانها فكرة الحزب الغالب .... وإنه يترأس رئاســة وزارات تقوم على التعددية الحزبية إئتلافاً ووفاقاً، وجبهة وطنية متحدة ... عبء ثقيل من صراع المتناقضات ... فقد نشأ الصادق بين يدى طائفة القيادة فيها تورث تاريخياً ، وتربّى فى وسط لا مكان فيه للرأى الآخر ، وأعتاد ان تجد كلماته طريقها ممهداً للسمع والطاعة والتطبيق فور مغادرتها طرف اللسان ، حيث يتخطفها أكثر من واقف وجالس ... واكمل دراسته بجامعة بريطانية تخرج قادة بريطانيا [3] . . وبدأ حياته السياسية بعد أن أخلى لـه مقعد مكنه من رئاسة الوزارة عند سن الثلاثين ... وبالرغم من ذلك يريد أن يكون ديمقراطياً ممارساً يتحمل من آلام الصراع وضغوطه (كل مالا يقتلني فهو يُقوِّينى) .... من أجل تمكينها فى أرض لا تصلح لنمو الديمقراطية الغربية ...

---

(١) من يحكم السودان !! د. فضل الله على فضل الله - وزير الخدمة والاصلاح الإدارى (أمة) ، حكومة الوفاق الوطنى . . .

(٢) صادق - كلمة للشعب عند العودة سبتمبر ١٩٧٧م (الايام ١٩٧٧/٩/٢٨)

(٣) " مشاوير فى عقول المشاهير " . . .

وإنه ليجد فى محاولاته التوفيقية بين المتناقضات السياسية وعلاجها بالتسوية للوصول لمنزلة بين المنزلتين ، خصماً عنيداً ومصارعاً غالباً .. لأن ذلك يضطره ، وبالرغم من وضوح الرؤى الترجيحية بين الخيارات أمامه ، للقبول بتسوية مذلة تُحسب محصلتها النهائية عليه ، مما يُسَوِّد من صحفه فى سفر السياســـــة . . . .

وكبرى مآسيه انه يصارع من كان أوجب ان يكون معينه ومصاحبه .. ينادى بالفكرة الاسلامية ويعادى رافعيها من الاسلاميين ، وقد صاروا قوة لايمكن لمن يريد حكم السودان أن يتجاهلها ... وكان الأجدر به والأفيد للسودان ان يجمع قوى وامكانيات اسلامية متقاربة ، مهما كان العمل شاقاً وعسيراً فى تجميعها ... فهى مأمنه الأقوى من أن تغمره رمال التغيير السياسية . .

(اننا ندخل الانتخابات القادمة بوثيقة إتهام لمايو ومؤيدى تجربتها الإسلامية .. نحن لانعتبرهم مجتهدين إجتهدوا واخطأوا ... بل نقول ان جعفر نميرى سخر الاسلام لاغراض السلطان المستبد ، وسخر من نصوص الشريعة وتلاعب باحكامها ... هذا من جعفر نميرى معلوم فالشىء من معدنه لايستغرب ..) [1] . . . . . .

وتسير قافلته السياسية ويفاجئها بيان الإنقاذ وتفرق سامر الأحباب ، وتركوه مختبئاً .. ولما اعتقل وجدت بحوزته مذكرة معنونة لمجلس قيادة الإنقاذ الوطنى يقترح فيها اعترافه بنظام الحكم الجديد ودعمه بشعبيته على أن يعود الجيش لثكناته بعد فترة انتقالية (٣-٥ سنوات) تمكنه من حل مشكلة الجنوب و المشكل الإقتصادى .... ما أشبه الليلة بالبارحة ... إذ لم تجد الفكرة منهم قبولاً ... ويسجلها التاريخ كما سجل سابقتها المايوية . . . . . .

(ففى بداية انقلابه عرضنا عليه باسم القوى الوطنية كلها فى ٣ يونيو ٦٩ ، ان يجعل الحركة ذات أهداف قومية فيعبر بالسودان مرحلة خطيرة معتمداً على سند شعبى عريض ، ففكر فى الأمر ثم انقلب عليه ..) [2] . . . .

(١) صادق - مناسبة الاستقلال وافتتاح دار الأمة ١٩٨٦/١/٣١م.

(٢) الصادق يتحدث عن النميرى - الصحافة ١٤٠٥/١١/٧ هـ .

هذه الشعبية التى يساوم بها السيد الصادق المهدى استناداً على مكانته فى قلوبها ، اتعبه حبها كثيراً و أرهقه بحثاً وهو يحاول ان يحوله لعقولها و قناعتها لتتوازن خطاه وهو يسير مُنهكاً حافياً من فوق حد حسام الواقع السودانى المرهف ، بلا دليل أو معين . . .

إنـه (يطلب اثراً بعد عَيْن)...

وجاء ابن عمه مبارك الفاضل المهدي [1] ليقصم ظهر وطنيته ويدنّس مجاهدات حركة " الأنصار الجهادية " ، وليبيّنْ فطير التفكير السياسى لقيادة " حزب الأمة الجديد " وليدلل على أن الصادق المهدى كان يقدم أهل الثقة وأواصر القربى على أهل التجربة والخبرة والحنكة السياسية ... فيخاطب قبائل مناطق التماس فى جنوب كردفان و شمال بحر الغزال ، ذات الولاء التاريخى الطائفى للأنصار والتى إنضمت لكتائب الدفاع الشعبى ، لتقاتل المتمردين . . . دفاعاً عن النفس والأرض والعرض والعقيدة ... فى إذاعة التمرد ..

(نداء من مبارك الفاضل المهدى لقوات الدفاع الشعبى من الأنصار وحزب الأمة بعدم التعرض لقوات التمرد وتوجيه سلاحها للعدو المشترك فى الخرطوم [2] . . .) . . . . .

ويصرح فى المقابلات الصحفية [3] بأن من انجازات المعارضة الإتصال بالدول و الحكومات الصديقة والوكالات والمنظمات العالمية لقطع المعونات والمساعدات الإقتصادية والعسكرية لحكومة السودان . . . . .

---

(١) كان وزيراً للداخلية ، واستنكر بعنف ندوة أمبو باثيوبيا ، ووصف المشاركين فيها بالخيانه الوطنيه وطالب بمحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى . . .

(٢) رفضته جماهير الأنصار وحزب الأمة ، واستنكرته بعض القيادات السياسية ومثقفو الحزب ، ولم تقبل بميثاق التجمع الديمقراطى ، وعمل بعضهم مع الإنقاذ ، ووقف بعض وزرائهم السابقين موقفاً قوياً مع هوية الأمة الحضارية – كموقف الأستاذ عبدالله محمد أحمد حسن – وزير الثقافة السابق من شريط اتفاقية قرنق الميرغنى ومنع بثه من تلفزيون السودان . . . .

(٣) مبارك الفاضل : مجلة (المجلة) ٢٣/١٧ أكتوبر ١٩٩٠م

و يحاول مع رفقاء معارضته بذر الفتنة و العداء و الجفوة بين السودان و السعودية ودول الخليج و مصر بعد الغزو العراقى لدولة الكويت بإفساد الموقف السودانى من القضية وباشاعة و جود الصواريخ العراقية المنصوبة فى عروسة على الساحل السودانى للبحر الأحمر و التى ينوى السودان استخدامها لهد السد العالى و هبوط اسراب الطيران العراقى بقواعد سودانية .. إلا ان تلك المزاعم الكسيحة سرعان ما تبين مقدار حظ زاعميها من السياسة عندما نفتها كل من مصر و الولايات المتحدة الأمريكية ....



السيد عبد الرحمن المهدى

السيد عبد الله بك خليل



السيد محمد أحمد محجوب



السيد الصادق المهدى

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

(ب) الختمية والإتحاديون

(اللّحظ أصدق انباءً من اللفظ) ...

كانت استجابة الشريف حسين (شريف مكة والحجاز) لطلب الخديوى محمد على باشا ، بالمساعدة على تحجيم توسُّع التبشير المسيحى فى السودان وانتدابه للسيد محمد عثمان الميرغنى الكبير لتلك المهمة ، هى نقطة إنطلاق الطريقة الختمية فى السودان[1] . وعمل الختم الكبير على تجميع المريدين وتوسيع طريقتة حتى ظهرت الثورة المهدية ، والتى ناصبها الميرغنى العداء . ولما انتشرت المهدية توجه الميرغني الكبير صوب مصر ومعه ابنه على الميرغنى الذى عاد للسودان مرافقاً لحملة كتشنر الغازية بترشيح من الزبير باشا المنفى بمصر وقتئذٍ ... ووجد السيد على الميرغنى فرصتة لتجميع اتباع أبيه الختميين وتنظيمهم من جديد...

وكما جاء الميرغنى رجل دين فى لباس السياسى المرافق لغزاة مسقط رأسه ، المتعاون معهم بعد الغزو ، لحق ايضاً بركب حزب الإشقاء الذى أسسه اعضاء مؤتمر الخريجين المنشقون الرافضون لفكرة المجلس الاستشارى لشمال السودان ، المقترحة من الادارة البريطانيه عام ١٩٤٣م لتهديدها لوحدة الوطن ... وصار الميرغنى راعياً للحزب والسيد اسماعيل الازهرى رئيساً له ..وجعلوا شعارهم (وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى) [2] ....

(يد تشجّ وأخرى منك تأسونى) ......

عملت الحكومــة على تجميع الأحزاب الاتحادية السودانية [3] ودمجها فى الحزب الوطنى الاتحادى عام ١٩٥٢م، تحت شعار وحدة وادى النيل برئاسة الأزهرى وزعامة السيد على الميرغنى ... وبمراهنة الانجليز على حزب الأمة ، ووقوف

---

(١) يذكر الختمية بأن دخول الختم الكبير للسودان كان بمبادرة شريف مكة و بمباركة بعث من الشيخ السيد أحمد بن ادريس مؤسس الطريقة الأحمدية لتمليذه السيد محمد عثمان الختم الكبير بالذهاب الى مصر ثم السودان لنشر الطريقـة الأحمدية ....

(٢) كان شعاراً لثورة ١٩٢٤ اللواء الأبيض وتبناه بعدها الختمية وحزب الاشقــاء ثم الاحزاب الاتحادية . .

(٣) مؤتمر السودان حزب الأشقاء بجناحيه، حزب الأحرار الاتحاديين ، حزب الجبهة الوطنيه والحزب الوطنى . . . . . .

المصريين بقيادة الصاغ صلاح سالم [1] مع الأحزاب الاتحادية تم تكوين مجلس النواب لعام ١٩٥٣ والذى كون فيه الوطن الاتحادى برئاسة الأزهرى حكومته منفرداً [2] ... بعد انتخابات تم الإقتراع فيها بطريقة مباشرة و غير مباشرة [3] .... وحددت مهام حكومة الأزهرى الأولى بتنفيذ السودنة ، ووضع دستور السودان ، والتمهيد للاستقلال العام بتنفيذ اتفاقية الحكم الذاتى . . . . .

و (لا يصلح رفيقاً من لم يبتلع ريقاً) . . . .

" وعلى العموم لم يكن من المصلحة الدّخول مع الطائفية فى صراع فى تلك المرحلة الحرجة حتى يتحقق استقلال السودان ، لذلك كان الحزب يرضخ رغماً عنه لكل طلبات زعامة الختمية ، وكثيراً ماشكا اسماعيل الأزهرى من التدخل المستمر فى شئون الحزب وفى شئون الحكومه فيما بعد ... ومضت الأمور على هذا النهج حتى تمت الانتخابات وفاز الحزب بالأغلبية المطلقة وكون حكومته منفرداً ، ولكن مرة أخرى كان الرأى الأول والأخير فى تشكيلها للسيد على الميرغنى " [4] ...

(لقد كانت جميع الطوائف الأخرى غير السياسية – وهى كثيرة – تؤيد الحزب ورجاله لما عرف عنهم من تاريخ وطنى عامر ، كما كانت فئات المثقفين والعمال والطلبة تؤيد الحزب لنفس السبب ، ولكننا لم نشأ المغامرة بمستقبل البلاد، فآثرنا الصمت والإستجابة لمطالب السيد على حتى نجتاز تلك المرحلة . . .. وقد يتساءل القارىء لماذا قبلنا هذا الوضع والرد أيضاً إنا علقنا كل أحاسيسنا وكرامتنا فى تلك المرحلة الخطرة حتى نجتازها بسلام ونجاح.. فكرامتنا وأحاسيسنا تاتى فى المرتبة الثانية بالنسبة لكرامة الوطن) [4]......

(إنه نسيجُ وحده) ....

ما كان ليل السودان فى مرحلته الإستقلالية عن صباح ينجلى لولا حنكة الأزهرى وحكمته السياسية وصبره وجلده

---

(١) وزير شئون السودان بالحكومة المصرية (عرف بالصاغ الراقص) . .   (٢) ١٩٥٤/١/١٦

(٣) فى المدن ومناطق الوعى استخدمت تذاكر اقتراح مباشر ، وفى مناطق التخلف (الجنوب وبعض مناطق جبال النوبة) كان حق الأقتراح لبعض نوى الأهليه الخاصة من اعضاء المجالس الريفية . . . .   (٤) مذكرات عبد الماجد ابو حسبو. . . . .

و استخدامه الكتمان و المباغتة في اتخاذ القرار و إعلانه ... فقد حَسَّ الزعيم [١] بضرورة إعلان الإستقلال بعد ان تمت السودنـــة و عمليـة اجلاء الجيش المصرى عن السودان . . . . . .

((سارت الحكومة [٢] وسط هذه التيارات الجارفة يقودها ربان اعطى الكثير من الجلد و الحنكة و الحكمة ، غير ان الجنادل فى طريقه كانت كثيرة يصطدم بها حيناً ، و يتعداها حيناً آخر حتى تمت السودنة و الجلاء ، و اصبح الاتجاه نحو الاستقلال واضحاً . عندها تحركت كل الجهات لاسقاط الحكومة وقبيل الاستقلال حدثت الجفوة بين الحزب و قيادة الختمية ذلك ان قيادة الختمية (لسبب لم يحن الوقت [٣] لذكره) قد عارضت الاتجاه نحو الاستقلال وطالبت باجراء استفتاء عام لوقف تيار اعلان الاستقلال ، ولكن حكمة الرئيس أزهرى و صبره علي الناس ووعيه لما كان يدور حوله من مؤآمرات مكنته من ان يفاجئ الشعب من داخل البرلمان)) [٤] . . . .

و أصاب الأزهرى تمرة الغراب بانفراده بإعلان الاستقلال من داخل البرلمان [٥] ليضع الانجليز و المصريين و الختمية و الأنصار جميعاً أمام الأمر الواقع ، فقد كان (بَيْنَهم داءَ الضَّرائرِ) فى سياسة السودان و سيادته . . . . .

ليس (لمثل هذا كنت أحْسِيك الحِسَـاء) . . . .

موّلت الحكومة المصرية عن طريق وزير شئونها بالسودان ، صلاح سالم ، انتخابـــات الوطنى الإتحادى لانتخابـــات ١٩٥٣م لشئ فى نفس يعقوب " المحافظة على المصالح المصرية بالسودان " .... لأن التاريخ يقول،ويؤكدالحاضر وسيبين المستقبل ، ان مصر لن تترك السودان وشأنـه ولكنها لا

---

(١) يجمع السودانيون على وطنيته ويفردونه بمناداته (بالزعيم الأزهرى)

(٢) بالرغم من مناداة الختمية بالحكومة القومية أعيد انتخاب الأزهرى رئيساً للوزارة فى ١٥/١١/١٩٥٥م

(٣) رحم الله أبا حسبو فقد مات وفى نفسه شيء من حتى ، و يبقى الإفصاح عن المسئولية الوطنية فى تبليغ علم الكفاح و التاريخ للأجيال ديناً على مَنْ يعلم من المعاصرين . . . .

(٤) مذكرات عبد الماجد ابو حسبو

(٥) فى ١٩ ديسمبر /١٩٥٥م

ترغب في حمل همومه [١] ... لذلك كان موقف الأزهرى من اعلان الاستقلال محيراً لمصر، فما لذلك اغدغت عليه الأموال و التاييد السياسى و المعنوى والأدبى ، و لعل القارئ يلمس ذلك جلياً فى موقف الصاغ صلاح سالم أيام الإستقلال فى إجتماع بمنزل الزعيم أزهرى بحضور بعض قادة حزبه [٢] .. وقد بدأ الحديث بين الصاغ و الزعيم إسراراً و فجأة يرتفع صوت الزعيم

((لكل خطيئة كَفّارة ، حضرة الصاغ .)) ....

و يسارع الصاغ بالرد ذى الجذور المتاصلة فى اعماق وجدانه وقناعه من أرسله ، ولا رسول كالدرهم ......

((إلا خطيئة إعلان الإستقلال ....)) ....

(إن مع اليوم غداً يا مُسْعِدة) ....

ثم تَمّ لقاء السيدين [٣] عبد الرحمن المهدى و على الميرغنى ، وتبعه إنفصال الختمية عن الوطنى الاتحادى وتكوين حزب الشعب الديمقراطى برئاسة الشيخ على عبد الرحمن الأمين و رعاية على الميرغنى ، و تكونت حكومة السيدين [٤] تحت رئاسة عبد الله بك خليل عقب اعلان استقلال السودان ، وكان ذلك لا يخلو من مكايدِ السياسة و الدسائسِ الشخصية و ارادةٍ من بَقِيّة مُستعمرة ... و اكثره غرض حزبى رخيص ، فقد تلاعبت حكومة السيدين بحق وزير الداخلية فى منح الجنسية السودانية ، و منحت حق المنح لثلاثة وزراء من حزب الأمة ووزيرين من الشعب الديمقراطى لتشهد مناطق الحدود توزيع شهادات الجنسية السودانية للفلاتة و الاريتريين و التشّاديين ... كل ذلك للحصول على الناخبين المؤيدين فى الانتخابات مما مَكّن الحزبيين من تكوين حكومة برلمان ١٩٥٨م والتى مَهّدت تسليم الحكم وقدمته للحكومة العسكرية السودانية الأولى و أتْبعت

---

(١) يقول المثل السودانى عن مثل هذا (لا بريدكْ ولا بحمل برَاكْ) .....

(٢) منهم – مبارك زروق ، يعقوب ابراهيم عثمان وحسن عوض الله .

(٣) ١٩٥٥/١٢/١ .

(٤) ١٩٥٦/٧/٦م

ذلك عبارات التهانى والتقدير ومذكرات التأييد [1] ....

(هـــذا ولمّــا تَـردْ تُهـــامــة) ...

عقب بيان الفريق عبود مباشرة أذاع السيد محمد عثمان الميرغنى بيان تأييد الختمية وحزب الشعب الديمقراطى لحكومة نوفمبر نيابة عن والده على الميرغنى ،كيف لا وقد سبق الاتفاق على ذلك بين السيدين ورئيس الوزراء عبد الله خليل وقائد انقلاب " التَسلْيمْ " ابراهيم عبود [2] . . .ثم جاءت مذكرة كرام المواطنين [3] لينفرد الختميــة بتأييد آخر لحكومة نوفـمبر ... وجـاءت بدايتها ... ((حضرة صاحب المعالى رئيس المجلس الأعلى للقـوات المسلـحـة .

تحية واحتراماً . . .

نتقـدم لسيادتكم بالمذكرة الآتية لما أدلى بـه الرئيس عبود فى بيانه بتاريخ ١٩٦٠/١١/١٧م والذى شرح فيه اهداف الثورة ، وتلقاه المواطنون بترحاب وقبول واعطوا جميعاً الفرصة لرجال الثورة لتحقيق الأغراض العظيمة التى أعلنوها)) ... إمضاءات [4] منفردة . . . .

والتزم الحزب الوطنى الاتحادى معارضة حكومة نوفمبر بقيادة الزعيم اسماعيل الأزهرى سوياً مع حزب الأمـة بقيادة الإمام الصديق المهدى [5] . . . .

ورفعت المعارضة مذكرتها الوطنية للفريق ابراهيم عبود ...

(لقد بذل السودانيون جميعاً على اختلاف منظماتهم وعلى تباين اتجاهاتهم ومشاعرهم ، جهوداً صادقة أدت الى استخلاص حرية السودان

---

(١) راجـع الأنصار وحـزب الأمـــة

(٢) ترجح بعض مذكرات السياسيين ان الاتفاق المعنى كان فقط اخراج لمسرحية التدخل الأجنبى و ذلك بدليل قرار اتفاقية مياه النيل ١٩٥٩ (الحكومة المصرية) وتقديم المعونة الامريكية (الإستخبارات المركزية الامريكية) ... ولعل هذا اقرب للإفهام بدليل تدخل الطرفين فى تحولات السلطة فى السودان فى الستينات والثمانينات . . .

(٣) مذكرة كرام المواطنين ١٩٦٠/١٢/٩م

(٤) راجع الاسماء فى مصادر أخرى)) . . . .

(٥) وبعض قيادات الأحزاب الآخرى وشخصيات وطنية ومُستَقِلّة . .

واعلان استقلاله وضمان مكانته بين امم العالم الحرة المستقلة - هذه حقيقة تاريخية ثابتة .. وحفاظاً على هذا التراث المجيد ، واستشعاراً لواجب المواطنين نحو بلادهم ، وحرصهم على العمل لرفعتها ، وحفظ سمعتها ، والمشاركة فى تقدمها وإزدهارها ، رأينا ان نتجه برأينا اليكم :-

ان السودان الذى حصل على حريته من المستعمر من غير ان يعرض البلاد الى الخطر والهزات ، هو اليوم أكثر وثوقاً فى انكم تقدرون الروح والدوافع الوطنية التى أملت تقديم هذه المذكرة ، والتى لم يقصد منها غير مصلحة البلاد خاصة .. والجيش فى كل بلاد العالم هو أملها وعدتها ورمز عزتها وكرامتها ، وحامى حدودها ، والمدافع عنها فى الداخل والخارج .

ولهذا فانه عندما استولى الجيش على مقاليد الحكم تحدث رئيسه فى بيانه الأول عن مهمته ، وأكد إنها لفترة مؤقته .. وتريث الناس ترقباً لما ستأتى به تلك الفترة المؤقته ، والكل يعلم ان ليس من مهام الجيش تَسلّم ادارة الحكم نهائياً . وكل المحاولات التى قامت بها الجيوش فى البلاد الأخرى كانت عاقبتها سلسلة انقلابات ذهبت فيها الأنفس والأموال ، ورجعت البلاد الى الوراء ، وفقدت ثقة غيرها من الأمم التي يسود فيها حكم القانون .. ولنا في محاولات الانقلاب الماضية فى جيشنا خير شاهد ، وفى ابعاد كثير من عناصره المدربة نتيجة لهذه الهزات وما أدت اليه من .... محاكمات ، واعتقالات ، وابعاد من صفوف الجيش . . .

لقد مضى على تسلم الجيش مقاليد الحكم عامان ، انحصرت فيها السلطة فى يد الأفراد من غير ان يشترك الشعب معهم ، فى فترة اتسمت بفقدان الحريات العامة واصبحت الصحافة مقيدة لا تصبر عن الرأى العام... وقد قطعت فى هذه الفترة عدة وعود بأن دستوراً "يتجنب اخطاء الماضى سوف يعرض على البلاد قريباً" .. ولكن بكل أسف ، وبعد مضى عامين كاملين ، كان ما اعلن يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٠ [١] يقتصر على أمور

---

(١) قارن بين هذا ومذكرة كرام المواطنين حول نفس موضوع الخطاب . .

تتعلق بنظام الحكومة المحلية التى لم تسبق الشكوى منها ، ولا من أسسها الديمقراطية ، ولكن من المؤسف حقاً ان النظام الجديد المعروض منكم حرم الشعب من حق التمثيل والرقابة على شئونه المحلية ، مما كفلته النظم السابقة ، وبهذا حرم الشعب من الحق الطبيعى فى انتخاب ممثليه ، زيادة على ان وضع الحاكم العسكرى رئيساً لمجلس المديرية أكد استمرارية حالة الطوارئ وحرمان البلاد من العودة إلى دستور يكفل حقوق المواطنين ويشركهم في الأشراف على شئونهم وينظم اداة الحكم فى مراتبها العليا . . . .

إن الحكم سلسلة من المشاكل وليس من المصلحة ان يكون الجيش ضمن تلك المشاكل ، بل الاصوب ان يكون بعيداً عن التيارات السياسية لضمان حياده ، وسهره على حماية البلاد ، وصيانة سيادتها . . .

إن البلاد التى خرجت بالجيش من مهمته الأساسية الداخلية أو الدولية ، فقدت جيشها أولاً بتعريضه للإنقسامات ، وعرضت بلادها ، ثانياً ، الى الانقلابات وهزات قد لا تقف عند حد . .

لهذا وبروح الوطنية ، والحرص على المصلحة العامة ، مدفوعين بالرغبة الصادقة فى التفاهم والتعاون ، نتقدم بالأسس الآتية :-

١- يتفرغ الجيش لمهمته الوطنية وهى حماية البلاد .

٢- تتولى الحكم هيئة قومية انتقالية لتحقيق الآتى :-

(أ) تمارس سلطات الحكومة فى فترة الانتقال .

(ب) تضع التخطيط السليم والأسس الواضحة للديمقراطية فى السودان وعلى ضوء تجارب الماضى .

(ج) تضع قانون انتخابات عادلاً يجرى الانتخابات لايجاد ممثلى الشعب الذين يتولون الحكم فى صورته النهائية وليضعوا الدستور .

٣- رفع حالة الطوارئ فوراً ، وكفالة حريات المواطنين ، وضمان حرية الصحافة ليستطيع الشعب ان يعبر عن آرائه فى حرية ، ولتستطيع الحكومة القومية تحسس رغباته ، والتجاوب مع اتجاهاته . .

اننا نرى مخلصين ان هذه الحلول تحقق الحكم الصالح والاستقرار، وتصون

سمعة البلاد . واننا لنأمل بصدق ان تصفو النفوس، وتَتّحِدَ الصفـوف ، لتخرج بلادنا بسمعتها مصونــة سليمة ، ويتحقـق للوطن خيره ومصلحتـة .)) [1] .....

وما ان جاءت اكتوبر حتى عادت التحالفات السياسية واغراضها الحزبية الضيقة فيعود الأزهري ، المعارض الاستقلالي القوي وحزبه الوطني الاتحادي ليؤسس الاتحادي الديمقراطي [2] مع حزب الختمية الشعبي الديمقراطي ، مُعَارِضْ الإستقلال و مؤيد نوفمبر و حليف الشيوعيين بعد إكتوبر في التجمع الاشتراكي الديمقراطي . . .

وان المرء ليتعجب ويحتار اجابة لأمر تحالف الزعيم الأزهري مع زعامة الختمية ، رغماً عن قوته وسلامة تفكيره السيـاسي الوطني ومقـدرته التعبيرية واستقراءاته السياسية .. ولكنها السياسة وفهمها على أنها (فَنُّ المُمْكِنْ) مما يستوجب على الزعيم المداراة والاستفادة من سيطرة الطائفة الختمية على مؤيديها بفهم مُعْوَجٍ لدور الدين والسياسة في حركة المجتمع ومعنى التصوف فيه [3] ...مما يمكن من الحكم والسلطة ، ومتطلباتها التكتيكية السياسية . . . .

و(كـفـى المرء فضـلاً أن تُعَـدَّ معـايبُـهُ) . . . .

كأنـا بـالأزهري يستقرىء التاريخ ويَسْبُر غور مستقبل الحكم في السودان فيخطابه أمام مؤتمر المائدة المستديرة بالخرطوم [4] . . . .

((لعلـه من أسوأ ما ابتـلي بـه السودان في هذا القرن ، السياسـة الاستعمارية البريطانيـة التي كانت تهدف لفصل الجنوب عن الشمال ، فسنت التشريعات التي تقيم العوائق بين شقي القطر ، كقانون منع الهجرة ، وعطلت

---

(١) مذكرة المعارضة لنظام عبود ١٩٦٠ (أزهـري وعصره - بشير محمد سعيد) .

(٢) ١٩٦٥م تحت رئاسـة اسماعيل الأزهري الاتحادي ورعاية الختمية.....

(٣) تقوم الطرق الصوفية تاريخياً على التربية والتهذيب ونشر الدين وتحفيظ القرآن ومعرفة علومه ، ليتمكن المريد من معرفة الشريعة وعلوم الحقيقة وسلوك الطريقة .. ومنها القادرية و التجانية والاحمدية والبرهانية .. وغلبت الصفة السياسة على طريقتي الانصار والختمية .. ويقف على الجانب الآخر المضاد لهؤلاء جماعة أنصار السنة المحمدية ....

(٤) ١٩٦٥م ... الحكومة الانتقالية رئاسة سر الختم الخليفة

التطور الاقتصادى و العمراني في جنوب السودان حتى تتسع هوة الخلاف ، و أورثت الاحقاد بنشر الدعاية السامة ، و بثت بذور الفتنة و الوقيعة بين الأخوين ، بل انها سارت قدماً ووضعت المخططات لتنفيذ خطة الفصل عندما تمردت " الاورطة " الفرقة الجنوبية .. ان الوطنية الصادقة التى تجلت في زعماء جنوب السودان و قادته إبان مؤتمر جوبا ، و قبيل اعلان الاستقلال احبطت خطط المستعمرين ، و ردت كيدهم في نحرهم ، و استعاد [1] السودان استقلاله ، كقطر موحد ، ولكن ذلك لم يمنع القادة فى الجنوب و فى الشمال من الارتباط بالمواثيق و العهود لاعادة النظر فى الاوضاع الدستورية لجنوب السودان عند اقرار الدستور النهائى .. فقد أجاز البرلمان بالاجماع في التاسع عشر من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٥م قراراً هذا نصه :-

((إنه من رأى هذا البرلمان ان مطلب النواب الجنوبيين لقيام حكومة فدرالية للمديريات الجنوبية الثلاث سيكون موضع الاعتبار الكامل من الجمعية التأسيسية) . . . . . .

و قد التزم الحزب الوطنى الاتحادى كغيره من الأحزاب بهذا الميثاق . وبدأنا فى وضع الإطار العام للدستور المستديم ، ولكننا فوجئنا بالانقلاب العسكرى الذى أطاح بالحياة الدستورية ، وحكم الشمال و الجنوب بالحديد والنار .. وها نحن اليوم وبعد ان تخلصنا من براثن العهد البغيض نلتقى مرة أخرى فى هذا الاجتماع التاريخى لنجدد العهد ، ونؤكد الوعد الذى قطعناه فى عام ١٩٥٥م أمام البرلمان السودانى بأن نعيد النظر فى مطلب جنوب السودان لقيام حكومة فدرالية للمديريات الجنوبية . . . . . .

وواقع الحال ان جميع السوابق و الادلة و البراهين تثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، ان النظام الفيدرالى ينشأ كوسيلة فى جمع اشتات و لايات متنافرة ، فيوحد بينها ، و يخلق بينها دولة موحدة فى أهدافها ، و غاياتها و نظام حكمها ، مع أعطاء الاعتبارات الكافية و التحفظات اللازمة فى الاجزاء التي تنشأ منها تلك الدولة .

---

(١) لعله يشير ويعترف بدور الثورة المهدية . . . .

وغني عن البيان انه ليس هنالك نظام فدرالي واحد يمكن ان يشار اليه بانه النظام الفيدرالي الأصيل .. فقد نشات الانظمة الفيدرالية لتعالج بعض المشاكل الدستورية التي واجهت بعض الأقطار في بعض فترات تدرجها السياسي ، كما ان النظام الفيدرالي في حد ذاته نظام يشيع البطء في الاجهزة الحكومية ، فوق انه كثير التكاليف والنفقات اذا ما قيس بالنظام الموحد .. يضاف الى هذا ان الفيدرالية لا يمكن ان تنجح ، أو تحقق اهدافها ، إلا اذا احتواها واحاطها احساس قومي عميق ، يجمع بين اشتاتها ، ويقوى اواصرها ، ويشد رباط اجزائها بعضاً الى بعض . . . . .

اننا لا نقبل بحال من الاحوال ان نسمح لأى جزء من بلادنا أن يقتطع ... واننا نعلنها دَاوِيَة مُدَوِّيَة ان دون ذلك خَرْطُ القَتَاد [1] ...

وأرى لزاماً على أن أوضح في هذا المقام إننا نفخر بعروبتنا وعربيتنا ... نفخر بعروبتنا وعربيتنا واسلامنا فقد جاء رواد العروبة الى هذه القارة لينشروا ثقافة أصيلة ، ومبادئ قويمة ولاشاعة المدنية والنور في اصقاع أفريقيا ، عندما كانت أروبا تتخبط في دياجير الجهل ، وظلمة التخلف العقائدى والعلمى .. فأسلافنا هم الذين حملوا المشعل ، وقادوا قافلة التحرر والإنعتاق ، وطوروا ثقافة اليونان والفرس والهند ، وصهروها في بوتقة الخيال والفلسفة العربية الراقية ، وقدموها نتاجاً سائغاً لكل مستفيد ومستزيد ... هذه هي وقائع التاريخ ، وصحيح القول لازيفه ... وأراني مضطراً لترديد هذا القول لأنني أرى في اصداء الحملة المسمومة التي يضرم أوارها دعاة الحروب الصليبية خطراً محدقاً بين صلات الشمال والجنوب .. فقد ظلت المطابع الأروبية تقذف لقرائها في افريقيا حمماً من طفيليات الأفكار الفقيرة التي لا تستند إلا على عواطف كاتبيها .. ونحن فخورون بلغتنا العربية فهي اللغة الوحيدة في افريقيا التي تتحدثها

---

(١) في مؤتمر المائدة المستديرة .. وقف حزب سانو (الحزب الوطني الأفريقي) جناح اقرى جادين مع الانفصال التام ، وأيدّ جناح وليم دينج الإتحاد الفدرالي مع الشمال ، ونادت جبهة الجنوب بتسوية القضية في إطار حق تقرير المصير ...

أقطار كثيرة فى فصاحة وجزالة ، وتخلطها كثرة محسوسة منها أخلاط من اللهجات المحلية ، وتستعملها فئات كثيرة أخرى كوسيلة للتفاهم بينها عندما تعجز لهجاتها المحلية عن حسن الاداء ، وجودة التصوير ... ومهما قال شانئوها عنها . وما يرفضها إلا اولئك الذين يرون فى لغة الفرنجة سحراً ، ونكهة لا لسبب إلا لأنها لغة الحكام الذين تعالوا عليهم ، واستبدوا بهم فخيل اليهم ان فى لغة اولئك السادة عمقاً أو سموقاً ، اقول انه بالرغم من هذه النظرات السطحية ، والعنجهيات المُبْتَسَرَة ، فإن منظمة الوحدة الأفريقية التى تجمع الشمل الأفريقى فترقى به الى مراقى الكمال ، قد قررت ان تستعمل اللغة العربية كإحدى اللغات الافريقية الأصيلة . وما كان دين الاسلام السمح إلا تطويراً للمسيحية الجميلة ، وما كان محمد إلا خاتم الرسل والانبياء وما جاء إلا ليتمم مكارم الأخلاق ، والنقطة الأساسية التى أريد ان اقررها هنا ان الحرب الصليبية الخيالية التى يود غلاة النصارى أن يشعلوها فى مجاهل أفريقيا قد انحسرت أمواجها ، ونضب معينها في القرون الوسطى ، فكيف نسمح لهم بعد مرور قرون طويلة اصطلينا فيها بنار المجوس الفرنجة ان يؤججوا أوارها بين ظهرانينا .....

إن من أولى المهام التى يجب أن نوليها عنايتنا الخاصة هى إقرار الأمن في الجنوب ، وتعزيز الثقة بين الجنوبيين والشماليين ، لاننا لا نستطيع تطوير الجنوب فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية مالم يستتب الأمن فيه ، وتعاد الثقة بين الناس .. واننا لنهتم اهتماماً كبيراً بالتقدم الاقتصادى والعمرانى فى الجنوب ، لاننا نعتقد انه لابد ان يلحق الجنوب بالشمال فى هذا المضمار . وان من أهم أسس التفاهم المستديم ان تتساوى الفرص الاقتصادية وتتقارب المستويات المعيشية .. ولما كانت المديريات الجنوبية الثلاث من اكثر مناطق افريقيا تخلفاً ، وان اغلبية سكانها يعيشون على الكفاف ، كان لزاماً علينا ان نسرع بالتطوير الاقتصادى ، فنزيل آثار التخلف ، ونرفع مستوى المعيشة ومن المعلوم ان التقدم الاقتصادى يعتمد الى حدٍ كبير على تحسين المواصلات بين الشمال والجنوب لذلك وجب علينا ان نضع الخطط الفعالة لتطوير المواصلات البرية ، والنيلية ، والجوية ، والسلكية ،

واللاسلكية .)) [1] . . . .

إنه أحد حداة جيلٍ ادرك معاناة الوطن وعيش المستعمر وعرف حقيقه وادرك هموم الوطن ومرحلتها ، فتَسَلَّحَ بالعلم والمعرفة ، وقاد كفاح جيله بعزمٍ وصدق واخلاص وتجرد ... تلك أمة من الاتحاديين قد خلت ..... [2] وجاءت بعدها أخرى تهب مع كل ريح ولها (بكل وادٍ بَنوْ سعد) [3] ، تَتَغَنّى مع المَسَرّة والميسرة والمسغبة والمتربة . . .

" كل النداء اذا ناديت يخذلني إلا النداء اذا ناديت يا مالي "

(شُخْبُ فى الإنِاء وشُخْبُ فى الأرض) . . . . .

ما ان جاءت مايو ، وأعلن رئيس وزرائها ووزير خارجيتها بابكر عوض الله بان حجر الزاوية فى سياسة الثورة الخارجية هى العلاقة مع مصر حتى أسرع السيد محمد عثمان الميرغنى للقصر ليقابل نميرى ويعلن تاييده للثورة بياناً مذاعاً . . . .

" لقد كانت المبادىء التى أعلنها رئيس مجلس قيادة الثورة والسيد رئيس مجلس الوزراء فى اليوم الخامس والعشرين من مايو فيما يتعلق بالإتجاه العربى والنظر الى المرحلة التى تجتازها أمتنا العربية هى المبادىء التى نؤمن بها وتجد منا التعضيد والمساندة وقد إلتزمنا دائماً بالعمل على تحقيقها وان التلاحم القوى بين اسلاميتنا وعروبتنا هى منطلقنا في المستقبل ... وفَقّ الله القائمين بالأمر لتحقيق الإستقرار المنشود للبلاد فى ظل مجتمع الكفاية والله المستعان . " . . . . .[4]

وتاتى أيام رجب ويحلو الغناء بنغمٍ مخالف . . . وبينما النميرى بعيد بمصر التايبد تجتمع الجمعية العمومية للبنك الاسلامى السودانى ليخاطبها

---

(١) خطاب الزعيم الازهرى فى مؤتمر المائدة المستديرة (ازهرى وعصره) بشير محمد سعيد -

(٢) توفى الزعيم الأزهرى فى ١٩٦٩/٨/٢٧م .

(٣) من يجد من يلقاه كمن يفارقه .

(٤) جريدة الأيام يوم ١٩٦٩/٦/١م .

راعـى الختمـيـة ....[1]

" لقد تواصل العمل في مرطة التاسيس ليل نهار حتى السابع والعشرين من شهر رجب ١٤٠٣ هـ ، العـاشر من مايو ١٩٨٣م ، وقد هدفنا من اختيار شهر رجب السابع والعشرين منه تيمناً بذكرى الاسراء والمعراج ، وقد هدفنا من اختيارنا [2] لشهر " مايـو " تاريخاً لإفتتاح البنك كسر الحـاجز النفسي والواقعـي الذى كان يقضي بان شهر مايو شهر محتكر لإفتتاح و انشاء منظمات النظام المباد ...

وقد توقع الناس دعوة الرئيس المخلوع لافتتاح البنك واعطائـه حساب رقم واحد بدافع من الرغبـة والرهبـة إلا اننا تعمدنا عدم دعوة أى ممثل للنظام حتى محافظ الخرطوم ، وقد أحس النظام بان الحركة الوطنية تعمل جهاراً على تجاوزه فى مسيرتها نحو تحقيق أهدافها .)) .....[3]

ومعلوم لدى السودانيين جميعاً بأن المعارضة الاتحادية لمايو كانت تتمثل في الشريف الهندى ومجموعته الاتحاديـة داخل الجبهة الوطنيـة والتى اشتركت فى كل ملاحم معارضتها لمايو بدءاً بموقف الهندى فى الجزيرة أبـا والمواجهات فى شعبان ، والحركة العسكرية للجبهة الوطنية من ليبيا يوليو ١٩٧٦م ... وفى شرائط الكاسيت والفيديو الهندية والتى يتداولها الاتحاديون فى الخارج والداخل والتى كانت تلهب حماس المعارض بالمقدرة الخطابية الأدبية وإجادة العرض اكثر من واقعيتـه وصدق أحداثه .. وبالرغم من ذلك كانت تمثل متنفساً للمعارض الداخلى ومسرحاً لنسيان كبتـه السياسى وعجزه عن المواجهـه الفعليـة لنظام ضارب وعنيف ... وقـد أفلح الهندى فى جمع المال وكسب التاييد والدعم السياسى العربى للمعارضة ...

---

(١) قـاعـة الصـداقـة ١٢ مارس ١٩٨٧م

(٢) ذلك داعى الخطابة السياسية وحكى لصورة المعارض ، فمن العسير اختيار تاريخين محدديْن برقم واحد عربى وافرنجى لمناسبة واحدة علماً بأن الفرق بين السنة القمرية والشمسية ١١ يوماً ، تلك إذاً مجرد صدفه تقويمية ... (٣) جريـدة الاتحـادى ١٩٨٧/٣/١٥م ...

ولم يترك حسين الهندى [١] سامر الجبهة الوطنية إلا عند المصالحة الوطنية

(ما يوم حليمة بسرٍ) [٢] ....

بعد اجتماع بورتسودان [٣] وفى اجتماع الجبهة الوطنية بلندن [٤] .. أعلن الشريف الهندى عدم موافقته على المصالحة .. وعندها ارسلت مايو كبير أمنها القومى (عمر محمد الطيب) ، ورئيس مجلس الشعب القومى (أبو القاسم هاشم) وأعلنا عن إتفاقية مصالحة لندن [٥] مع الشريف الهندى أرسل الهندى خطابه لنميرى يعلن فيه عزمه العودة للسودان تحت إمضائه بتاريخ ١٩٧٧/٩/٢٧م **ويدين فيه الممارسات الحزبية ويقرر ايجابية التنظيم الواحد ...**

((أود فى بداية حديثى ان أحَىّ المواطنين جميعاً ثم أشيد بمبادرة الأخ الرئيس جعفر نميرى التى مكنت الشعب السودانى من تجاوز أخطر انقساماته منذ الاستقلال . . .

فمبادرة الأخ الرئيس فى الواقع وقفه شجاعة فى اخطر منعطف فى تاريخ السودان حيث كان الخيار بين :-

. . الوحدة أو الشتات . .

. . . البناء أو الهدم . . .

. . العقل أو العاطفة . .

. . الأرض أو الأفراد . .

---

(١) بعد وفاة والده يوسف الهندى ، تولى الخلافه الشريف عبد الرحمن بن الشريف يوسف الهندى وأسس حزباً تحت رعايته و رئاسة د. عبد القادر مشعال باسم الحزب الوطنى الذى اندمج فى الوطنى الاتحادى ١٩٥٣م بعد توحيد الاحزاب الاتحادية فى القاهرة عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م . غير ان الشريف عبد الرحمن الهندى قد انضم فيما بعد لحزب الامة ،،، و عارض الشريف حسين تاسيس الحزب الوطنى على اساس طائفى ايماناً بفتح العمل السياسى امام كل المواطنين بعيداً عن محدودية الطوائف رافعاً شعاره (لن نهادن الكهنوت السياسى) ولم ينضم لصفوف الوطنى الاتحادى إلا بعد ان انفصل عنه الختمية مكونين حزب الشعب الديمقراطى . . .

(٢) يوم قتل المنذر بن ماء السماء . . . .

(٣) ١٩٧٧/٧/٧م .

(٤) ١٩٧٧/٧/١٤م .

(٥) أعلنت من لندن ١٩٧٧/٧/٢٤م ومن ليبيا ١٩٧٧/٧/٢٦م .

. . . الموضوعية أو الذاتية . . .

وكان الأخ الرئيس جعفر وحده القادر على تحديد الإتجاه، بمبادرة منه ما كان غيره يملك حق طرحها أو يستطيع المناداة بها . .

نحن استجبنا للمبادرة لأننا نعلم ان الأخ الرئيس القائد يعبر بمبادرته عن رغبة الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية فى الوحدة الوطنية الشاملة ، ولأننا نثق فى الرئيس وفى وطنيته وجديته وصدق نواياه . .

ان التنظيم السياسى الواحد تجميع ايجابى لمقدرات الجماهير ، وقد كانت للأحزاب بحكم التجربة ممارسات سلبية عجزت تماماً عن تلبية أمانى وآمال المواطنين . . .

وختاماً فنحن قد استجبنا لنداء الأخ الرئيس وسنعود لأرضنا ولوطننا لنعمل باعلى درجات الصفاء والموضوعية والجدية مع اخواننا ومواطنينا لبناء السودان الحديث المتقدم بإذن الله .)) . . . . .[1] و عبر عن ذلك داخلياً عبد الماجد أبو حسبو فى مقابلتة لنميرى بحضور أحمد عبد الحليم وفتح الرحمن البشير . .

((هذه المبادرة الوطنية لا تصدر إلا من سودانى أصيل وقائد مسئول ..)) . . . . [2]

ورغم ذلك يظل الهندى معارضاً باسم الجبهة الوطنية حتى توقيع اتفاقية جدة [3] مع نميرى مشترطاً فقط حرية الانسان وحرية القضاء . . . .

ولما سُئل :

" الشريف حسين ، هل ينتظر بعض التعديلات فى الدستور قبل ان يعود ؟ " . . . . [4]

((لا أنا لم اشترط ذلك بالرغم من اننى ساكون سعيداً لأن أرى

---

(١) الصحافة ١٩٧٧/٩/٢٨م .

(قال الشريف الهندى فى رسالة وجهها للزميلة الايام) .

(٢) سونا ١٩٧٧/١٠/٩م .

(٣) جدة ابريل ١٩٧٨م .

(٤) سونا - ميديل إيست . . .

القوانين الأستثنائية ترفع قبل عودتي .)) . . .

وذكر فى اجابته لجريدة المدينة عندما سالته عقب أتفاق جدة (اتفاق المصالحة الذى وقعتموه مع النظام لا يختلف كثيراً عن الاتفاق الذى وقعه السيد الصادق المهدى وعارضتموه بشراسة كما إنه فى نفس الوقت لم يحقق مطالبكم السابقة بتعدد الأحزاب وحل مجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى) [1] . . . . . .

((الشريف :- فى واقع الأمر ليس هنالك اتفاق وقعه الصادق المهدى ، فالصادق المهدى ومن معه ذهبوا للتفاوض على أسس محددة رأت الجبهة ان يدور حولها التفاوض فى السودان .. ومنذ ان ذهب للسودان لم يشترك أحد من الذين ذهبوا معه فى التفاوض . . .

وثانياً :- إنه لم يتم التفاوض بل تمت اجتماعات متعددة تفوق العشرة بين الرئيس جعفر نميرى والصادق المهدى وكل اجتماع كان يستغرق عشر ساعات ولم يعلم الناس إطلاقاً ماذا تَمّ ، كل الذى علموه وبعد ذلك ان اعضاء من جماعته - اى الصادق المهدى - قد عينوا فى الاتحاد الاشتراكى وآخرين عينوا فى مجلس الشعب وفى اللجنة المركزية وفى المكتب السياسى واصبحوا جزءاً من النظام . . .

معارضتنا للصادق وعدم موافقتنا على الاتفاق الأول ترجع الى كون الصادق المهدى تصرف بفردية ودون المشاورة معنا بل إنه قام باعلان طردنا من الجبهة خصوصاً أنا وأحمد زين العابدين .... وفى هذا الاتفاق الجديد سرنا فى طريقنا ملتزمين بالاسس التى وافقنا عليها وحملناها للصادق المهدى عند مفاوضاته مع الرئيس نميري وخير دليل على ان الصادق نفسه لم يكن راضى عن اتفاقه الأول هو عدم ادلائه بالقسم للإتحاد الاشتراكي ولم يعتذر عن عضويته وابقى الأمر معلقاً بينما ظل كبار معاونيه في الاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب ونحن وقتها قاطعنا هذه الانتخابات وظللنا فى المعارضة الى ان تم الاتفاق على المصالحة .)) . . .

---

(١) المدينة ٢٥/٤/١٩٧٨م .

وتابعتـــه ايـام [1] الخرطوم ايضـــاً بجـدة ....

((لابد أن أحَيّ هنا وبصفة خاصة الأخ الشجاع الرئيس نميرى ومواقفه البطولية فى سبيل السودان .. وانما نؤكد له باننا نصالحه اليوم بصدق وشرف من أجل السودان ، كما خاصمناه بالأمس بالصدق وبالرجولة وبالشرف ، وسيجد فينا العون والنصير في جهوده .)) ....

عـــودة الغـائـــب ...

" أكد الشريف حسين الهندى فى حديث خاص للأيام ان عدم عودته للخرطوم فى نهاية أبريل الماضى يرجع لاسباب خاصة وطارئة وانه سيعود حتماً خلال شهر مايو الحالى ليعمل مع اخوته من اجل البناء والتعمير ووحدة الصف والديمقراطية ..

وقال انـه يؤكد مجدداً للأخ الرئيس القائـد نميرى ثقته الكاملة فى اخلاصه وصدقه وشجاعته وتقديره الكامل لمبادرته التاريخية التى كانت الركن الأساسى لهذه الوحدة الرائعة التى تنتظم بلادنا الأن .)) [1] ......

وبعد مرور شهر آخر ، تسال الأيام [2] ....

(لم يبقى فى نهاية اللقاء إلا أن سال الشريف السؤال التقليدى .. متى يعـود الشريف ؟ !) .

" الشـريف :- لقـد ظللت هارباً ٩ سـنوات ولدى كتـاب الأن اسمـه (الهارب) ، ولابد من عودة الهارب وهنالك كتاب آخر اسمه (عودة الهارب) ... أخـوتى أرجو ان تكون عودتى خلال شهر يونيو (الشهر الحالى) ... وبمناسبة الحديث عن عودتى أرجو ان اؤكد حقيقة هامـة وهى إننى فرد من افراد الشعب السودانى والوحدة الوطنية لا ترتبط بالافراد أو بعودتهم اطلاقاً ، وبمقدار ما يتساءل الناس لماذا لم يعد الشريف ؟ بمقـدار ما أسال أنا ما هى أهمية عودة الشريف وهـو فـرد عادى ، ولماذا يعتقد الناس أن هنالك اخلالاً باتفاق مُوَقّعَ بالرضى والإختيـار قد حدث اذا عـاد الشريف

---

(١) الايام ١٩٧٨/٤/١٤م (حسين الهندى يحيى شجاعـة نميرى ومواقفه البطولية)

(٢) الايام ١٩٧٨/٥/٤م - لندن عبد الله سيد احمد .

ام لم يعد وهو بشر لـه ظروفـه التى يغتـرب فيها و يعـود ، أؤكد انى ساعود .)) [1] . . . .

و يظل الناس ينتظرون عودة المعارض الذى خرج سراً مطلوب القبض عليه حياً أو ميتاً ، بعد ان غيرت المصالحـة عودتـه رغبـة و رجـاءً من مايو وتشاء الأقدار ان يلقى الشريف ربه خارج وطنـه ليعود جثماناً يوارى بجانب اجداده ببرى الشريف بالخرطوم [2] . . . .

و يتابع الاتحاديون الديمقراطيون مسايرة الأوضاع بمرونـة و انسجام ومـآرب أخرى يبغونها ، و يزعمون المقاومة السريـة الداخلية للنظام " دخول أحمد للمكتب السياسى و اللجنـة المركزيـة للاتحاد الاشتراكى كان قراراً من لجنـة الحزب و لقـى ذلك ترحيباً من الشريف حسين الهندى فى الخارج .)) [3]. . .

(رَأىَ الشيخ خير من مشاهـدة الغـــلام) . . . .

" و نحن نقلب صفحات التاريخ لابد ان نعلن الحقائق على الشعب السودانى وفى صفوفنا نحن الاتحاديين من شارك أيضاً على أساس حماية المواطنين فى الاقاليم المختلفة ، ولذلك دخل كثير من قياداتنا الجماهيرية مجالس الشعب الاقليمية و حتى رؤساء و نواب رؤساء تلك المجالس كانوا من الاتحاديين و قـد اعتمدت أنا شخصياً أبان اشتغالى فى مايو علي هذه القيادات و استنفرتـها و جمعتها فى مجلس الشعب القومى من اجل إعادة تكوين الحزب الاتحادى الديمقراطى و كنت اعقد الاجتماعات بوزارة المواصلات و فعلاً تكونت منهم قوة اتحادية كانت تتعاون معى على تجميع كل القوى الاتحادية كما كان يفعل الأخوان المسلمون فى تنظيمهم داخل النظام المايوى ... و كان ذلك

---

(١) الايام ١٩٨٧/٦/٦م

(٢) ١٩٨٢/١/٩م .

(٣) اجابة السيد محمد عثمان الميرغنى لسؤال برنامج (الرأى لكم) التلفزيونى السودانى فبراير ١٩٨٦ م .

مظهراً من مظاهر قيادتي للمعاضة من الداخل وكان هدف المشاركة كما ذكرت الاستيلاء على النظام من الداخل استيلاءً سلمياً والعمل لإعادة الديمقراطية .)) [١] . . . .

وتاتي الانتفاضة وتدب الحياة بِقَدْرِها في أوصال الحزب عندما يتجاوز الاتحادي الديمقراطي الخلافات داخل صفوفه ويصل الى صيغة تؤكد وحدة الحزب ، لتبدأ تكتيكات الحزب السياسية الإنتخابية . . . .

" وتورد سونا ان الاجتماع قد قرر اعادة تكوين المكتب السياسي على أساس الشرعية التاريخية للحزب عند تكوينه ١٩٧٧م ، والشرعية المكتسبة من خلال العمل في المرحلة النضالية الماضية .)) [٢] . . . .

وتاتي الإنقاذ فيكون يوم سرور الاتحادي الديمقراطي باتفاقية الميرغني – قرنق [٣] قصيراً ... ويسجل حفيد جيىء بـه ليكون سداً أمام التَبْشِير المسيحي في السودان تفريطه في المهمة ، ويساوم بهوية أمتـه ووجهتها الحضاريـة . . . .

((كيف لا يمكن للفريق البشير ان يلغي الشريعة رغم إنه قادر على ذلك ، بينما سبق ان وافق على الإلغاء زعيم دينيّ وهو السيد محمد عثمان الميرغني ، ووقـع على هـذا في اتفـاق ١٦ نوفمبر ١٩٨٨ م مـع العقيـد قرنق .)) [٤]. . . .

ولولا قيام الانتفاضة في ابريل ١٩٨٥م ، لكان الختمية والاتحاديون هم آخر فرس رهان لنميري .. فقد اصدر نميري قراراً جمهورياً بتكوين لجنة قومية لتخليد ذكرى السيد علي الميرغني وقادة الحركة الوطنية برئاسة السيد الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب .. ينص . . .

" تختص اللجنة بالاشراف والاعداد على اقامة احتفال بالعاصمة القومية بتاريخ غرة محرم ١٣٠٦ هـ تخليداً لذكري سيادة السيد علي الميرغني والعمل

---

(١) أحمد السيد حمد – الاسبوع ٨ ديسمبر ١٩٨٦م .

(٢) الايام ١٩٨٥/١١/٢٠م .

(٣) أديس أبابا فندق قيون ١٩٨٨/١١/٦١م . ** (٤) د. منصور خالد الإهرام ١٩٩٠/٣/٢٨م

على ابراز دور الشخصيات الدينية ودور الصوفية فى تربية ابناء هذه الأمة ونشر الوعى الدينى ومساندة الحركة الوطنية وجمع المذكرات والوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية وقادتها للاستفاده منها في تسجيل تاريخ السودان الحديث واثراء مصادره وطبع سفر يحوى مناقب ومذكرات سيادة السيد على الميرغنى ودوره فى الحركة الوطنيّة .)) . . . [1]

ولكن (تـــأتى الريــاح بما لا تشتهـــى الســفـــن) . . . .

---

(١) الصحافة ١٩٨٥/٣/٢٤م .

السيد على الميرغنى

السيد الشريف حسين الهندى



السيد محمد عثمان الميرغنى



السيد أحمد الميرغنى



اتفاقية ١٦ نوفمبر (الميرغنى / قرنق)

(ج) الحـــركـــة الإســـلاميـــة

البــدايـــــة و التطـــور.......

فى أواخر الاربعينان (١٩٤٩م) بدأت الحركة الإسلامية السودانية خطواتها الأولى باتصالات الاسلاميين الأوائل بقيادة تنظيم الأخوان المسلمين بمصر ، ودعم الجهد بعودة الطلاب السودانيين الذين هاجروا للتعليم في مصر وعاصروا حركة الأخوان بها وتأثروا بفكرها وأدبها الحركي .. وفى ذات الوقت كانت طلائع الاسلاميين بجامعة الخرطوم والمدارس الثانوية تقبل على الأدب الحركى الاسلامي للأخوان المسلمين والدعاة فى باكستان ، وتكونت عندئذ حركة التحرير الاسلامي ، وبتخرج شبابها الأول فى ١٩٥٥م ، وبعد الإستقلال ، بدأت تشعل شرارة تفاعل التدين الفطرى فى المجتمع السودانى لتضيف لمفهومه فى الشعائر التعبدية والمعاملات معنى تحكيم الدين ... وبدأت دائرة الفكر الاسلامى دعوة وتذكيراً وشعارات ومدارسات وكتابة وخطابة ، مبتعدة عن ملامسة التقنين فى عرضها لقضية الدستور الاسلامى فى الخمسينات . . .

وظهرت الحركة الاسلامية امام مجتمع السودان بحجم منظم محدود بعد اكتوبر١٩٦٤م ، وذلك بعد المبادرة لقياداتها فى تفجير الثورة .. وبدأت تكويناتها الحزبية (جبهة الميثاق الاسلامى) والتنظيمية (منظمة الشباب الوطنى) والجبهوية (الجبهة النسوية الوطنية) ... وابتدرت معاركها السياسية بقضية حل الحزب الشيوعى [١] السودانى ، وحمل الأحزاب التقليدية الطائفية على مسودة دستور ١٩٦٧م ذات الملامح الاسلامية الواضحة والتى انتهت بقيام مايو. . .

قبل قيام مايو وفى مؤتمر دار الخريجين بأمدرمان [٢] بدأت مظاهر الخلافات الاستراتيجيـــة والفقهيـــة تدب فى اوصال الحركـة الاسلامـية تنظيماً وقيادة وشخوصاً ، حيث دار الخلاف فى فلك التوازن التنظيمى بين التربية والنشاط

---

(١) ١٩٦٦م .

(٢) ١٩٦٩م (البعض يرجع بدايتها مكاناً للنادى الثقافى ببحرى) .

السياسى .. وسياسة النوع (عصبية التنظيم وطائفية الجماعة) وسياسة الكم (المعارك السياسية وحاكمية التنظيم) .. كما امتد الخلاف للاجتهادات الفقهية ، وعلاقة الحركة الاسلامية السودانية بحركة الاخوان المسلمين المصرية والعالمية ... وانتهى المؤتمر بتباعد الاجتهادات الفقهية ورفض بيعة التنظيم المصرى كمرشد عام للحركة الاخوانية العالمية ...

وبَعدَ ، رفض المنشقون المساهمة فى مواجهة المعارضة لمايو قبل المصالحة الوطنية ، كما رفضوا المصالحة نفسها فيما بعد ، وبنوا عليها كثيراً من جوانب الخلاف .. وبدأوا يهاجمون أفكار الجناح الأخوانى المصالح [1] وأراء قيادته الفقهية التجديدية ....

المعارضة ، والمواجهة بعد مايو .....

(وبعض القول يذهب فى الرياح) ......

بدأت المواجهة بين مايو والاسلاميين ، والذين اعتقلت مايو قياداتهم حتىّ المصالحة ، بمعركة الجزيرة أبا ١٩٧٠/٣/٢٧م ، والتى قام كادر الأخوان المسلمين من المحاربين مع منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) ، بدور المدرب القائد لجماعة الأنصار والأخوان معاً [2] ...

وواجهت قواهم الطلابية مايو فى ١٩٧٣/٨/٣٠م وأدت دورها فى قيادة الثورة على المستوى الطلابى ، و**احتفظوا بها ساخنة** لأيام ، واخمدت المظاهرات بالرغم من وقوف بعض النقابات واحجام أخرى .. ولم يؤدى القادة السياسيون دورهم المناط بهم كما ينبغى ...

واشتركت الحركة الاسلامية فى احداث يوليو ١٩٧٦م [3] الدامية ، والتى كانت آخر المواجهات القتالية بين مايو ومعارضيها من الأحزاب ..

---

(١) من يعتبر التنظيم طائفة مغلقه فى مصر وحركة فى السودان .

(٢) الاستاذ محمد صالح عمر قتل فى المعركة ١٩٧٠/٣/٢٧م ، وحوكم الشيخ محمد صالح الكارورى بالإعدام ضمن مجموعة من الأنصار والأخوان ...

(٣) عرفتها مايو بغزو المرتزقة من ليبيا ....

(الايناس قبل الإبنـاس)[1] ...

جاءت الحركة الاسلامية لتصالح و أمامها حقيقة ان الشيوعيين هم أول من غرّه سراب مايو ، فأبادت خضراءهم وكانوا جيفة لم تعكر بحراً لمسيرتها ، وامامهم أولاً العتبة الفقهية ، فجوْلة الباطل ساعة وجوْلة الحق الى قيام الساعة ...

لذا فقد غشيت مجالسهم واجتماعاتهم نقاشات دارت حول فقه الضرورة ، ودرء المفسدة وجلب المصلحة ، وارتكاب أخفّ الضّررين ... حيث رأى البعض ان في دخولهم مشاركة في تضليل الامة عن الاستبداد الذى يحكمها ويتسلط عليها .. ورأى غيرهم إن في المشاركة واجباً يمليه فقه التدّيّن في قضايا الاصلاح والتغيير ، وبها يتم اسماع صوت الاسلام واقامة الحجة وقطع الأعذار ... وبها تخطو الحركة الاسلامية خطوة نحو حسم قضية تكَيْف الواقع ومتطلبات التّديّن ....

وصالحت الحركة الإسلامية ..

(الجوعُ أروى و الرّشيف أنْقع) ....

" في عام ١٩٧٦م بادر الصادق المهدى رئيس حزب الأمة بمقابلة نميرى دون ان يستشير بقية أطراف المعارضة وعقد معه صفقة أولية للمصالحة و بعدها ادركت المعارضة ان عناصرها ينبغى ان تصالح ، فصالح كل طرف على طريقته ... اما الحركة الاسلامية فلم تتبع السلطة وانما طلبت حرية الدعوة للإسلام .. فاشتُرِطَ عليها ان تعمل داخل الأطُر القانونية وفي جمعيات مسجلة قانوناً ومن داخل أطر الحكم والاتحاد الاشتراكي فرضيت بذلك "[2] .

(ومن خَشِيَ الذئب أعَدّ كلباً) ....

" واستمرت الحركة تعبىء تنظيمات اسلامية موازية للإتحاد الاشتراكى

---

(١) المداراة عند الطلب ...

(٢) د. حسن الترابى الأهالى ١/٥/١٩٨٥م .

و ادخلت فكرها داخله حتى كاد ان يتلاشى فكره الكلاسيكى ... و لما تعاظم الدفع الإسلامى قدر نميرى ان خير وسيلة لاستلاب الشعبية منها ان يتبنى أطروحتها ، فتبنى الاسلام وجعله هو التفويض الذى انتخب به ، و لكنه صاغ القوانين بعيداً عنّا حتى يستأثر بالفعل و حتى لا يقال انه يتحرك بوحى منّا " [1] . . .

((ظهرت بعد ٧٦ بوادر استقطاب دولى لتُلجئ المعارضة لها ، و يقع نميرى فى احضان أمريكا ليجابه التحدى ، و ما أردنا ان ننتهى بعلاقات المعارضة الى حرب بين القوى العظمى يكون ابناء السودان و قودها .. و بدأ النظام فى مسطلحه السياسى يتحدث عن الإسلام و يتقرب الى الرأى العام الشعبى ، و بادر الصادق المهدى بالذهاب الى بورتسودان دون ان يستشير اعضاء المعارضة فصالح بعد ذلك كل على نهجه ، و كانت الأحزاب تريد اقتسام السلطة ولم نطلب السلطة بل طلبت الحركة الاسلامية حرية الحركة و اشترط عليها ان تعمل فقط فى إطار الجمعيات المسجلة من داخل أطر الاتحاد الاشتراكى ، و نجحت الحركة في انشاء تنظيمات اسلامية موازية لتنظيمات الاتحاد الاشتراكى (رائدات النهضة و شباب البناء) .)) [2]

" أما الاتجاه الاسلامي فلم يطلب إلا حرية الدعوة الإسلامية و اشترط على هذا الاتجاه ان لا يكون كياناً معلناً ، فظللنا نعمل من اجل بناء مستقبل اسلامي في السودان حيث نقيم المؤسسات الاقتصادية و الخيرية و الثقافية والاجتماعية و نتحدث للرأى العام بلغة لا تدعوا لاسقاط النظام ، بل بلغة مستقلة تنتقد سياسات النظام و تتجافى عن شعاراته ، و كنا ننظم كثيراً من التظاهرات و الندوات المعارضة و كان النظام مضطراً ليصبر علينا تقديراً لقوتنا السياسية .)) [3]

" إن كان البعض يعيب علينا المشاركة فى النظام فإن النميرى ظل يحكم ١٦ عاماً شاركته بالتأييد السافر و الخجول سائر القوى السودانية

---

(١) د. حسن الترابى الأهالى ١٩٨٥/٥/١م

(٢) ثلاثون لقاءً صحفياً مع د. الترابى - مكتب اعلام الاتجاه الاسلامى (المصالحة والمعارضة)

(٣) د. حسن الترابى - الاتحاد ١٤٠٥/٨/٢٤هـ

منها من سانده في خرق الدستور . كالنظام المايوى الأول ومنها من شاركه بصفه شخصية وما من سودانى إلا وأدى دوراً فى الحياة العامة فى عهد مايو ، إلا الأحزاب التى لم تكن قد ولدت بعد .. وانما تقوم المقارنة بينها على الدور الذى أدته الجبهة فى سياق معيّتها للنظام المايوى ... والحركة الاسلامية في مشاركتها كانت الصوت الذى أرتفع بالنقد للفساد فى المواقع التنفيذية والتشريعية ، وكانت هى الوحيدة التى فرضت مبادئها على النظام الذى بدأ اشتراكياً متَمَركساً وانتهى يدعى النسبة للإسلام " [١] . . .

لقد ركزت استراتيجية الحركة الاسلامية بعد المصالحة على استخدام الحرية النسبية المتاحة فى توسيع التنظيم ونشاطه ، وعملت على ايجاد ضوابط اجتماعية لمحاصرة ومحاربة ومحاسبة الفساد تمثلت في الجمعيات والمنظمات المختلفة باعتبار ان القانون هو أعجز انواع الضبط الاجتماعى .. ودخلت دائرة الحركة النسوية السودانية مجال تخطيطات الحركة ، وهمومها .

وانتبهت الحركة الاسلامية لمكانة جنوب السودان الاستراتيجية ، وبدأ النشاط السياسى والفكرى الاسلامى عن طريق منظمة الدعوة الاسلامية بالجنوب وجبال النوبة ومناطق الانقسنا ، واقترنت الدعوة بالخدمات الاجتماعية والخيرية بمناطق غير المسلمين وغير الناطقين باللغة العربية ، وتوسعت الأعمال التطوعية والاغاثية ... وعملت الحركة الاسلامية على سد الفراغ الفكرى داخل الاتحاد الاشتراكى وبدأت المعارك السياسية والكلامية بين القادمين والقدامى [٢] . ووجد المعارضون للحركة فرصتهم لبذر وتغذية الخلاف مع النظام .. وبدأوا بتضخيم المخاوف لدى النميرى وافلحوا فى زعزعة الثقة وزرع الخوف والرهبة فى نفسه من مخاطر الحركة الاسلامية على نظامه ....

وبدأت المغالطات فى انتماء مايو الفكرى بين مصالحِي الحركة ومُؤَيِّدى مايو قيادة وتبعية ... (إن الكتاب (**النهج الاسلامى لماذا**) أعلن ايمان الدولة بما آمنت به القاعدة الشعبية ، وهذا تحول جديد ..) [٣]

---

(١) ثلاثون لقاءً صحفياً مع د. الترابى - (المعارضة والمصالحة) .

(٢) أشهرها صراعات الاستاذ/ موسى يعقوب ، وما يَعْرِفهُ بعصابة الأربعة .

(٣) د. الترابى ندوة الصحافة ١٤/٢١/١٩٨١م ، عن (النهج الاسلامى لماذا) .

" هذا تقويم غير صحيح للكتاب ولثورة مايو ، فالكتاب لم يجئ كتحول مفاجىء فى خط مايو ، أو كتطور معزول عن مواثيقها وانجازاتها .... فقد اتجّهت مايو للنهج الاسلامى منذ قيامها وضمنته مواثيقها وانجزت على طريقه شتىّ الانجازات السياسية والاقتصاديّة والاجتماعية .. "[1] ..

غير ان تلك الصراعات لم تنل من الحركة بقدر ما اضعفت الاتحاد الاشتراكى مما مكن الحركة من تمكين ايدولوجيتها الواضحة فى برنامج الوّلاية الرئاسية الثانية ..

وليس ثمة أوضح دليلاً على ايجابيــة خطوة المصالحة للحركة الاسلامية من نمو الدعوة الاسلامية السياسى ، والذى توضحه نتائج الانتخابات التالية للمصالحة وحتى قيام الانقاذ الوطنى .. ففى انتخابات فبراير ١٩٧٨ ، نالت الحركة الاسلامية عشرين مقعداً فى مجلس الشعب القومى[2] ، وستين مقعداً فى انتخابات مجلس الشعب القومى لعام ١٩٨٠م من ضمنها نصف مقاعد العاصمة القومية وكسبت دارفور فى انتخابات الحكم اللامركزى ، ودارفور هى احد مراكز السيطرة الحزبية للأنصار وحزب الأمة[3] ... وحازت الحركة على كل دوائر الخريجين في الشمال ودائرتين في الجنوب فى انتخابات ١٩٨٦[4] ...

---

(١) عوض الكريم موسى عبد اللطيف ، ندوة الصحافة ١٩٨١/١٢/١٤م فى رده على د. الترابى .

(٢) مجموع المقاعد ٣٠٤ كسب منها (حزب الأمة ٣٠ ، الاتحاد الديمقراطى ٣٠ والمستقلين ٦٠) .

(٣) فى انتخابات ١٩٨٦م كسبها حزب الأمة ولم تنل الحركة إلا دوائر الخريجين ودائرتين جغرافيتين

(٤) مجموع دوائر الجبهة الاسلامية فى الجمعية التأسيسية ١٩٨٦م ٥١ ، منها ١٣ مقعداً بمنطقة الخرطوم .

الشريعــــة الإســــلاميــــة ...

(مع الخواطىء سهم صائب .. و.. البئر أبقى من الرشا) ...
مَعِيَّة النميرى وعقليته ومفهوم الدين عنده ...
(رَحَلَ يَعَضُّ غارباً مجروحاً) ...

لم يعرف المجتمع السودانى للمايويين تَقَيُّدًا بسلوك دينيّ ، وأتباعاً لمعروف ونهياً عن منكر يؤهلهم ليكونوا حداة لشرع الله وهداة به ، وان البسوا حلة القيادة الرشيدة التى فَصلّها جعفر نميرى لقادة نظامه ، وأهل مكة أدرى بشعابها ... فقد كانوا خليطاً ، منهم المعتدلون وغيرهم من الغلاة واكثرهم مغرضون وبعض المقسطين .. هذه الجحافل المايوية وقيادتها الرشيدة ، هل هى موسمية الاسلام خوفاً من قبضة السلطان أم عوناً يدفع الحركة الاسلامية ؟ .. فقد اوصى الفاروق رضى الله عنه جيشه قائلاً ...

" كونوا أشدّ احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم .." ... كل تلك الدوائر المحيطة بقرار القوانين الاسلامية أتاحة فرصة لمن يرغب أن يقول أن احلام مايو الاسلامية كانت نزوة عابرة وأمنية نفس عاجزة ولم تكن نابعة عن عزيمة وايمان وجِدٍّ وارادة تهذيبٍ وتقويم ، فمَنْ دافع عن الشريعة عندما رفضها النميرى ؟! .. ولم يكن النميرى وهو يتأهب لحلّة الإمام قد أعد نفسه تَسَلُّحاً بالمعرفة ، ومعرفة العالم حوله وما يدور فيه من صراعات وفتن وضغوط ومعارك فكرية حتى يوطد نفسه وعزمه لمعركة الشرع ...

هكذا يفهم النميرى الدستور الإسلامى ...

سأله مندوب صحيفة المرأة بجوبا :- هنالك الكثير من المواطنين يتحدثون عن التغييرات الحادثة ويعتقدون إنه اذا ما حدث ذلك قد يعنى قيام دستور جديد ... (١) أجاب الرئيس ...

" الدستور الاسلامى هو معمول به الآن فى السودان ، وأحب ان أوضح نحن دستورنا الإسلامي هو القرآن وهو الذى نعمل به الآن ، ليس هنالك دستور آخر يوضع اسمه الدستور الإسلامي ، ولا نريد ان نسمى انفسنا

---

(١) سونا / مؤتمر صحفى محلي واجنبي ١٩٨٠/١/٢٩م

جـمهوريـة إسلاميـة .. و اضـيـف الي معلومـاتكم انـه ٩٠٪ مـن دول العـالم دساتيرها ٧٥٪ منها مستقاة من القرآن .. فرنسا ٩٠٪ من دستورها من القرآن .. وكل دول أروبا التى ورثت الحضارة من العالم الإسلامى ، مـا كانت عندها قوانين لما كانت فى العهد المظلم فما وجدت أمامها غير الحضارة العربية الاسلامية فأخذت منها قوانينها .. ولا خوف على السودان مما يجرى فيه وليعلم كل مواطن سودانى ان الإسلام يختلف عن الأديان المختلفـة الاخري كلها جميعا .. الاسلام دين دنيا واخره وله اساس في التشريع وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل الدول الاخري تأخذ من تشريعـه .. وانا لما اقول ٧٥٪ من الدول عندها تشريعات اسلامية هذا حقيقـة لان دا جزء من منابع التشريع الرئيسية في العالم " ....

" ان قانون السـودان لن يـؤخذ فقط من الشريعة وانـما من مصادر اخري مختلفـة ... "(١)

وتقول ديباجـة دستور ١٩٧٣ .....(٢)

" قد عقدنا العزم الأكيد على أن نرسى دعائم مجتمع اشتراكى ديمقراطى جديد يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة .. " ...

وتقرأ المـادة (١) منـه ...

" جمهورية السودان الديمقراطية ، جمهورية ديمقراطية اشتراكية موحدة ذات سيادة وهى جزء من الكيانين العربى والأفريقى ... "

وينص ...

" الإسلام دين الغالبية والمسيحية ديانة عدد كبير من المواطنين وتسعى الدولة للتعبير عن قيمة كل منها .. " ... وينص الدستور على المساواة التامـة بين اصحاب الديانات السماويـة (وكريم المعتقـدات الروحية) من حيث الحقوق والحريات المكفولة لهم كمواطنين . " ...

" وإذا رجعت لأدب الثورة تجدين إنه لم يتحدث وزير أو مسئول الى الجماهير إلا ويبدأ بابعاد الشيطان بالبسملة .. ثم بعد ذلك في كثير من

---

(١) مجلة الشرق الاوسط (باللغة الانجليزية) ديسمبر ١٩٧٧ - نميرى ...

(٢) اجيز الدستور بواسطة مجلس الشعب ١٩٧٣/٤/١١ م رئاسة بروفسير النذير دفع الله وقعه جعفر نميرى ١٩٧٣/٥/٨ م .

الاحاديث أو الخطب المكتوبة أو المرتجلة تاتى دائماً اقتباسات من القرآن الكريم أو الاحاديث النبوية الشريفة ثم ندخل في الموضوع . " . . . [1] وتنِؤ قوى نميرى الروحية بحمل النزعة الطائفية الصوفية فيتعثر بين مفهوم الرهبانية والحركة فى الإسلام .... ويخلط بين مفهوم العلاقة بين الأديان . . . . . .

" جعفر نميرى يطوف مع الزائرين فى افتتاح قبة بمدينة كوستى ويأمر بهدم القباب فى مدنى ، ويرى فى النوم إنه يطوف طائراً بأخرى فيذبح الخرفان والعجول .. " [2] . .

" وقبل ثلاثة أيام وانا نائم فى العصرية أشوف رؤيا اننى مدفوع الى ان احضر لهذه القرية ودخلت القبة فاذا بى أجد سيدى أحمد الطيب يقوم من القبر ويقول بهذا اللفظ ... [انت اتيت بالعدالة لهذا البلد فطير على هذا الإتجاه] وشعرت بنفسى أطير واخذت لى لفة لحد الكوداب وجيت راجع ، لفيت لفة كبيرة وأصيح بملء فمي (العدالة العدالة العدالة) ثم اتيت له مرة أخرى قال نفس الشئ ودفرني نحو الجنوب فاخذت لفة على الخرطوم واخذت اهتف بالعدالة فى كل مكان . جئت مرة أخرى ونزلت على بعد أمتار ودخلت القبة وشعرت ان سيدى أحمد الطيب لم يقابلنى هذه المرة ، فدخلت لأرى من اين خرج ، وجدت فى حفرة فى القبر الأخير ، وأنا بنظر لهذه الحفرة فاذا بالقبة تتزل كأنها بنيان من طين ضربه مطر بتتماص كده ونازلة علىّ ، فرحت طلعت برة على حسب ما قيل لى من بعض الأخوان فى الخارج ، وشاهدت ان هذه القبة بدأت تتهدم ببعض الأماكن ، وأنا فى النوم قررت بأنى لازم انفذ الزيارة ، وان هذه القبة تحتاج للصيانة والتجديد .. " [3] . . .

" نحن كمسلمين لا نفرق بين الأديان فالاسلام يبشر بأن من لا يؤمن بالمسيحية ليس مسلماً وكما قلت قبل قليل لبعض زوارى فإن سفيرنا فى واشنطن اسمه عيسى وتعنى (JESUS) وسفيرنا في جدّه اسمه محمد

---

(١) الصياد ١٩٨٤/١٠/٢٤م نميرى (مايو عملت منذ بدايتها للإسلام) .

(٢) أوقفوا تدمير الآثار الإسلامية .. د. خالد المبارك الصحافة ٣/نوفمبر ١٩٨٣م

(٣) أم مرّح ظهر الجمعة ٢٨ ربيع أول ١٤٠٥ هـ / ٢١ ديسمبر ١٩٨٤م

وهناك سفير فى الخرطوم اسمه موسى ، وجميعهم مسلمون ، وهذا يعنى اننا نعترف بكل الأديان . " . . . [١]

وتسأل المجلة : ولكن المستشار المسيحى من أجل أى قوانين [٢] ؟ !

" لكل القوانين بما فيها القوانين الاسلامية . فهو أولاً عالم قانونى ولكنه مسيحى ، وهو مؤمن بما جاء فى القوانين الإسلامية ، ويعترف بها ويعتقد إنها من القوانين المتقدمة وهذا أمر ليس جديداً ... ولعلك تذكر إنه كان هنالك قانونيون فطاحل فى مصر يستشهدون بالقرآن ، وخير مثال على ذلك مكرم عبيد . . " [٣] . . .

و" ان المستشار القانونى السابق د. الترابى تم اختياره مساعداً لرئيس الجمهورية للشئون الخارجية لتدعيم الاتجاه الاسلامى لأننا فى عملنا للتعديلات القانونية نحتاج الى الدعم من الخارج وهو كفاءة قانونية ، ورجل فقه ويتحدث الكثير من اللغات وسيساعد ذلك لتحقيق الأهداف المرجوة داخلياً وخارجياً . . ." [٣]

ورجل بهذا الفهم للاسلام ، يصحب حركة تفهم الاسلام قناعة وتربية ، حركة شمولية الفهم فى تفاعل تعاليم الاسلام مع واقع الحياة ، لابد أن يعجز ويسأم مصاحبتها ، ولابد له من لحظة توجسٍ وترددٍ عند مفترق الطرق . . .

إنه (**مُكْرهٌ أخوك لا بَطَلْ**) . . . .

" ان النهج الاسلامى لن يكون على حساب ثورة مايو ، وإنما بها فما تحقق إلا فى ظلها . . النهج الاسلامى لن يكون على حساب التنظيم السياسى الواحد . . " [٤] . . . .

ان النهج الاسلامى إن لانأخذ بشبهه ان لا ندين الناس إلا ببينة ، لاناخذ من الشكوك قرائن ، ندرأ الحدود بالشبهات ، نداري عورات الناس لانفضحها ، لانقفل باب التوبة بالاشهار وامكانيات الصفح والعقوبة بالتشهير .. النهج

---

(١) هكذا يفهم نميرى الاسلام . . . التضامن ١٩٨٤/٥/٢٦م .

(٢) التضامن ٨٤/٥/٢٦ " عندما غير نميرى مستشاره القانونى المسلم بآخر مسيحى د. يوسف ميخائيل " .

(٣) نميرى ، عند العودة للاسكندرية لحضور الاجتماع الثانى للمجلس الأعلى للتكامل سونا ١٩٨٣/٩/١١م .

(٤) نميرى الصحافة ١٩٨٤/١/١م

الاسلامى إنما هو مكارم الأخلاق ، ان لا ندخل البيوت إلا من أبوابها .. ذلك هو الإسلام ، وهذا هو الإسلام ، وهذا هو دستور السودان ومانص عليه ، ولكن ايها الأخوة وبعد ذلك كله ، وكل ذلك هو الاسلام الصحيح حقاً .. لكن الاسلام له طوارئ وعندما يرى المجتمع قد فسد وانحرف انحرافاً شديداً نعلن الطوارئ ، ندخل البيوت نضبط ، نفتش .. نفتش الناس فى كل مكان .. من يشرب فى الخفاء من يزنى ، كل بيت سنفتشه وندخله ، الإسلام أمرنا بذلك ننشر فى الجرائد لان المسلم يكره ان يسمع اسمه .. اذا كان انت بتكره الأخرين يسمعوا اسمك أوقف هذه الاشياء ، حنستمر ننشر ، نستمر نجلد حسب الحدود ، سنستمر نقطع الأيدى حتى يتكون المجتمع المسلم الصحيح ..)) [1] ...

وبالرغم من كل هذا الحماس وهذه العاطفة المشبّعة بالرغبة ، والمحاطة بالجهل وفراغ الجوف تراجع النميرى عن بعض القوانين الاسلامية ، بدأ يتراجع تدريجياً ، وتحت الضغوط الاقتصادية ، وكوارث المجاعة والجفاف ، وحب السلطة وطول بقائها ... ويتنكر للجماعة التى جعلته قريباً من وجدان الأمة وأهل السودان وآمالهم ، وحببته اليهم عن طريق العقيدة والدين .. لأن أهل السودان يقدمون الدين والعقيدة عن لقمة العيش ... وبدأ النكوص عن الشرع بإرجاع الفاسدين من وزرائه المبعدين ، ورفع شعيرة الزكاة عن المؤسسات والشركات ، وحل جمعيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما اشعر الحركة الاسلامية بأن أسلمة القضاء لا تتماشى وعلمانية الدولة ...

ووجه للإسلاميين تهمة تخريب الإقتصاد الوطنى والتآمر لقلب السلطة بمساعدة دولة أجنبية ...

" لقد أرادوا بهذه المشاركة النشطة في تطبيق احكام شرع الله التقول على مكتسبات الشعب والقفز الى مواقع السلطة ثم التحكم في الشعب باسم الدين ...

إن الهدف الرئيسى والأساسى من وراء مخططهم هو الإستيلاء على السلطة وكان اسلوبهم المهادنة ثم المشاركة ظاهرياً .. فالتغلغل

---

(١) نميرى الصحافة ١٢/١/١٩٨٤م .

(٢) الصحافة ٢٥/١/١٩٨٤م

والإحتواء ثم الاستيلاء على السلطة باسلوب البديل المناسب فى الوقت المناسب .. فقد اكدوا فى اجتماعاتهم بأن دور الإمام المجاهد قد إنتهى بالتطبيق الفعلى للشريعة الإسلامية .. و عليه لابد ان يحل محله الإمام العالم ، و مواصلة لتنفيذ مخططاتهم الرامية الى التسلط على الشعب باسم الدين .. فقد لجأوا لبث الاشاعات الكيديّة المغرضة .. واتصف تعاملهم بالإستهجان لكل من يعارض خطهم السياسى ونشطوا فى الإنخراط الفعال فى الأجهزة التشريعية و القضائية و التنفيذية والاقتصادية .. بل كثفوا النشاط داخل تنظيمات الثورة السياسية والاجتماعية والثقافية ، وحتى بين صفوف القوات المسلحة) .... [1] .....

الحركة و الشريعــة و مداراة النظام . . .

(عينك عَبْــرىَ و الفُؤاد فى دَدٍ) . .

كان حال الحركة الاسلامية مع نظام مايو كإخوة يوسف و أبيهم (و ما انت بمؤمن لنا و لو كُنّا صادقين) [2] ... و قطعت الحركة مشوارها مع مايو صبراً و مدارة . . . [3] ....

" كلمة الأخوان المسلمين لم تعد تصف تنظيماً بعينه و إنما أصبحت ظاهرة من ظواهر الصحـوة الإسلاميـة الجديدة .. "

" و لكن هنالك رائحة تنظيم ، و من يصف د. الترابى بمرشد عام الأخوان المسلمين " [4]

---

(١) خطاب جعفر نميرى ١١/ مارس ١٩٨٥م .

(٢) يوسف الآية ١٧ .

(٣) المدارة سُنّة . . .

فى الصحيح عن عائشة قالت استاذن رجل على النبى (ص) فقال " آذنوا له بئس أخو العشيرة " فلما دخل له ألان له القول ، فقالت يا رسول الله ، قلت الذى قلت ثم ألنت له الكلام ! قال " يا عائشة ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه " .

وفى صحيح البخارى عن ابى الدرداء قال " إنّا نَكشَر فى وجوه اقوام وقلوبنا تلعنهم "

(٤) د. حسن الترابى التضا من ١٩٨٥/٨/٦م

اذا كان مرد الأمر الى اتجاهات مذهبية فانني انتمي لله و الاسلام وهو ليس بحكر أي فئة بالسودان .) [١] .....

" وكنا نتكلم بصوت متميز وكانت توجه إلينا اتهامات و هجوم من قبل الاتحاد الاشتراكي ومن قبل الرئيس و الصحف .. وهذه الاتهامات والهجمات كانت علي مستوى مقبول وكنا نصبر عليها .. ومع تعاظم المد الاسلامي في البلاد وتوابعه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية حاول النميري ان يسحب البساط بان يتبنى التوجة الاسلامي وقدر إنه بذلك سيجذب الى نفسه كل جاذبية الدعوة الاسلامية ، ويجرد الاسلاميين منها .. " [٢]

" من اجل تطبيق الشريعة الاسلامية ضحيتم بكل شئ . " [٣]

" طبعاً من اجل قيام الدين الانسان يضحي بنفسه . " [٤] ....

وكان رجالها يعرفون ان النميري يكرم ويقرب خاصته ويقدمهم على العامة ، ولا يتثبت من المواقف والأنباء ، وتكون منه العجلة التى يعقبها الندم .. و ما عرف له خلق من وفاء بالوعد والعهد فكم غدر ... وإنه ليفصح لخاصته بانه قد نال درجته العسكرية العليا فى فن المباغتة ... ويتاكدون بانهم حتى ولو نصحوا لنميرى فانه لا يحب الناصحين .. وإن النميرى ليركب كتف المرء حتى يرتفع ، وهو عند القمة يركل من سنده برجله مِنْ علٍ ليلقى جزاء سنمّار ....

(هل يستقيم الظل والعود أعــوج) ....

أجاب د. الترابى عن سؤال جريدة السياسة الكويتية [٥] ، (شخصية نميرى فى الفترة التى عملت معه) ...

" لم يكـن نميرى غريبـاً جداً عنى وان كنت لم أعهـده سياسياً وإنما عهدته طالبـاً فى المدرسـة يعنى بالرياضة و قائداً اداريـاً للداخليـة ، أما نميرى السياسى فقد كان أولاً رجلاً حاكماً يتمتع بحاسة بالغة تجاه أمنه السياسى ، وكان حاكماً فرداً يستشعر غربـة شديدة في وسطه الذى يحكم فيه ولذلك كان دائماً يتولى العناية بأمنه السياسى وحده

---

(١) أحمد البلال الطيب - الأيام ١٩٨٤/١/٩م .

(٤.٥) المستقبل ١٥ يونيو ١٩٨٥ ، أسعد حيدر - د. الترابى .

(٥) الراية ١٩٨٦/٩/٢٨م - د. الترابى .

ويحسب حساباته الذاتية ..

وكان نميرى عرضة للتاثير لانه لم يكن يملك ولا يدعي عبقرية سياسية ولذلك ما كان فى اطروحاته السياسية شديد الاستبداد ولكنه كان شديد الحرص على سلطته السياسية ، وقد يقبل من معاونيه نقد سياساته ولكن اذا شكل نقدهم خطراً على سلطته عندئذ لا يقبل شيئاً من ذلك ولذلك كان يغار جداً من نجاح معاونيه السياسيين لان نجاحهم قد يعنى شيئاً من تشتيت الأضواء من حوله . ولكنه كان يفوض الرأى والتصرف لمعاونيه اذا وثق إنهم لا يشكلون خطراً على سلطته السياسية ، وكان يحسب موازناته بدقه ، ولذلك كان لا يتخلى عن دعم سياسى إلا اذا هيأ دعماً سياسياً آخر، ويوازن محاذير ومزايا التعويل على قوة سياسية موازنة دقيقة جداً جداً . وكان انفعالياً حاداً ، وما احسب ان ذلك عائد الى طبعه الشخصى بقدر ما يعود الى فعل السلطة باى شخص .. إذا آلت كل السلطة الى شخص واحد يغلب ان ينهار نسيجه النفسى واستقراره ويصبح عرضة لضغوط الهوى وتقلباته ، ولذلك كان اذا اندفع فى وجهه سياسية يندفع بغير تحفظ ويتجاوز المعقول ثم ينقلب بوجه مزاجي .. وعلاقاته كذلك بالأخرين كان يثق ويطمئن ويفوض ويركن الي بعض مقربيه وقد ينقلب عليهم ويبغضهم ولا يرى ذرة خير فيهم ، وما أحسب ان هذه خصلة شخصية لنميرى ، ولكن طبيعة لكل حاكم تحت وطأة كل هذا التركيز العنيف من السلطة ... ذلكم كان النميرى ولكن كانت له بالطبع صفاته الشخصية .. كانت له عاطفه ود تجاه بعض الناس ويبدو ان حياته الرياضيه وحياته العسكرية علمته تأسيس الود مع الأخرين ، فبعض الحكام لا تربطهم علاقة ود مع الآخرين ... إلا علاقات المصلحة والاستخدام ، ولكن نميرى كانت له عاطفة ود نحو الآخرين ، وقد يبعدهم أو يقربهم حسب مصالحه السياسية ولكنه يظل يحفظ لهم هذا الود ويستحى عندما يبعدهم من ان يلقاهم حتى لا يصيبه حرج فى وده الشخصى ، فقد كان أيضاً انساناً لم تمنعه السلطة عن جوانب الضعف البشرى الذى يحسه كل بشر في علاقاته ببعض الناس ... ومن حيث هو حاكم معزول جداً لانه ليس معه فريق ولا حزب كان عرضه بالطبع لإن يحاط به ويؤثر

عليه تاثيراً بالغاً ويحجب عنه كل تأثير آخر حتى ينكشف له الأمر فينقلب هائجاً ليحول مسيرته السياسية . تحول نميرى فى اخلاقه ومسلكه الدينى من عهد الطلاب الذى عهدته الي أواخر عهده ، ولكن هذا التحول لم يكن شاملاً وانما كان تحول فى سلوكه الشخصى أما فى منطقة السلطة فقد ظل هو نميرى المتسلط ، يعنى لم يكن يتقى الله ويذكره كثيراً فى منطقة سلطته السياسية ، ولكن فى سلوكه الشخصي تحول تحولاً واضحاً جداً ، ولكن آفة كثير من المتدينين إنهم يتدينون في بعض جوانب حياتهم وقد تخلو الجوانب الأخري تماماً من اثار التدين .." (١)

" نميرى شديد الغيرة حتى من وزرائه واعوانه ويتمتع بقدر كبير جداً من الحسد والطمع والإثرة ، ويضايقه كثيراً ان يرى بعض أعوانه وقد أحرزوا بعضاً من النجاح ."... (٢)

وبالرغم من كل الصفات الشخصية والسلطوية لنميرى .. وبالرغم من معرفة الحركة الاسلامية لنوايا واسباب استجابته لإعلان الشريعة الإسلامية ، .. وقفت الحركة مؤيداً ومرافقاً ووارثاً لقراره .. لأن تطبيق الشريعة لم يكن فى حُسبان الحركة وهى تصالح . .

(كدابغة وقد حلم الأديم) (٣)

" وايا ماكانت التفسيرات والتبريرات التى كانت تسوقها الجماعة لمشاركتها فى نظام حكم غير شرعى ولامُرضى ، فانما دخلت فى الحقيقة الى تلك المشاركة مهتدية باستراتيجية خاصة لاتعول على الوعد الاسلامى للنظام بل ولاعلى الأمل فى اصلاحه بقدر ما تبتغى اغتنام فرصة سانحة بفضل المشاركة لبناء صفها وتطوير حركتها الاسلامية التى هي معقد الآمال فى الإصلاح الاسلامى الشافى .. " (٤)

" وقد جاء تطبيق الشريعة الاسلامية بركة ضخمة غير محتسبة وجاءت التعبئات الاسلامية احتفالاً بها دفعاً لأهم اهداف الإستراتيجية . . وهو البناء

(١) د. حسن الترابى - جريدة السياسة الكويتية .
(٢) د. الترابى - الاهالى ١/٥/١٩٨٥م .
(٣) من يسعى فى اصلاح شيء بعد ان أوصله الفساد الى حيث لايرجى إصلاحه
(٤) ص ٢٢٠ الحركة الاسلامية في السودان ، التطور الكسب المنهج - د. الترابى

الشعبيّ للجماعة ".. (١)

وحتى قوانين الشريعة التى طبقت أخيراً فى السودان ، فقد طبقها نميرى لأنه أراد ان يوسع شعبيته ، ويكسب الشعبية من حركة اسلامية هى التي كانت تدعو لهذا الأمر ." .. (٢)

" قدرة نميرى على تحسس الإرادة الشعبية وراء القوانين الاسلامية .. والمصالحة ولدت تياراً اسلامياً كبيراً . " ...(٣)

" أما تاييد الرئيس نميرى في التطبيقات الشرعية فقد كان هذا موقفاً مبدئـياً ظلـت حركة الأخوان تدعو لـه منذ ثلاثين عاماً ، وفي المرحلة الاولى من تطبيق الشريعة تجاوزنا عن بعض العيوب فى صياغة القوانين وتطبيقها ، ولكن بعد ان استقر المبدأ أخذنا ننتقد هذه الممارسات ... كما أردنا تطوير التطبيق المحدود الي تطبيق يشمل نظام الدولة لتكون طاهرة العناصر ، مقدرة للمسئولية...)) (٤) . . . .

" حركة الصحوة الاسلامية فى السودان تتقدم بالضرورة ، ولم يكن تطبيق الشريعة الاسلامية نكسة لها ، وانما كان دليلاً على أن دفعها قد أضطر نظاماً عسكرياً ينبغى أن لا تكون له بالشعب صلة ان يتعامل معها استجابة لهذه الضغوط الشعبية واذا كان التعامل شائهاً فذلك لأنه تعامل هذا التعامل لدرجة ما وهو كاره ودرجة ما وهو مضغوط عليه من الغرب ، لذلك لم يات التغيير منهجياً مطمئناً ، ولكن واضح الأن اتساع الصحوة الاسلامية فى أوساط الشباب ، وفى أوساط النساء ، هذه ثورة اجتماعية واضحة للبيان". . . ... (٥)

" ولما تعاظم المد الإسلامي قدر نميرى ان خير وسيلة لإستلاب هذه الشعبية ان يتبنى أطروحات إسلاميـة .. " . . . .

---

(١) الحركة الاسلامية د. ترابى ص ٢٢٢/٢٢١.

(٢) التضامن ١٩٨٥/٨/٦م. د. الترابى

(٣) الاتحاد ١٤٠٥/٨/٢٤هـ . د. الترابى .

(٤) د. الترابى جريدة الأمة ١٩٨٧/١٢/٢٧م .

(٥) د. الترابى المصالحة والمعارضة . .

بيعـــة الإمــام ...

(كلام كالعسل و فعل كالأسل . . . [1] وكلام الليل يمحوه النهار)

وضعت قيادة الحركة الاسلامية صيغة البيعـة . . . .

" أبايعك على كتاب الله ذى الجلال و الاكرام ، وعلى سنة الرسول عليه الصلاة و السلام ، و ابايعك على الطاعة فى المنشط و المكره مالم أوَمرْ بمعصية ، أبايعك على النصيحة لك و الجهاد ورائك فى سبيل الله ، ابايعك على ان تقيم الدين و تبسط الشورى و العدل ، و تجتهد فى مصالح الأمـة ... أبايعك و أشهد الله على ذلك وهو خير الشـاهدين . . " . . . .

" طلب نميرى بيعة شرعية أرادها هو لتكون له السلطة المطلقة ، كنا نحن الذين صغنا عبارات البيعـة و كانت تنص بالأمر بالمعروف ليس إلا وتشترط عليه ان يقيم الدين و ان يأخذ بمبدأ الشورى و ان يجتهد فى مصالح الأمة ، وان يتيح المجال للنصيحة الحرة ، وإنها خلافاً للبيعات التى تقوم عليها الاحزاب السياسية السودانية التى كانت تبقيها مطلقة بغير شروط ، و ان سخر هذا الولاء المطلق للولاءات السياسية ، و لذلك أصبح النميرى رهين بهذه البيعة و اصبحت هي قيداً عليه فى الوقت الذى أرادها هو اضافة له ، و في التعديلات الدستورية [2] زعم ان هذه البيعة اسلامية تتيح له ان يحدد ولاية للعهد و ان يحيط نفسه بالمؤسسات النيابية ، و ان يتحصن من كل مسئولية قانونيـة ، و لكننا رفضنا هذه التعديلات واضطر للتنازل عنها . " [3]

" كذلك عارضناه فى الدستور و رددناه الي صيغة البيعة السياسية التى ليست كبيعة المريدين بل هى بيعة متوازنة تلقى تكاليف اكثر على القائد ، وتجعل الولاء لـه مشروط بالالتزام بالكتاب و السنة و اتاحـة المجال لتصحيحـه وبسط الشورى و إذا لم يستقم على تلك الشروط كانت الرعية فى حلٍ منه . " [4]

---

(١) إختلاف القول و العمل (٢) المواد الدستورية التى عدلت المادة ٨٤ (تحديد رئاسة الجمهورية بست سنوات) ليصير رئيسا مدى الحياة . المادة ١١٣ (خلو منصب رئيس الجمهورية) يعهد لمن يخلفه بخطاب يفتح امام مجلس الشورى و علي الجميع مبايعته .

(٣) الاتحاد ١٤٠٥/٨/٢٤ هـ د. الترابى .

(٤) ثلاثون لقاءً صحفيا مع د. الترابى .

وأجاب د. الترابى على سؤال صحفى (ما هى شروط مبايعتكم لنميرى ؟) ...

" ان يبسط الشورى و العدل و ان يجتهد فى مصالح الأمة ، أمّا الشروط الواقعة على المواطنين فهى ان ينصحونه و يطيعونه إلا ان يأمر بمعصية ، وهى البيعة الاسلامية الأصيلة التى قامت عليها الخلافة الراشدة و التى أخذ عنها الغربيون فكرة العقد الاجتماعى .. لذلك لم نتحرّج ، فعندما استبد و ألغى الشورى وضَيّع مصالح الأمة وانتهى بها الى المجاعة ، ولم يقبل النصيحة ، ولم يلتزم بالكتاب والسنة تحررنا من البيعة . . " (١)

بايعت الحركة الاسلامية و هي تعلم جيداً ان الصحوة الاسلامية في العالمين العربي و الاسلامي قد أهلت بعد هزائم حربية و انهزام ثقافى و حضارى ، مما يتطلب التيقن من تدين السلطان هل هو ورع و تقوى و تشبع روحى بعد عقيدة و ايمان و تطبيق سلوكى فى الذات و النفس ؟ ! أم مظهر و مخادعة و مداهنة لتثبيت سلطة و طلب لطول بقاء فيها .. وتعلم يقيناً ان طريقة تطبيق المبادئ و القيم الأساسية للحكم فى الاسلام بما يحقق المصالح المرجوة منها اجتهاد متروك لكل زمان و حال و رجال ... علماً بأن الفجوة بين الاجتهاد الفقهى و التطبيق العملى تزداد اتساعاً بقدر الزمن بين الخلافة الرّاشدة و الملك العضوض .... وهل كان النميرى يملك حس حسن التعامل مع المستجدات ، و نحن نعايش كل يوم جديداً من سبل الحياة يصير ضرورة من ضروريات الحياة الاسلامية مما يوجب طبعه بالاسلام ؟... و اذا سلمنا بوجود غيره ممن يمكن ان يكلف للقيام بفقه الضرورة الحياتية المستجدة من المستشارين و الناصحين فهل كان الإمام المبايع يملك القناعة و يجد الحكمة ليجمع بين تلك الأراء حتى يجد المصلحة العامة لصيغة الاجماع فيها ...أم إنه كحادٍ وليس له بعير فى قافلة الشريعة . . . أم إنها امامة المستغلب (٢) حتى ولو كان ظالماً حيث ان حدود البيعة معه هو فيما لا يظلم فيه . فأما إذا ظلم فالواجب ردة و نهيه ونصحه و عدم اتباعه ......

و بالرغم من مداراة الحركة الإسلامية للقيادة المايوية إلا ان بعض قياداتها كانت قد غرّها تحوله و انخدعت له متأرجحة فى يقينها و شكها بين صدق الامام و عزمه علي الشريعة و بين ثقل خطواته و توقعات نكوصه وويلات مرجفيه .....

---

(١) الأهالى ١/٥/١٩٨٥م ** (٢) من تاريخ الخلافة الإسلامية فى الدولة الأموية يزيد والحجاج والوليد ..

" ولئن كان الأخ الرئيس مصمما تصميم العقيدة المؤمنة ان يمضى الى ما هو ماضٍ فيه متجاوزاً كل العقبات فإنه سيحمل معه كل الأمة السودانية مسلمها ومنافقها وغير مسلمها ، لأنه يريد لإسمه ان يمضى فى التاريخ بكونه الذى سَنّ هذه السنة الحضارية ذات المغزى العميق والتى هي أكبر بكثير جداً مما يتوهم البعض . " (١)

" اليوم فقط تنهض الخلافة الراشدة من ظلمات القرون وتقف على ربى (أبى قرون) وهي تبسط يدها بالبيعة ... وقفت جموع النساء الى جانب صف الرجال يرددون البيعة كما وقفت الصحابيات من قبل يبايعن الرسول (ص) .. يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ... الخ

فقد انتهى الزمان الذي كان الدين فيه للرجال دون النساء ، وكان العهد السياسى للذكور دون الأناث . . .

ليعود المسجد كما كان مسجداً . . .

واليوم تعود امامة الصلاة الى امام المسلمين كما كان الامام الذاكر المهدى يؤم الناس فى الصلاة " (٢) . .

" لم يكن لقاءً سياسياً بالمعنى المعهود حيث لم نر طمانينة تسرى فى تلك اللقاءات كالطمانينة التى سرت فى الناس فى أصيل ذلك اليوم بأبى قرون ، وانهمرت الدموع وهى تستعيد ذكرى السيرة العطرة ، ومواقف الصحابة فى بيعة الرضوان ... وتحرك رئيس الجمهورية (نميرى) وسط الناس لا يحيطه الحراس ولا يستشعر أحد حاجة اليهم وقد تداخلت الصفوف وتوحدت القلوب ، وانزل الله السكينة فى قلوب المؤمنين قيادة وقاعدة ، مشهد ما اشبهه بيوم عرفة وساحة ما اشبهها بجبل عرفات يوم الحج الأكبر .."

---

(١) الايام ١٩٨٤/١/٩م د. الترابى (مساعد رئيس الجمهورية للسياسة الخارجية) . . .

(٢) يس عمر الإمام الأيام ١٩٨٤/٥/٢٣م
القائد والأمة فى احياء سنة البيعة .

" وصلى الناس المغرب بإمامة الرئيس تقف الأمة خلفه كأنها بنيان مرصوص ، فقد استوى العهد بالبيعة وتوثق الرباط بميثاق غليظ وكانت الامامة والصلاة مسك الختام ومنتهى الكمال . " [١]

" واغرب من ذلك مشهد قائد المسيرة يتجرد عن الحراس ورجال الأمن ويجتاحه السيل البشرى فيفصله عنهم فاذا هو فى عمق الجماهير ، يرتفع عنها قليلاً فيشاهده القاصى والدانى ، ولقد رأينا الاشفاق على عيون الاخوة ضيوف المؤتمر الاسلامى العالمى ، كيف يترك رئيس الجمهورية في هذه اللحظة التى يتربص له فيها ألف عدو وعدو هكذا فى عراء الله لايحجبه عن المكر حاجب ، لقد سمعنا الكثيرين يصرخون بذلك في وجل وخوف ، إلا ان السودانيين كانوا مطمئنين لأصالة هذا الشعب التي لاتفزع اذا كان من بينها خائن ذلك ان الله لايهدى كيد الخائنين ." [٢]

" وهكذا جاء اعلان الرئيس نميرى لحالة الطوارئ لتبارك هجماته باسلحة العدل على القيادات الفاسدة لتقتل كل الافيال التى داست على حشائش الوطن ، ولقد سقط مروان ولن نسمح بتكرار عهد بني أمية فى السودان .. فمن كان يصدق إنه وفي أقل من أسبوع سوف ينحاز رئيس الجمهورية الى حكم المؤسسات ويرفع من شأن قضاة الطوارئ ، ويعزل وزير الداخلية كمال حسن أحمد والذى تدخل للتاثير على الحكم .. لقد بكينا من الفرح وتذكرنا موقف رسول الله (ص) وهو يزجر أحب الناس اليه ويقول :-

(أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ، انما أهلك من كان قبلكم من الأمم انهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد) . . . .

لقد حوكم الفاتح محمد الطيب ، وحفيد المهدى وسادة من الحتمية وأخذت سطوة العدل لا تبالى ان كان الماثل شقيقاً كبيراً أو منتسباً الى مجد تاريخى أو يجرى فى عروقه دماء الأنبياء ، فلو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها .والدين لله يا هؤلاء .) [٣]

---

(١) القائد والأمة فى احياء سنة البيعة يس عمر الإمام .

(٢) يس عمر الامام – الايام ٢١/١٠/٨٤م يصف افتتاح مسجد النيلين (أيام الاعياد البيضاء)

(٣) محمد طه محمد أحمد (تهاوت الاصنام وانتهى عهد الكبار) مجلة الجامعة العدد ٢٧ ، يوليو ١٩٨٤م

. وجاء في كتاب السودان والنفق المظلم .. [1] قول د. الترابي عندما أعلن نميري حالة الطوارئ .

" حالة الطوارئ فكرة معروفة في الإسلام وهي تماثل حالة الوضوء بالنسبة للصلاة .. فالوضوء بالماء هو الأصل ولكن عندما يتعذر الحصول على الماء يجوز للمسلم أن يتيمم بالتراب والحجارة .. ووصف محاكم الطوارئ بانها أقرب شيء في الدولة الاسلامية [2] ... فكيف حالنا بمجدد المائة الخامسة عشر كما وصفه د. الترابي وهو يردد في وادمدني الحديث المتواتر بان علي رأس كل مائة سنة يجيء من يجدد لأمة الاسلام دينها ، ومجدد هذه المائة حسب قول الدكتور العالم ، هو الإمام النميري . " [3].

الإختـــلاف والمفاصلة .. وغياهب السجون .....

(لو كان في البومة خيــر ما تركها الصياد) .....

كانت المعارضة الدولية ، من رافضي توجه السودان الإسلامي وأعلانه الشريعة وإعادة بناء هويته الحضارية ، تشكل عاملاً خارجياً مهماً لمباعدة نظام مايو عن الحركة الاسلامية ... وتجمع على رفض التعاون معها وتجميع قوتها وتعمل إعلامياً واقتصادياً وسياسياً لإبادة الاطروحات الدولية الاسلامية الجديدة (الاقتصادية والقانونية) والتي بدأت تملأ الدنيا في سماء السودان ....

" الأخوان المسلمين ، الذين يدعون بانهم يتطلعون أبداً الى الثورة الايرانية ، قد نسوا إنهم ليسوا بآيات الله السودان .. فإن جاز لنا ان نقارن السودان بإيران فإن نظائر آيات الله فيه هم رؤوساء الطرق الصوفية وأئمة الطوائف التقليدية ...

فلن يفلح الترابي والحال هذه في ان يصبح خميني السودان ، وان كان في مقدوره ان يصبح بني صدره (وعله قد يلقى نفس مصيره) وعلى اى فان كان الترابي نظيراً للخميني أم لا فقد يفيده كثيراً ان يعي بأن المعارضة لحكم الأخوان المسلمين في السودان لن تأتي من جانب الطوائف الدينية التقليدية والنخبة المدنية والجنوبيين فحسب ، بلان هنالك عوامل وقوى خارجية

---

(١) د. منصور خالد .. النفق المظلم (٢) ص ٤٤٩ (٣) ص ١٦٠ .

ســوف تلعب دورها في هذا الشــان ، فمصر مثلاً و التى ظلت و ستظل تلعب دوراً هاماً فى التاثير على مجريات الأمور لن تقف مكتوفة الأيدي اما م أنقلاب أخوانى ، لا لسبب ، إلا لإنعكاس هذا علي الاوضاع الداخلية فى مصر نفسها ، و من ناحية أخرى فإن المملكة العربية السعودية لن يستهويها قيام هوس دينى علي جناحها الغربى فكفاها هوس الجناح الشرقى .. و بصرف النظر عمن يحسبهم الأخوان نصراء لهم فى الجانب الآخر من البحر الأحمر، فإن مركزى القوى السياسى و الاقتصادى الحقيقى فى المملكة ليس هو المتطرفين الدينيين و انّما هو مؤسسات تحسب السياسة بمعيار دقيق[1]

و اكملت عوامل الخلاف الداخلية بين الحركة الاسلامية و مايو دائرة الطلاق الشرعى ، و بينونته الكبرى ليبدأ الخصام . . .

" بعض الناس يعترض علي الشريعة من منطلق تعصبه لولاءآت طائفية وسياسية و لا يرضى بالشريعة لأنها جاءت من نميرى ، و لكننا عندما أيدنا كنا ننظر أولاً الى الجانب المبدئ الذى أردنا تثبيته ، و بعد استقراره بدأنا نتحدث عن مراجعة صياغة القوانين و تنقيتها مما علق بها من قوانين أمن الدولة و غيرها [2] . . . كما وقفت ضد نميرى فى تعديل الدستور الذى يجعله حاكماً مطلقاً ذو سلطة روحية ليحكمنا حياً و ميتاً . [3]

" و الذى وقع أن تبنيه لشعار الاسلام زادنا قوة و تجلت هذه القوى فى مؤتمر اسلامى عالمى هو الأول من نوعه ، و مسيرة لم يشهد السودان مثلها ، و كانت مستقلة عن النظام و التنظيم السياسى القائم بشعاراتها و هتافاتها .. و هنا ادرك النميرى خطورة موقفه و من حينها بدأ هجومه يشتد و كان واضحاً ان الخصام واقع لا محالة .. " [4]

---

(١) د. منصور خالد – السودان و النفق المظلم ص ٦١٨ / ٦١٩ (٢.٣) د. الترابى – ثلاثون لقاءً صحفياً .

(٤) القبس الكويتنية ١٩/١/١٩٨٥م – الاخوان يعملون على مصالحة مايو و يعارضونها ويحاولون التميز عليها . . ." ان حسن الترابى هو الذى تجرأ و انتقد الرئيس امامه علناً بأنه يحتكر سلطة التشريع بأسرافه فى اصدار الأوامر التشريعية المؤقتة "

" ان الرئيس المخلوع كان يريد ان يستأثر هو بالفضل في تطبيق هذه القوانين ، ولذلك احتكر الصياغة في دائرة محدودة [1] ، ولم يتح لها فرصة الانتشار و الدراسة الواسعة بل أدخل فيها بعض التشوهات غير الاسلامية مما اضر بجوهر هذه القوانين . " . . . . . [2] . . . . . [3]

" و مع ان قوانين الشريعة كان بها عيوب في الصياغة فقد قبلنا من حيث المبدأ حتى لا يظل السودان محكوماً بقوانين استعمارية ، ولذلك سكتنا عن العيوب فترة من الزمن ، أملاً في أن تعدل فيما بعد . و بعد ان استقرت الأمور بدأنا ننتقد التطبيقات ، عندئذ توترت العلاقة بيننا و بين النميري ، و توهم اننا نريد ان نقتله كما قتل السادات .. وادعى اننا نمتلك سلاحاً ، لقد هاجمنا بوجه يرضي الولايات المتحدة التي كان ابعاد الحركة الاسلامية أحد الشروط التي أملتها [4] . .

ولما سُئل د. الترابي عن مدى صحة الطريقة التي طبق بها جعفر نميري الشريعة أجاب . . . .

" الشريعة الاسلامية لكي تطبق تطبيقاً صحيحاً لابد ان تقوم عليها حكومة إسلامية ، وواحد من وجوه الخلاف بيننا و بين النميري اننا أردنا ان نطور تطبيق الشريعة الاسلامية من خلال قوانين جنائية و مدنية و تجارية لا تطبق على الشعب فقط ، بل على الدولة ذاتها لنضمن شورية الدولة .

---

(١) الاساتذة : النيل أبو قرون ، عروض الجيد ، و بدرية سليمان ، يقول الاستاذ عوض الجيد (بانهم عاهدوا نميري عندما كلفهم بصياغة القوانين الاسلامية ان يكون عملهم جاداً و متصلاً وان يصدروا قانونا في كل يوم خميس من كل اسبوع " .

(٢) اخذت الحركة الاسلامية على قوانين سبتمبر ١٩٨٣م .

(أ) باقصاء رجال الحركة سعت السلطة للكسب السياسي ، فحرمت من الارث الفقهي الحركي مما أدى الى تجاوزات في التطبيق .

(ب) لم تلتزم بالمشروعات التي اعدتها لجنة مراجعة الوانين للتماشي مع الشريعة الاسلامية ١٩٧٧م .

(ج) صمت مع الوانين الاسلامية .. قانون الطمانينة و قانون أمن الدولة

(د) اخطاء في الصياغة و الضبط .

(٣) د. الترابي الأيام ٣ شوال ١٤٠٥ هـ .

(٤) الأهالي ١/مايو/ ١٩٨٥م .

لقد أراد نميرى ان يجرى تعديلات دستورية تزيد من سلطته وتضيف اليه سلطة روحية مثل الأئمة في التاريخ الاسلامى، وقفنا في وجه تلك التعديلات و اضطر نميرى للتراجع عنها .. و أراد ان يطبق الشريعة على الشعب و ينجو هو و حاشيته من مجال تطبيق الشريعة لذلك جاء التطبيق معيباً و مشوهاً لأن النظام كان شائهاً" [1] .. وبدأت التصريحات المضادة من قادة الحركة تصل الصحف و الاذاعات العالمية [2] ...

" مستشارو الرئيس يتلقون النصح بدلاً من اسدائه .. إن الرئيس قد اضعف مؤسسات الدولة، و ان هناك مسافة طويلة تفصل بين الحكومة والشعب مما يجعل المرء لا يستبعد وقوع انقلاب عسكرى من نوع انقلابات جيرى رولنقر و سيرجنيت دو . " [3]

" ان النميرى قد طبق بعض احكام الشريعة علي مستوى القضاء ولكن الدولـة نفسها ليست دولة مسلمـة، لانها لم تقم على الأسس الشرعية ولم تطبق احكام الإسلام كاملة فى الاقتصاد والاعلام و مجالات أخرى عديدة . " [4]

و تبينت الحركة الاسلامية بحسها نذراً توحى بان شيئاً خفياً يراد بها و من الواجب الإحتياط له . . .

" ان حرصنا علي ما أنجز لا يرتبط بقائد او زعيم ... ولا يتبين بمكاسب او أغراض، ولا يقيده ولاء لمؤسسات، ولن يُدنّسه هتاف لأشخاص .. حرصاً يدفعنا الى المزيد من النقد الهادف الي الاتجاه بالتجربة نحو الكمال و حمايتها من شوائب النفاق و عثرات التطبيق . " [5]

" إن الحاكم الذى يعلن الشريعة ليس بالضرورة ان يكون عادلاً، وان على السودانيين بعد تامين أصل التحاكم للشريعة الاسلامية إن يسعوا لتنصيب الحاكم العالم العادل . " [6]

---

(١) جريدة الأهالى المصرية ١/٥/١٩٨٥م . د. الترابى .

(٤،٣،٢) تصريح د. الترابى للاذاعة البريطانية . النفق المظلم ص٣٢٨/ لومند ١٤/١٠/١٩٨٤م ..

(٥) افتتاحية مجلة الجامعة، العدد ٢٧، يوليو ١٩٨٤م .

(٦) من محاضرة القيادة للكوادر الاسلامية فى الجامعات و المعاهد العليا . د. الترابى . . .

الحركـة الإسلاميـة و إنتفاضـة أبريل .....

لم تدرك مايو المعنى الخفى لمخاصمتها للإسلاميين و اعتقالهم ، فقد كانوا لباساً و ارى سَوءآتِـهَا في أواخر عهدها ، مما جعل ذهابهم يعنى سبباً غير مباشر لسهولة سقوطها .. فقد تركوا موقع المدافع و انضافت قاعدتهم لمعارضة الشارع العريض و انتفاضتة العفوية . . .

" نحن ضد كل حركة تخل بالاستقرار أو تؤدى الى الفوضى وهدم السلطة ، ولهذا السبب قررنا الاسهام فى الدفاع عن النظام كلما تهدد كيانه . . .ان الرئيس يعرف انه لا يمكن لأى مخطط ضد النظام ان ينجح طالما كنا بجانبه .. فلا شئ يجرى في هذه البلاد دون الأخوان المسلمين " . . . .[1]

" الأخوان المسلمون كانوا يشكلون هيبة النظام ، و انهيار النميرى بدأ عندما تنكر لهم .. ولما وقعت القطيعة بين النظام و الأخوان ، وكانوا بالرغم من آرائهم الناقدة ، و بالرغم من النقد المنصب عليهم ، يشكلون هيبة واقعية للنظام .. و لما أبعدت تعرى النظام تماماً " . . . .[2]

و بعد أسابيع فقط من ظلام السجن [3] ، تفرغ سامر مايو و تاهت قيادتها متحيرة بمصر (أتيهً من قوم موسى) ... فقد انهارت كعبة نجران [4] ... و انفرجت حلقات محكمة لشدة وضيق و ازمة و محنة كانت الأطول زمناً فى حكم السودان . . .

و خرجت الحركة الإسلامية من تجربتها المايوية بانتصارات كبيرة معنى ، وكثيرة عدداً و عدة . . .

فقد برأت تعبئة مايو الاعلامية ضدها ، ثم إعتقال قادتها ، ساحتها من جريرة الاتفاق الكلى مع سياسات مايو و أهدافها مما أكد للمراقب السياسى اختلافهم الداخلى مع السلطة .. و باعتقالهم جاءت ابريل وهم بعيدين عن النظام مما احرج اعداءهم وصعب مهمتهم فى تحميلهم الوزر الكامل

---

(١) النفق المظلم د. منصور خالد ص ٦١٦ ، لوموند ١٤/١٠/١٩٨٤ م

(٢) الشرق الاوسط ١٩ شعبان ١٤٠٥ هـ (٣) إعفاءات و إعتقالات ١١/٣/١٩٨٤م

(٤) المثل فى الخراب وزوال الدولة . .

للنظام وسدانته ... وسيقف الدارسون لفلسفة التاريخ وتقلب حضاراته ومدنياته ملياً - تأملاً وبحثاً وتفكيراً، فيما لم تقصده مايو وجاء بقضاء وقدر وصار كسباً للحركة الاسلامية بالسودان، وشكل صعوبة امام المؤتمرات السياسية والنقابية والمهنية، ومداولاتها وقراراتها بعد الانتفاضة فى كيفية ازالة آثار مايو، وبصمات جعفر نميرى المطبوعة فى إقرار الشريعة والتحدى الحضارى وتحديد هوية الأمة، وكيفية مواجهة الجماهير السودانية المسلمة عند إلغاء أو تجميد قوانين الشريعة، ومنظور اختزال الزمن فى ارساء المبدأ فى سفر الفكر السياسى السودانى ...

كما أن وجود النميرى بمصر لاجئاً سياسياً، وفّرَ على الحركة الاسلامية مسئولية سياسية كبرىً واجتهاداً فقهياً مَرْجّواً، واعفاها من اجابة سؤال متوقع من خصومها عن كيفية مواجهة الإمام بحكم الردة والنكوص عن قوانين الشريعة وتطبيقها ...؟!

واستطاعت الحركة الاسلامية من تحقيق قفزة وطفرة تنظيمية سياسية اتبعت فيها، تدرج التغيير والإعداد، والتقيّة والمداراة واغتنام الفرصة فى استغلال ما نالته مايو من وقار المكانة الأدبية للقيادات السياسية التقليدية والقبلية والبيوتات الدينية والطائفية والطرق الصوفية، ورموا جمعهم بالحركة الاسلامية تنظيماً وأدباً وحركة وتداخلاً سياسياً، وخدمة وعوناً اقتصادياً واستطاعوا ان يكسبوا من مؤيديهم ويأخذوا بعضاً من آبائهم وأبنائهم ومؤيديهم ويجعلوا منهم اضافة وقوة جديدة للوعى الحركى الإسلامى، باختلاف مواضعهم ... بين صفوف الحركة أو بين طوائفهم وأحزابهم ...

ومهدت مايو للحركة الاسلامية كل سُبُل تَغْيير الخارطة السياسية الجغرافية وولاءاتها القديمة مما يتطلب مجهوداً كبيراً وتركيزاً شديداً وعملاً متواصلاً لمن يريد اعادتها لسالف أمرها، دعك عن بناء قواعد جديدة فيها .. فقد انصرفت الحركة بعد المصالحة الى العمل الدعوى والتوجيهى والاجتماعى والاقتصادى فى داخل اطر النظم السياسية .. واقامت مؤسسات اقتصادية

اسلامية هيمنت عليها بالكفاءات البشرية و التخطيط ، و الادارة و مواقع القرار والامكانيات المادية بتكوين رؤوس أموالها الخارجية و الداخلية [1] و بنيت الجمعيات الإجتماعية الخدمية كشباب البناء ورائدات النهضة ... وأقيم المركز الإسلامى الأفريقى والوكالة الإسلامية للإغاثة ... ونمى الصرح العملاق منظمة الدعوة الاسلامية موازياً و متفوقاً علي أسلوب التبشير المسيحى فى مناطق التخلف والحاجة و الظلم الاجتماعى فى كل بقاع السودان و اركان أفريقيا وخفايا العالم لتكون المأوى و الكساء و الغذاء ووعاء المأكل و المشرب وجرعة الدواء ، وفصل التعليم و التربية ، ومشغل التدريب و التدبير ، و بناء الانسان و المواطن العامل المؤمن القوى الأميـــن . . .

وسيطرت الحركة الاسلامية على الحركة الطلابية المختلفة ، لتكون سنداً مرحلياً وإضافة مستقبلية و موضـع قـدم لها جـديد وقـوة في الأوساط الثقافيـة ... و اكتسبت مقـــدرة تنظيميـة عالية على تحريك الشـــارع و الجمـاهير ، شعـاراً و مواكباً و مسيرات ، ودربت كوادر عديدة مؤهلة ومقتدرة فى المجـالات المهنية و النقابية و الخدمية ، وبذرت إحتياطيـّها الشبابى الطلابى الكامن . . .

و اضافت للصحوة الاسلامية العالمية شباباً مسلماً ، يحمل لواءها داخلياً ، مشبعاً ، بمعنى أن استمرار الصحوة وتوقع ثمارها يتطلب الصبر و الاحتساب و التضحية ، و الولاء لله وحده . . . وجـربت قيادتـــها مسئوليـة الاستوزار و الادارات المختلفة ، و تدربت كوادرها علي نظم الادارة العملية لمرافق الدولـة ودواوينها ، و احتكت بميادين السياسة و المعرفة و الدبلوماسية العالمية . . .

---

(١) مرحلة انباسط الشورى فى التنظيم ، و تنفيذ الانتقال من مرحلة التركيز للاتساع و ارتباط ذلك بالممارسة السياسية ، أدخل لصفوف الحركة الاسلامية بعضاً من ناشدى الدنيا و عبدة الدرهم و الدينار ، و النفاق السياسى للكسب و المظهر، مما أثقل خطاها و احرج دعاتها ، وأتاح الفرصة لأعدائها لوصف صفوفها بالرياء وهوى الغنى و اتباع الدنيا ولباس مظهر التدين و اخفاء جوهر الفساد .. وترد الحركة بانها في مسيرتها تتعبد وتترك أمر اولئك لله (وكُلٌ آتية يوم القيامة فرداً) و بأن تلك ظاهرة بشرية اجتماعية تلازم كل حركات التغيير و الإصلاح السياسية والأيديولوجية و الدينية ولم يخل منها حتى مجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة (من هاجر لدنيا يصيبها أو أمراة ينكحها) ، وبأن القرآن روى نفاق مُرجفى المدينة من اليهود . ولم يشغل النبى (ص) يومئذ نفسه بِهِمْ كانشغاله بالتربية وبناء الأمة وتحقيق دولة المدينة و ارساء قواعد حكومتها

(عند الصباح يحمد القومُ السُرَى) ...

" أن الديمقراطية اذا طرحت بشكل صحيح ، فإن غالبية الشعب ستجنح نحو الاسلام ، لأن الشعوب مسلمة بفطرتها ، لذلك فأن المؤامرات لاقامة انظمة عسكرية أو قهرية ، القصد منها سد الطريق أمام الشعوب المسلمة بشريحة مغتربة عنها .. " (١)

" ولئـن برزت فى هذه المرحلة قضية منهج الإصلاح بالسياسة أم بالثورة ، فذلك ان ممارسة اسلوب البناء والعمل الحزبى دعت الى التساؤل عما إذا كانت الحركة تعول عليه فى اصلاح المجتمع مسايسة وتدرجاً .... ولا يعنى ذلك ان قيادة الحركة قد تحيزت الى ذلك المذهب السياسى ... ولكن عناصرها اصبحت مشغولة بتلك القضية ، ومن ثم تقديرات جدوى العمل السياسى التنافسى فى بسط قاعدة الاسلام أو تمكين نظامه . " (٢)

إن التوجه الإسلامي للانقاذ الوطنى ووقوف الحركة الاسلامية ومساندتها لذلك شئ متوقع ومراد ومخطط له .. وهو نتيجة لما بذلته الحركة الاسلامية ومجاهداتها وصبرها اثناء سنوات مايو .. وللتوجه الوطنى للحركة بعد ابريل وعدم إرتهان قراراتها لجهات خارجية في مقابل إزالة الحوجة ايام المعارضة وبعد المصالحة مما مكنها من مآزرة القوات المسلحة أثناء وبعد مرحلة الانتقال ، فتمكن الطرفان من التعرف عن قرب والتفاهم القريب المشترك ، قـوة وفكرة ... وكقناعـة باتت لدى قاعدة الحركـة وقيادتها (٣) والتى كانت تدعو وتبشر صحفـاً ومعـارضة ، ولأشهر سبقت ٣٠ يونيو ١٩٨٩م وبعد اتفاقيـة الميرغني - قرنق - ، (٤) ....

---

(١) د. الترابى - فقـة المرحلة والانتقال من المبادىء الى البرامـج (الحركة الاسلامية فى السودان ، التطور ، الكسب والمنهج) .

(٢) د. الترابى . البناء الحزبى السياسى (الحركة الاسلامية فى السودان ، التطور ، الكسب والمنهج) .

(٣) ترى الحركة فى الحوار محاولة لاصلاح القطاع الحديث والمتبقين على الثقافات الأجنبية .. يقول د. الترابى فى ورقته " اولويات الحركـة آلاسلامية " لندوة الجزائر حول قضايا المستقبل الاسلامي - مايو ١٩٩٠م عن اولوية الحوار .....

" كنا ندعو الى المفاصلة والمقاطعة ولكننا الأن مطمئنون والجميع يتحدثون عن التوبة ويبحثون عما يحفظون به ماء وجوههم " المسلمون العدد ٢٧٦ .

(٤) أديس أبابا - فندق فيون ١٦ نوفمبر /١٩٨٨م

بضرورة التغيير السياسى و تاكيد حتميته وقرب أوانه ... ويلمس ذلك واضحاً فى تعبير صحفهم ، وتعبير ندواتهم الداخلية و سجلات و تسجيلات محاضراتهم العامة و لياليهم السياسية .. رغم احتفاظهم بكيفية التغيير ، مما دعم قناعة الكثيرين من القاعدة بضرورة دمج المجاهدات السياسية بمفهوم الثورة و الإستنفار لاستخدام الحديد وباسه الشديد في اعداد القوة المطلوبة لبسط القسط و العدل .. و استمرار الدعوة الجماهيرية و القيام بمهمة الاصلاح .. و تفادى عمليات الجرح و حرج الاجتهاد التي يحفل بها تاريخ الدعوة و الدعاة و التى كان للحركة الاسلامية منها نصيب .... و آن موعد الرمى لحركة راشت سهامها و ملأت كنائنها باعدادات السنين ، و غالبت وعد مَنْ لا يفي ويُدْهِنّ من قارورة فارغة... .

(أوسعتهم سَــبّاً و أودوا بالإبــــل .) ....

وضعت " مصالحة مايو " الحركة الاسلامية في صميم المواجهات والعداوات السياسية ، و الصراعات على قمة السلطة ....

ووضعتها " قوانين الشريعة " أمام الضغوط العالمية و مواجهة اسلحة الحصار الإقتصادى وحرب الغذاء ، وصراع الأفكار و الايديولوجيات ، و مواجهة القوى الكنسية و اليهودية و الصهيونية العالمية قتالاً و فكراً ...

... " **و بالانقاذ** " تشارك الحركة الاسلامية و تعتلى موقع السلطان ، لتواجه مسئولية الحكم و أمانة الإصلاح من موقع القرار و التشريع و التنفيذ .. و التصدى لتحقيق الاستقرار و التنمية القومية ... و بناء المواطن ووحدته وانتاج الغذاء بجهد العلم و التقنية وبذور الإيمان ...

و(من إتّكل على زاد غيره طــال جوعـــه .) ...

و تواجه التحدى السياسى الداخلى فى التوازن بين الاستقطاب اللازم لجمع عناصر القـوى فى الأمة وقومية توجه الحكم و بين عصبيـة المـذهب " و نظام التنظيم " الأمر الذى يجيب على السؤال ... هل الانقاذ الوطنى هى خلاص تنظيم وجد نفسه فى منعطف سياسى خطير .. فتذكر الفكر الإنقلابى و ديمقراطية الانقلابات العسكرية فإستخدم القوة للوصول للسلطة ؟ ! أم أنها القـوة العسكريـة التى استشعرت مسئوليـة الوطن وهو يعيش الشتات و الفساد

والدمار ، فهبت تنشد الاصلاح وعدالة التوزيع وحرية التنافس ؟! . . .

الأمر الذى ظل يراود عقول ومشاعر الكثيرين داخلياً وخارجياً منذ ٣٠ يونيو ١٩٨٩م ... وظلت تبني عليه معارضة الانقاذ كل قناعاتها واسلوب حوارها مع الآخرين فى تبرير معارضتها وجذب المعارضين لصفوفها .... وتواجه التحدى الاجتماعى في مهمة وأهمية توفير القوت وانفاذ التقنين وكيفية التوفيق المرحلى بينهما[1] .. كما تواجه تحدى كسب التنافس المشروع بينها وبين دعوات الاصلاح الاسلامية المعاصرة فى تحديد المثال وقدوة الدعوة فى مسار التطبيق [2] .. أيهما أجدى التربية فالإنتخاب أم دمجهما معاً التربية والإنقلاب[3] . . . .

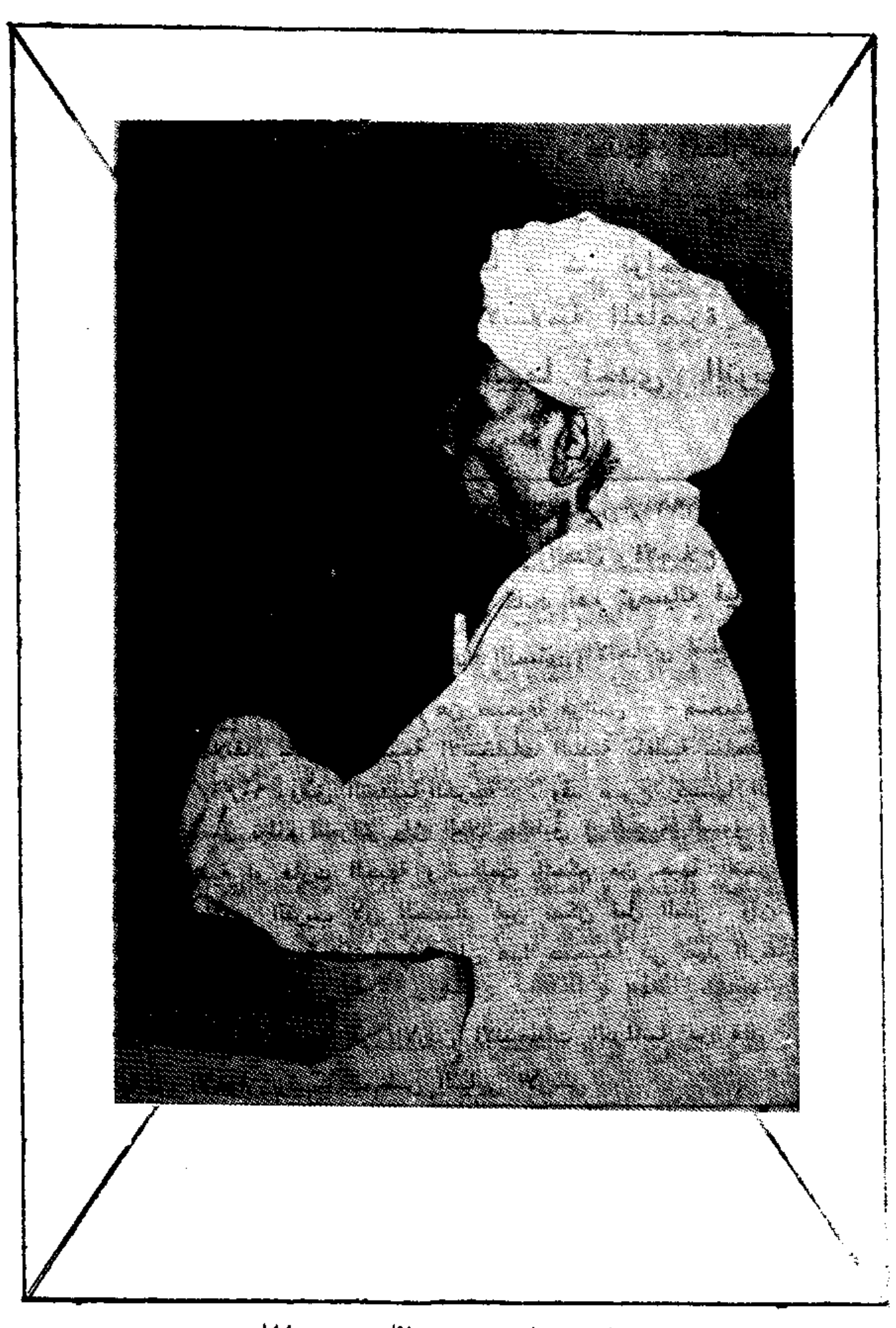
---

(١) بدأ العمل بالقانون الجنائى لسنة ١٩٩١م فى ٢٣/مارس/١٩٩١م بعد مرور شهر من اعلانه بالغازيته الرسمية ، وبعد مراعاة توصيات مؤتمر العدل والإصلاح القانونى الذى عقد بقاعة الصداقة فى الفترة ١٠ - ١٨ مارس ؛ والذى كانت أهم توصياته قيام مجلس أعلى للعدل وفصل منصبى وزير العدل والنائب العام واعداد الدستور الاتحادى لتطبيق الفيدرالية والشريعة

(٢) العالم العدد ٣٣٦ ، ١٦ يونيو ١٩٩٠م (عن صحيفة فرانس -- صحيفة محلية فرنسية)
كسبت الجبهة الاسلامية للانقاذ بالجزائر نتيجة الانتخابات البلدية باغلبية ساحقة فى أول انتخابات للمجالس البلدية فى ١٢/٦/٩٠ ، وفق التعددية الحزبية ... وقد صرح رئيسها الشيخ عباس المدنى " إن التعددية أفضل نظام للجزائر وان البلاد ستطبق (اقتصاد السوق) ، ولن تكون البداية بتطبيق الشريعة الاسلامية لو فازت الجبهة واستلمت الحكم من جبهة التحرير الوطنى .. وان الشريعة لن تطبق على المدى القريب لأن الحصاد غير ممكن قبل البذر ، وان تنوع الافكار هو مصدر اثراء وان المعارضة ضرورية دائماً وقد كان هذا صحيحاً فى عهد الرسول (ص) وسيكون صحيحاً فى عهد جمهورية اسلامية . " . . . . . .

كما كسبت الحركة الإسلامية فى الأردن الإنتخابات البرلمانية من قبل . . . . وتم أخيراً انتخاب أحد قادتها من الأخوان رئيساً للمجلس النيابى الأردنى . .

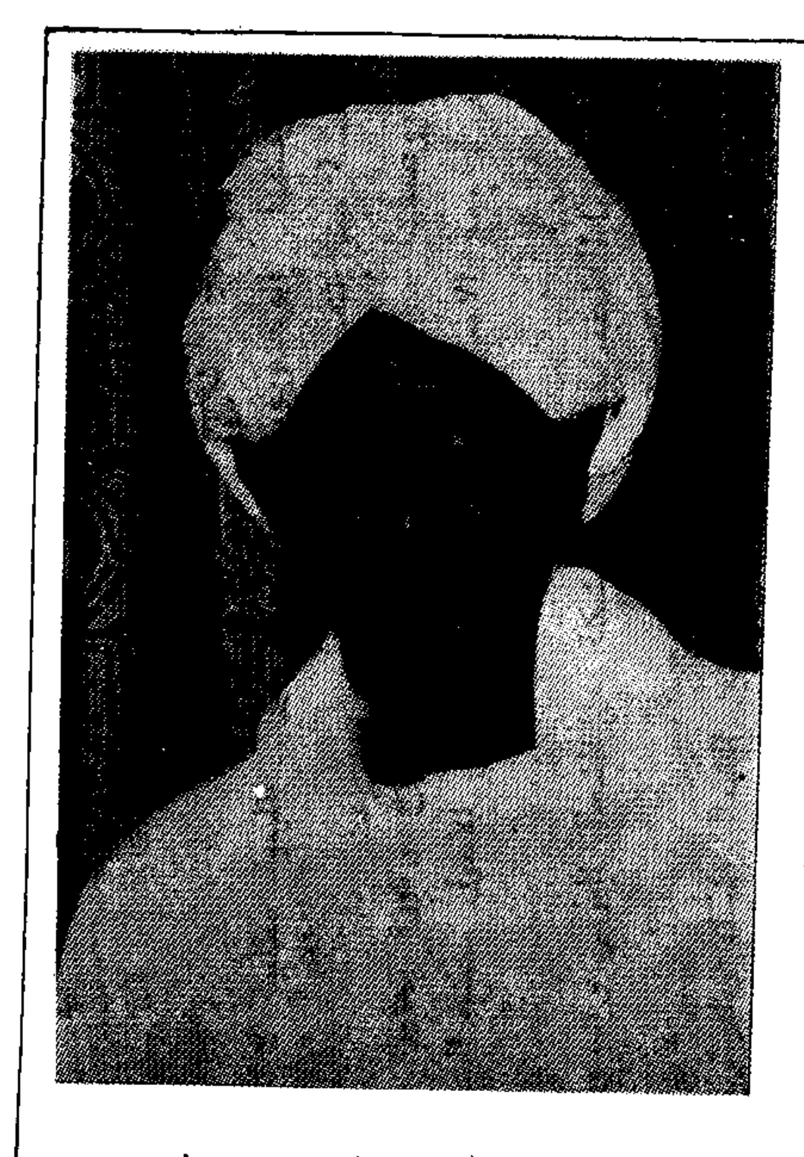
(٣) كون المؤتمر الشعبى العربى والاسلامى (الخرطوم ٢٨/٤/١٩٩١م) مؤتمر الشعب العربي والاسلامي كهيئة عربية واسلامية جامعة لمعالجة قضايا الأمة وبسط قيم الشورى والمشاركة السياسية والعدالة . أقرت أمانته الدائمة بالخرطوم واسندت امانته العامة لدكتور الترابى . وبذلك ضاقت الفجوة والجفوة بين الفكرين القومي والعربي والاسلامى ، وقد سبق لهما التقارب فى حرب الخليج . وجمع الحوار الحركات الدعوية الاسلامية بتعدد مدارسها أمام باب الوحدة العربية والتكامل الاسلامى ، داعياً لانشاء هيئة اقتصادية ووحدة وهو أول مؤشر عربى موحد يضاد الدعوة لنظام عالمى جديد تنفرد فيه امريكا بعالمية الهيمنة والسيطرة بعيد انتصار الحلفاء فى حرب الخليج م



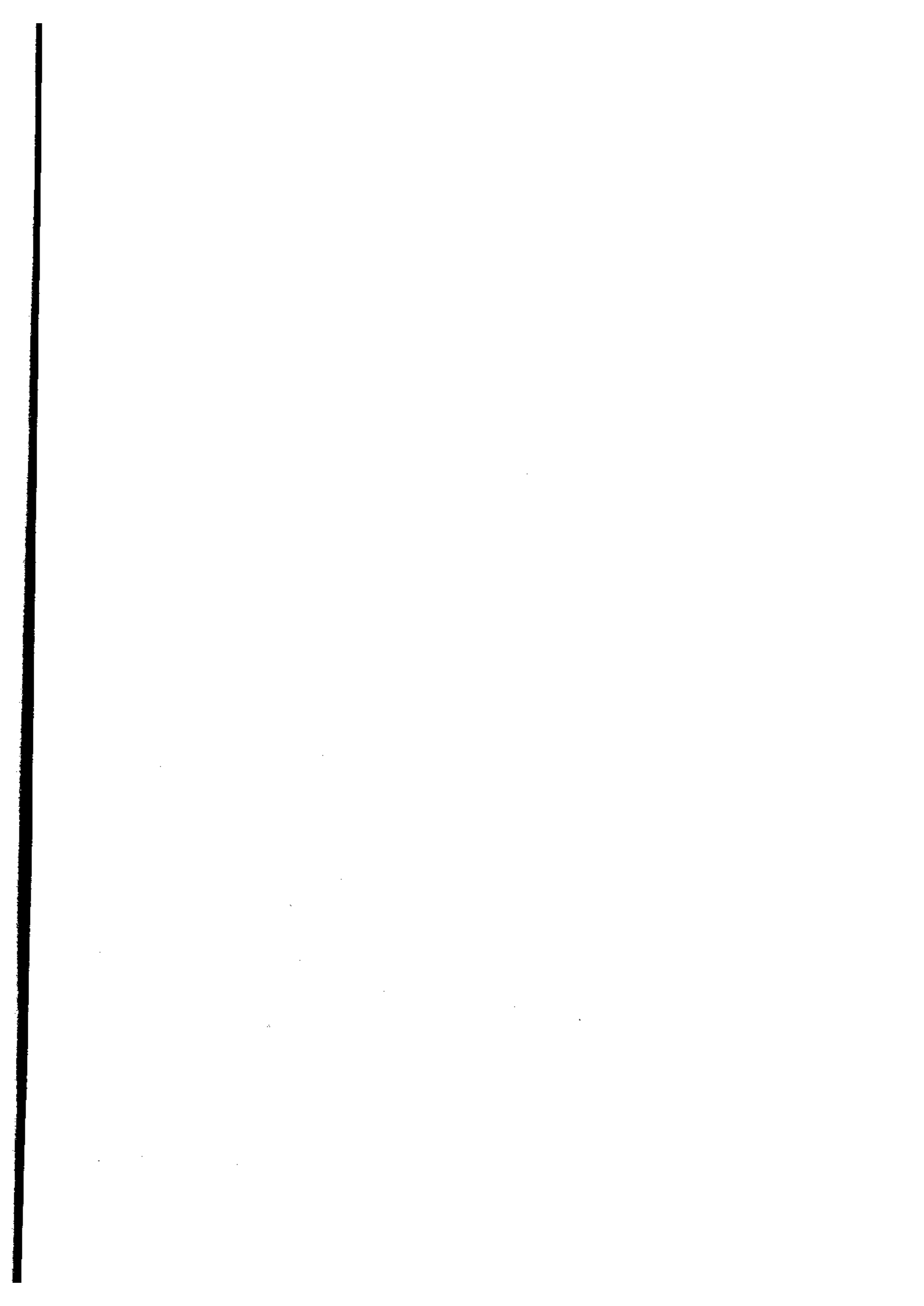
الاستاذ صادق عبد الله عبد الماجد



الدكتور حسن عبدالله الترابى



الاستاذ على عثمان محمد طه



(د) صفوة جنوب السودان

مشكلة جنوب الوطن . . .

وصفها الوحدويون بانها أطول حرب اقليمية مطلبية لا تفتأ تهدأ بالسياسة حتى تنفجر ثائرة بالسلاح . . .

ووصفها الإنفصاليون بانها أطول كفاح و ثورة تحرير مسلح في القارة .. ومع الاختلاف حول كنهها تبقى هى الأطول بحكم السنين سلماً وحرباً . . .

و عرفها العنصريون بانها مشكلة بين الشمال العربى و الجنوب الزنجى الافريقى . . .

و عرفها الكنسيون بانها مشكلة بين الشمال المسلم و الجنوب المسيحى الوثنى ، مبعدين الجنوب المسلم .،. وعددية القبائل الزنجية – العربية المختلطة . . .

هكذا شغلت مشكلة جنوب السودان فكر وعقل مواطنيه .. وبذرت مشكل الاختلاف و الفرقة بينهم ، و اضاعت اموالهم و ارواحهم ... و الهبت عذاب النفس والضمير فيهم .. فهم بين مؤمن بالانفصال لا يستطيع الافصاح عنه حتى لا يوصف بالنعرة العنصرية ... و آخر يتغنى بالوحدة ولا يعرف الطريق اليها بين الاعاصير و الضباب ، و صراع العقلانية و أهواء العاطفة .. و غيرهم يغالب الحيرة و المحاولة بين الحوار والحل العسكرى ، هل يعقل ان يخيم شبح الحرب ، خيالاً وحقيقة ، فى وطن نال استقلاله بعيداً عن التنازع و الثورة المسلحة سالكاً سبيل التطور الدستورى و قنوات القانون . . ؟ ! . . .

وتبقى الحقيقة إنها بذرة طالحة بذرها غاصب دسيس بارض طيبة ، وبات يرغب ان تؤتى أكُلها بين كل حين وآخر ، وطفق من أجل ذلك ، يرعاها سقياً بالسلاح وخبرة الرجال و مشكل اختلاف العقائد و العناصر والأصول . . .

انتهجت الإدارة البريطانية سياسة " عزل الجنوب " فى ٢٥ كانون ١٩٣٠م وتتادى هذه السياسة بخلق سلسلة من الوحدات العنصرية و القبلية الذاتية بناء على عادات السكان الأصلية ، ووفقاً لممارساتهم و معتقداتهم التقليدية .. علي أن يتم تطبيق ذلك بمراقبة التجار الشماليين ، و تقديم موظفين

حكوميين لا يتكلمون اللغة العربية ، على أن تدار هذه الوحدات بواسطة مسئولين بريطانيين تكون مهمتهم دراسة معتقدات تلك القبائل .. وبتطبيق تلك السياسة بذرت الكراهية للشماليين وللغتهم العربية ولعقيدتهم الإسلامية في نفوس اخوتهم الجنوبيين . . .

ولما قدم التجار الاوربيون فى زمن الحكم التركى -المصرى بهدف تجارة الرقيق عمل بعض التجار الشماليين العرب وسطاء بينهم لإكمال صفقاتهم .. كما مورست تجارة الرق في السودان قديماً بواسطة القبائل المختلفة ، عربية وزنجية ، عند غاراتها الحربية ... يمارسها الهازم ويتحملها المهزوم من دون تمييز للونه ونوعه .. ويمارسها عالم اليوم بيعاً للأطفال من مختلف الاجناس البشرية ، ليكون امتهانهم واستخدامهم فى تجارة المخدرات والجنس والدعارة وقيل ، بلا رحمة فى" المساحيق والأدويّة ، وكريمات ومراهم التجميل" . . .

وجاء المبشرون بارسالياتهم ليجعلوا من جنوب السودان نقطة انطلاق لدخول ادغال افريقيا وتغيير وثنيتها بأعتناق الديانة المسيحية .. وتحت هذه المظلة استقبلوا افواج المواطنين الجنوبيين وعمقوا فكرة الرق والاستعباد فيهم بتذكيرهم ان هؤلاء الشماليين هم أبناء تجار الرقيق الذين باعوا واشتروا اجدادهم وتنعموا باثمانهم ، مما عمق الكراهية وغذّى فكرة الإنفصال ، ومما أدى لأنفجار الحرب الأهلية وتكرار القتال . . .

وفى طريق الأستقلال . . . . .

بدأت صفوة الجنوب مشوار وحدة السودان ، متعثرة فى خطواتها ، متدثرة بثياب الدونية والإنكسار السياسى التى أهداها لها مقدار البعد السياسى ومدى حكمة وتدبير الاحزاب الشمالية يومئذ بذهابها الى مصر بغير صحبة سياسيين جنوبيين معتقدة بأن من هو فى صفوفها من شخصيات جنوبية تكفى لتمثيل الجنوب .. كان ذلك بتوقيعها اتفاقية الحكم الذاتى وتقرير المصير مع الحكومة المصرية فى فبراير ١٩٥٣م ، الأمر الذى أثار غضب صفوة الجنوب مجسدة فى بيان لجنة جوبا السياسية الذى شجب توقيع الاتفاقية دون علم الجنوب ، ورفض الفترة الزمنية المحددة بثلاث سنوات لتقرير المصير، ونادى ببقاء الخدمة المدنية البريطانية بالجنوب وانذر بأن الوحدة بين الشمال والجنوب لن تتم إلا إذا بلغ الجنوب المقدار السياسى للشمال . . . . وكان هذا انذازاً اعقبه الشر المستطير . . .

جاء في كتاب الديمقراطية في الميزان [1] . . . .

" وخلال الاستعدادات للانتخابات التي سبقت الاستقلال توجهت الأحزاب السياسية الشمالية نحو الجنوب لتوسيع قواعد مؤيديها لأنه لم تكن هنالك أحزاب سياسية بالجنوب آنذاك . . .

ولعبت الحملة المصرية دوراً كبيراً في أفساد الحياة السياسية في جنوب السودان .. فعند الانتخابات تردد ان مصر انفقت اكثر من ثلاثة ملايين جنيه في الجنوب لجذب الاصوات لفكرة وحدة وادي النيل ، ولإقامة رأس حربة خاص بها في تلك المحافظة .. وجاءت النتيجة محيرة جداً فالدعاية المصرية مرفقة بالأفكار غير المحكمة الإعداد والمناورات السياسية التي قامت بها الاحزاب الشمالية اثارت الإلتباس في المجموعات القبلية غير المتطورة في الجنوب وعمقت الشكوك والريبة في كل شئ شمالي . . .

ومن ناحية أخرى اعرب المثقفون من الجنوبيين بحرية كاملة عن شكوكهم في التطور السياسي التدريجي نحو الاستقلال .. وكانوا يتوقون الى تحقيق المستوي الذي حققه الشمال في عملية التطور . والمخطط الذي تم تنفيذه عام ١٩٥٤م لإدماجهم في السودان خيب آمالهم كثيراً .. إذ ذهبت الوظائف في معظمها الي الشماليين بفضل الأقدمية والثقافة والخبرة والتدريب .. فأصيب المثقفون الجنوبيون بخيبة أمل .. واعتبر بعضهم مخطط الاندماج مع السودان مجرد تبديل للأسياد واعتبروا النشاط الذي قامت به اللجنة السودانية إخلالاً بالوعود التي قطعها السياسيون السودانيون . . .

ومع اقتراب موعد الاستقلال دأب البعض في الحكومة في الخرطوم علي الإسراع في ترتيبات جعل الادارة السودانية ، ولم يعطوا القدر الكافي من الإعتبار لمدى الشكوك والاضطراب في الجنوب . .

وبلغ العداء والإضطراب السياسي في الجنوب درجة الغليان في ١٨ آب ١٩٥٥م عندما تمرد جيش الإستوائية في توريت قبيل موعد جلاء القوات البريطانية المصرية عن السودان ، فقتل ٢٦٠ شمالياً بينهم بعض افضل اداريينا ومربيّنا في ذلك الوقت . .

وقد أقدم المتمردون الجنوبيون على نهب منازلهم واغتصاب نسائهم قبل اللجوء الى الادغال . " . . . . . .

---

(١) الاستاذ محمد احمد محجوب . . . رئيس وزراء سابق (أمة) . . .

و جهل السياسيون الشماليون و اقع قضية الجنوب عند بدايتها ، ولم يقيموا سياسة عزل الجنوب و صعوبة مواصلاته ، و اثر كل ذلك علي المواطن فيه ، مما يلزم النظر يومئذ فى ترك فجوة وظيفية له لآثر العوامل السابقة على تدريبه و خبرته مما يقلل فرص منافسته لرصيفه الموظف لشمالى .. كما إنهم كانوا ينظرون للجنوب سياسياً كمصدر احتياطى للدعم السياسى لإكمال القوة ، و كثيراً ما تذمر الجنوبيون فى الحكومات لأن نصيبهم دائماً هو غير وزارات السيادة و الفعالية ... وهكذا بعدت الفجوة بين المثقف الجنوبى و الشمالي و خاصة فى ميدان التطور السياسى للبلاد ، مما اضعف عرى التفكير الوطنى المشترك بينهما ، ويكون ذلك أقرب للذهن فهماً بخلو كل من مجالس القيادة العسكرية فى انقلابات نوفمبر ٥٨، ومايو ٦٩ من العناصر الجنوبية [1] . . .

" عندما أطاح الجيش بالحكومة في تشرين ١٩٥٨ لم يلغ المجلس التاسيسى فقط بل أوقف الحوار السياسى بين الشمال و الجنوب ، إذ لم يكن لدى المجلس العسكرى الحاكم أى برنامج سياسى معين ، و بالطريقة نفسها التى قمع بها المعارضة السياسية . . . . .

و فى الشمال ، كَمّ افواه المثقفين و ذوى الرأى الجنوبيين ، و فرض نظام الحكم العسكرى برنامجاً اجبارياً لتعليم العربية و الدين الاسلامي على أمل تحقيق نوع من الوحدة فى المستقبل .. و اقيمت معاهد اسلامية متوسطة فى ست مدن جنوبية و معهد اسلامى ثانوى فى جوبا لتعليم الاسلام للبالغين . .

فى البداية تم تقييد نشاط المبشرين و معظمهم كاثوليك و من ثم طردوا من البلاد بعد ان اعتبرت الحكومة العسكرية انهم (قد جاوزوا حدود مهمتهم المقدسة) وعملوا من خارج السودان و داخله ضد الاستقرار و الأمن الداخلى للبلاد .

وأرغم جو القمع و التهويل العديد من المثقفين الجنوبيين و البرلمانيين السابقين على الفرار لبلدان مجاورة مثل الحبشة ، أوغندة ، كينيا ، وافريقيا

---

(١) يضم مجلس قيادة الانقاذ الوطنى ٣٠ يونيو ٨٩ م ثلاث ضباط جنوبيين .. ويتحدث بعض الجنوبيين أيضاً أنهم قد عينوا فقط ولم يشاركوا فى تنفيذ و تخطيط الانقلاب لتبقى هنالك ظلال شك فى نفوس ابناء الجنوب عن مدى فاعلية الجنوبى المدنى و العسكرى فى احداث التغيير السياسى والإجتماعى والتقائه علي المفهوم للدور الوطنى الواحد المشترك مع شريكه الشمالى . . .

الوسطى حيث شكلوا منظمات سياسية فى المنفى من أجل الدعاية لقضيتهم " (٢).

وقد مهّد لكل ذلك منهج القادة و المثقفين الجنوبيين الخلافى فى قضيتهم وعرضها فى المحافل الوطنية و العالمية . ولعل مرد ذلك كله التدنى الشديد فى الوعى العام للمواطن الجنوبى الذى يبدد طاقاته فى الخلافات القبلية حتى مستوى قياداته . .

" اعتقد ان هذا أمر عادى فى كل افريقيا حيث التركيبة القبلية وحيث محاباة القبيلة ومنحها الولاء الأول ، وذلك ليس جديداً على جنوب السودان كجزء لا يتجزأ من افريقيا الأم " (١) ....

وفى مؤتمر المائدة المستديرة المنعقد بالخرطوم فى ١٩٦٥ والذى دعت لـه حكومة اكتوبر طارحة شعار السلام بالتفاوض لا بالعنف بحضور مراقبين افريقيين (يوغندة ، كينيا ، تنزانيا ، غانا ، نيجيريا ، الجزائر ومصر) أجمع السياسيون الشماليون على رأيهم ، (اعطاء قدر معقول من الحكم الذاتى فى نطاق السودان الموحد) ، بينما تفرق الجنوبيون بين مطالب بدولة مستقلة ، ومناد بالحكم الذاتى ضمن دولة فيدرالية ومنهم من رأى نزع المركزية عن الحكومة ... مما قاد للفشل في نهاية المؤتمر .. ومن المتوقع أن يحدث ذلك في أى مؤتمر قادم لمشكلة الجنوب ان لم يسبقه مؤتمر خاص بالقوى الجنوبية المختلفة لبلورة آرائهم ومحاولة تجميعها ليسهل التداول فى المؤتمر الأكبر ، بعد تأطير أسباب الفرقة و الإختلاف ، وتقييم مبدأ الاحتراب مع الحكومة المنظمة ، و الذى بدأ أولاً بتدبير القبائل الصغيرة بالاستوائية من دون قبائل الدينكا و الشلك و النوير التى تمثل أغلبية سكان الجنوب . و اليوم تقوده قبيلة الدينكا ، التى كانت قبل الحرب أكبر القبائل الافريقية عدداً ، منفردة به دون غيرها ...

اتفاقية أديس أبابا (٣ مارس ١٩٧٢) . . .

كانت اتفاقية أديس أبابا اقراراً لمجموعة وثائق تشمل . . . .

- وقف القتال .

---

(١) محمد أحمد محجوب - الديمقراطية فى الميزان

(٢) المدينة ١٤٠٥/٣/٣ هـ جوزيف لاقو

- الحكم الذاتي الاقليمي للمديريات الجنوبية في أطار السودان الموحد .
- إلحاق المحاربين الجنوبيين حسب لياقتهم أما بقوات الشعب المسلحة أو بقوات الشرطة أو قوات حرس السجون أو الخدمة المدنية .
- عودة المهاجرين الجنوبيين من الهجرة الى داخل السودان .
- اعادة تعمير ما دمره القتال من منشآت كمنطلق لحملة تطوير وتنمية الجنوب

واعترفت الاتفاقية بالشخصية الثقافية المستقلة لجنوب السودان والخصائص المميزة له ، وفصلت الحكم الذاتي بأن يكون الجنوب اقليماً يحكمه الجنوبيون انفسهم بينما تظل مسائل الدفاع والشئون الخارجية والتجارة القومية والجمارك والمواصلات وتخطيط الاقتصاد الوطني ، والهجرة والجوازات والجنسية ومسائل السيادة عموماً بيد الحكومة المركزية على أن يُضَمّن ذلك في دستور البلاد .. ولا تعدل الاتفاقية إلا بموجب بنود الاتفاق حول التعديل (إنه لا يجوز تعديل قانون الحكم الذاتي للمديريات الجنوبية ١٩٧٢ إلا طبقاً لنصوصه) والتي تحددها اجراءات التعديل ... (طلب تعديل الاتفاقية بأغلبية ثلاثة أرباع مجلس الشعب القومي ، ومن ثم الموافقة عليها عن طريق اجراء استفتاء بأغلبية ثلثين الأصوات في الجنوب) .

وتم وضع دستور السودان [1] مزيناً بالجمهورية الرئاسية بعد أن كرس واضعوه [2] كافة السلطات التشريعية والتنفيذية في يد رئيس الجمهورية متعللين بأن ذلك من شأنه تحقيق الاستقرار للبلاد بتفادي التناقضات التي تفرزها الخلافات في القيادة ، كما يُحَجّم الطموحات التي يمكن أن تؤدي الى الصراع الدائم حول السلطة .

وبالرغم من توقيع الاتفاقية وتضمينها في الدستور وتطبيق بنودها إلا ان قناعة اطرافها المختلفة كانت في مستوى تسكين الألم وهي تنشد الاستقرار لزيادة عمر الحاكم ... مما زاد من زعزعة الثقة بين الشمال والجنوب [3] . . .

---

(١) برئاسة بروفيسر النذير دفع الله ١٩٧٣/٥/٨ .

(٢) منهم د. منصور خالد ، و د. جعفر بخيت .

(٣) صدرت ممارسات سلوكية اجتماعية واقتصادية لا أخلاقية من بعض التجار والجنود في الجنوب أيام السلم والحرب معاً مما زاد من زعزعة الثقة بين الشمال والجنوب . . . .

" ان اتفاقية اديس أبابا بها مادة تحرم الحكومة سيادتها ، واصدار قوانين لبقية المواطنين " [١]

ان اتفاقية اديس أبابا هى أنا وجوزيف لاقو ، ونحن نريدها هكذا " [٢]

وقد تعمق هذه الفهم للاتفاقية عند النشئ منهجاً ودراسة .. ففى كتاب للتربية الوطنية للصف الثالث المتوسط (عهد مايو) بوزارة التربية والتوجية ، تقول عنه ادارة المناهج شعبة التربية الوطنية (إنه أعد للفهم السليم للمؤسسات العامة وأهدافها الأساسية فى المجتمع) ، جاء الحديث عن الاتفاقية ..

" بهذا كله يعنى أن الحديث عن اتفاقية مبرمة لها صفة الدوام ، كما يحدث في ابرام الاتفاقيات بين الدول المختلفة ، انما هو حديث لا ينطبق على ما تولد عن لقاء أديس أبابا الذى صيغت فيه هذه الوثائق "

وبعد أن صدر الحكم الاقليمى للاقاليم الشمالية فى ١٩٨٠ وفى المؤتمر الثالث للاتحاد الاشتراكي (١٩٨١) ، نادى جوزيف لاقو بنقل السلطة لجماهير الجنوب لادارة شئونها وذلك لتعسر إدارة الجنوب الشاسع مركزياً من جوبا . مخفياً بذلك معاناته وخوفه من سيطرة قبيلة الدينكا ... وعندئذ طفت الخلافات والصراعات على سطح تنظيمات الاتحاد الاشتراكي مما أثر كثيراً فى تنفيذ مشاريع التنمية في الجنوب . ورأت القيادة ان اتفاقية الجنوب تغيرت من دفعة تنموية لنسخة أمنية .. وان الأمر ليس اختلاف موضوعى حول شكل الحكم والادارة في الجنوب ، وانما هو طموحات شخصية ، ومظهر من مظاهر انعدام الثقة بين الجنوبيين كأفراد وقبائل [٣] ....

قرار جمهورى رقم (١) ١٩٨٣ ...

هكذا حسم النميرى الأمر بتقسيم الاقليم الجنوبي لأقاليم ثلاث ..

" لا شك فى ان العدول عن القرار كالقرار نفسه كان نزوياً " [٤] ...

وجاءت أراء القادة الجنوبين متباينة عن التقسيم . [٥] ...

---

(١) جعفر نميرى (سونا باريس) ١٩٨٣/١١/١٧ .

(٢) النفق المظلم – نميرى فى إجابته لمراسل اذاعة جوبا عن الاتفاقية .

(٣) جوزيف لاقو (القبائل الاستوائية) ، ابيل ألير (قبيلة الدينكا)

(٤) منصور خالد – النفق المظلم ..

(٥) جريدة المدينة ١٤٠٥/٣/٣ هـ .

" ان قانون الحكم الذاتي الإقليمي مستنبط من اتفاقية أديس أبابا ، وهي اتفاقية دولية لا يمكن تجاهلها أو اسقاطها في أى مرحلة من المراحل بل يجب الحفاظ عليها ، وفى نفس الوقت لا نريد أن يكون الجنوب شيئاً مختلفاً عن الشمال في نظام الحكم ، وهذا ما يحققه القرار رقم (١) إذاً للتوفيق بين القانون والقرار لابد من وضع تصور يجمع بين الاثنين " جوزيف لاقو . . .

ان تقسيم الجنوب لثلاث اقاليم قد فرض فرضاً بارادة اقليم الاستوائية وان ذلك باطل قانوناً ودستوراً بنص اتفاقية أديس ابابا التى ضمنت في دستور ١٩٧٣ ومن الضرورى اعادة النظر فى هذا القرار " ألدو أجو. . . . .

" إن قانون الحكم الذاتى كان هو حل ثورة مايو لمشكلة الجنوب ، لذا لا يمكن التخلى عنه بسهولة .. ومن المثير للبلبة ان يقال إنه لا خلاف بين قانون الحكم الذاتى وقانون الحكم الإقليمى " وليم أجال دينق . . . . .

" ان التقسيم كان مفاجئاً للجميع وإننا لا نستطيع مهاجمة أو انتقاد رئيس الجمهورية لانه له السلطات والصلات التى تكفل له الحصانة الدستورية وإذا أردنا وحدة وطنية فلابد ان نقبل بحل وسط يوفق بين قانون الحكم الذاتى ١٩٧٢ م وقانون الحكم الاقليمى ١٩٨٠ " اندرو ويو .

" لماذا فشلت الحكومات القديمة (أبل ألير + جوزيف لاقو) ... [1] فى البداية عندما اعطى الإقليم الجنوبى الحكم الذاتى جاءت حكومة برئاسة ابيل الير لكنها فشلت السبب انه قبل اتفاقية أديس أبابا كان الجميع في حرب ويعيشون فى الغابة، لكن بعد الاستقرار عادوا فأراد كل واحد منصباً لنفسه وصار كل واحد يفكر بنفسه ولنفسه وليس لمصلحة البلد .. ولم يستفد بقية الشعب . . .

بعد مجيئنا للسلطة رأينا ان الجنوب كاقليم واحد إدارته صعبة جداً فطالبنا بالمزيد من اللامركزية وخاصة الاستوائية ، لأننا أردنا ان تكون منطقتنا منفصله تهتم بشئونها وقد خضنا صراعاً شديداً ضد الدينكا الذين كانت كل السلطة بيدهم .. واستمر الصراع الى ان وافقت الحكومة المركزية في الخرطوم على جعل الجنوب مثل بقية السودان (اقاليم ولا مركزية) ، ثم قررت

---

(١) حاكم الاقليم الجنوبى واقليم الاستوائية - الحوادث ١٩٨٣/١١/٤ م .

أن تضاعف المديريات وتجعل الاقليم ثلاث اقاليم ، ولقد قبلنا بهذا الأمر لأنه فيه تحسيناً وتطويراً لأديس أبابا ، فهذا التقسيم سيخلق لنا محافظين جدد مع نوابهم بشرطه ، سيصبح عندنا وظائف كثيرة ، وسيصبح عددنا في الاتحاد الاشتراكي اكثر ، أى تضاعف عددنا ثلاث مرات .. وهذا لمصلحة الجنوب .. لم نجر استفتاء مع انه كان من المفروض اجراء استفتاء حول زيادة المديريات أولاً .. ولكن لأن هذا التوزيع لصالحنا فضلنا السكوت " جوزيف طمبرة ....

هذه هى كيفية تفكير القيادات الجنوبية ، فى عهد مايو تفضل المصلحة الذاتية والقبلية وتمجد السلطان ... وترجع اليه فضل مجهوده ومجهودها نفاقاً

" الفضل الأكبر فى نجاح الحكم الاقليمى يعود أساساً لصالح الوحدة الوطنية وحادى ركبها السيد الرئيس القائد جعفر نميرى ، الذى كان وما زال وسيظل بنفسه مع الحكومة الاقليمية يوجهها يعمل معها على حل المشاكل واليه يرجع الفضل فى كل النجاحات التى حققها الاقليم الجنوبى حتى الآن " (١) .....

" هذه بادرة خير من قائد عظيم ، وحسن استهلال لعام جديد ، جديرة بالاشادة والتقدير ، وهو دليل حكمة القائد ، ورجل الدولة الكبير " (٢) ...

" أعلن السيد بونا ملوال لرئيس الجمهورية عن عميق تقديره وتأثره وإمتنانه لرعايه السيد الرئيس الشخصيه للجهد الاعلامي الذي بذل خلال توليه مسئوليه وزاره الثقافه والاعلام وهي الرعايه التي اثمرت كل الانجازات التي شهدها العمل الاعلامي والثقافي في البلاد بحيث يكون من الحق والصدق ان ينسب اي نجاح تحقق في مجالات عمل الوزاره الي جهد الرئيس الشخصي"..

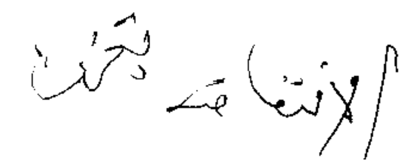
ولما بعد الرئيس عن موقع الرئاسه.......ولايام بُعَيْد الانتفاضه تغيرت نبرات الحديث ..

"اعلن السيد بونا ملوال انه قد اختلف كثيرا مع نظام مايو المباد من حيث المبدأ والسلوك، مشيراً الي ان اختلافه المبدئي مع نظام نميري بدأ عندما

---

(١) جوزيف لاقو رئيس المجلس التنفيذى العالى للجنوب (الصحافة ٢/٣/ وسونا ٣/٣/٧٨) .

(٢) برقيه لاقو لنميري بمناسبه العفو عن الاب غبوش وجماعته (الصحافه ١٧/٤/١٤٠٥هـ)



أخذ النظام خرق بنود اتفاقيه اديس ابا با ١٩٧٢ وذلك بتخليه عن مشاريع التنميه بجنوب السودان، وحل البرلمانات الإقليمية، و عندما مارس النظام الدكتاتورية الفردية و التسلط و الظلم للمواطنين . .

وقال: " ان إختلافه مع نظام مايو تّم عملياً عندما ترك الوزارة ١٩٧٨ عندما تأكد من ان نظام الفرد بدأ يتخذ القرارات غير المؤسسة ولا المدروسة ويفاجئ بها الناس، كما تسلط النظام على سلطات وزرائه الاقليميين و المركزيين وفــرض قوانين تعسفية على الجماهير منها القــوانين التى سميت ظلماً باسم الشريعة الاسلامية " (١)

ومن الأمور ذات الأثر غير المباشر على الجنوب مشاريع التكامل والوحدة العربية الجزئية و الشاملة .. فالوحدة العربية الشاملة (٢) ... هاجس بعيد المنال اليوم و ذلك لفقد الكثير من الدول العربية لاستقلال قرارها الوطنى، وان نظم الحكم فيها تتعدد وتتبدل ما بين الانقلابات العسكرية والملكية والسلطنة والامارة والجمهورية والجماهيرية .. والديمقراطيات المبتورة ... وكلهم مسلمون ويؤمنون بالله رباً . . .

إلا ان أغلبهم لم يحسم الأمر فى قضايا اللغة و الاسلام وهى قوام وجودهم أهى نطقــاً و عقيدة ؟ !! أم منهجاً و حركة و ســلوكاً و تنزيلاً للدين لمستوى الفرد .والمجتمع و الدولة .. كما يرى البعض ان الدول الاسلاميـة غير العربية أقرب اليه فكرياً و أولى بالوحدة الاسلامية . . وإنهم يؤثرون قضاياهم الخلافية عن الاصول وقضايا المصير (٣) . . . .

ثم جاءت المحنة الطامة حية تلتف حول عنق الوحدة العربية بالغزو العراقى لدولة الكويت و هول الحرب و الدمار و الفرقة ... ومهما تنوعت و تعددت أبعاد

---

(١) الأيام ١٩٨٥/٦/١٧ م . (٢) بدأت حرب الخليج بين الحلفاء (٢٨ حليفاً على راسهم امريكا و بريطانيا) و العراق فى ٩١/١/١٧م، بمبادرة طيران الحلفاء بمهاجمة العراق فى ما عرف بعمليات عاصفة الصحراء.. وقد قاد الظلم و القهر من جانب و العجز و سوء تدبير المال و المصلحة من الجانب الأخرالعالم العربى لحرب ستؤدى لتغيير الخارطة الاقتصادية و العسكرية و السياسية و الدبلوماسية فى المنطقة العربية ....

(٣) بعد إجتياح القوات العراقية لدولة الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠م ثم إعلان ضم الكويت كمحافظة عراقية و دعوة السعودية (و بعدها الأمارات العربية، وقطر و البحرين و سلطنة عمان) للقوات الأمريكية و البريطانية للدفاع عن اراضيها .. ازدادت الفجوة الخلافية بين الدول العربية وظهرت فى مؤتمر القمة العربى غير العادى بالقاهرة اغسطس ١٩٩٠م ... واظهر العرب انفسهم بانهم لا زالوا فى حوجة لغيرهم ليحل لهم مشاكلهم وينظم لهم علاقاتهم ... فكيف بمستقبل من ينهزم أمام حاضره ؟!

" واحياناً على بكرٍ اخينا إذا مالم نجد إلا اخانا " . . . .

و إسباب الحرب الخليجية بين بُعْد ثقافى يتمثل فى امتداد الصراع التاريخى و الحضارى بين الاسلام والنصرانية و اليهودية ، و بُعْد اقتصادى بالمحافظة على المصالح الإقتصادية الغربية فى منطقة الخليج والظرف الطارئ بين ثراء الكويت وفقر العراق النسبى، وبُعْد سياسى ينتج عن ذلك ،يظل السبب الرئيسى للحرب هو بحث الولايات المتحدة الامركية و حلفائها الغربيين عن ذريعة يمتطونها لتحطيم النهضة العلمية و التقنية و الصناعية الحربية فى العراق لتحجيم قدراته العسكرية القتالية من اجل ابقاء التفوق الاسرائيلى بالمنطقة العربية و من ثم احكام السيطرة و النفوذ على مصادر النفط و دولـه . . . .

وعَبَّدَ الطريق امام كل ذلك حقيقة ان العاطفة عند العربى غالبة على عقله مما يمكن من بذر روح الكراهية و الأختلاف و التشرذم و الإنقسام بين الأمة قيادة و شعوباً ، وقد وضح ذلك جلياً فى تعبير الشارع العربى ، و فى كثير من الأحيان و الأقطار ، بغيرما تريده القيادة . . . غير أن هنالك تبصرة و استزادة تأتى بعد تبصر قوله تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) (المائدة الآية ٦٤) يمكن ان توحد و تجمع .. فقد اثبتت الحرب أن الفجوة بين العالمين الغربى والاسلامى هى فجوة علم طبيعى و تقنية لصالح الغرب وفجوة تدين و روح لصالح الشرق ... كما أن مسألة الغزو العراقى للكويت و محاربة الأمة المسلمة للفئة التى تبغى والإستعانة و الاستغاثة بالمشرك لمحاربة المسلم هى فرصة لحكام و علماء و مفكرى الأمة الاسلامية و العربية و جماهيرها وحركاتها الدعوية للوقوف مع الذات فى مسألة الربط بين السياسة الشرعية و المسألة الفقهية أى بين حقوقهم فى الرأى و المشاركة فى الحكم بإنزال حكم الشرع على كل سياسات الحكام حتى لا يجد الفقهاء و اصحاب الرأى أنفسهم بأنهم فقهاء حكام يطلب إليهم ،عندما يريد الحاكم ، الإجتهاد لأنزال حكم الشرع على قضية لم يستشاروا فيها ولم يشاركوا فى صنع القرار السياسى الذى أوجدها ... كما انها فرصة لإظهار خلق التسامح و الإخاء الاسلامى ونضوح الفكرة فى كون أن التنمية الشاملة فى كل البلدان العربية و الاسلامية هى طريق الوحدة ...

وتتوقف ثمرة كل ذلك على اجابة الأسئلة الهامة والملحة .. كيف سينظر للأقطار العربية داخل معسكر الحلفاء والتى شاركت ، مهما كانت نيتها ، في تدمير القدرات العسكرية العربية الاسلامية ؟ وما هى حقيقة النظرة الإقتصادية للأقطار التى ساندت العراق مهما كانت نيتها ، من جانب الأقطار العربية الغنية ومشكل توزيع الثروات ، هل ستدعمها كما كان الحال قبل الغزو .. ؟
أم تتركها لواقع منوحات الصناديق وبنوك اعادة التعمير ؟
أم تصمت سلباً وتجعلها تعتمد على مواردها الذاتية وترغبها فرحة وهى تتعثر امام معاناة الإعتماد على الذات ؟!

وفكرة التكامل والوحدة العربية هذه في السودان تضادها فكرة الوحدة الافريقية الجزئية والشاملة ، والتى لا نجدها فقط بين الجنوبيين وحدهم وانما بين القبائل الزنجية والمختلطة الأخرى بالشمال ، يتداولونها في مجالسهم الخاصة ، ويواجهون بها الصحافة والمؤتمرات ...

سألت الحوادث جوزيف لاقو .. [1]

– دعوت وفى اكثر من مرة الى انضمام كل من اثيوبيا ، كينيا ، يوغندة ، رواندا ، وتنزانيا الى وحدة وادى النيل [2] التى تمثل التكامل المصرى السودانى أحدى حلقاتها الأقرب الى التحقيق ..

ما هى حيثيات هذه الدعوة .. هل نابع من إحساسك بأن السودان اقرب بإنتمائه الى الدائرة الأفريقية من الدائرة العربية .؟!....

" عندما نتحدث عن وحدة وادى النيل علينا ان لا نقف فقط عند حدود مصر والسودان ، علينا ان نجارى النيل الخالد في تدفقه .. نحن قارة سوداء تسكنها اقوام يربطها خيط مائى رقراق اسمه النيل مانح الحياة للأرض ، وواهب الخصب للتراب ...

السودانيون في الشمال ينظرون الى المصريين كإخوة واخوات ، أنا أنظر الى ابناء يوغندة ، زائير وكينيا بنفس المنظار .. هم أعمامى واخواتى .. لماذا التكامل مع مصر فقط .. لنكمل هذا التكامل وحتى

---

(١) الحوادث ١٨/٥/١٩٨٤م

(٦) دول حوض النيل (دول الأندوجو) ... السودان ، يوغنده ، مصر ، افريقيا الوسطى ، بوروندى ، رواندا وتنزانيا ... طلبت أثيوبيا الإنضمام إليها فى يونيو ١٩٩٠م ...

اثيوبيا .. لايهم اى نوع من الانظمة السياسية ، هناك فى اثيوبيا امتدادات لنا ووشائج و ارحام و صلات دم و أخوة .. نحن نتحدث علي مستوى الناس العاديين المواطنين البسطاء ممن نستورد لهم انظمة جاهزة و معلبة ...ان الحديث عن الوحدة لا يعنى ان تتحدث عما لديك انت فقط .. عليك ان ترى و تحترم ما يقدمه الاخرون .. الوحدة فى التعدد و التنوع .. لكى تقوم هذه الوحدة الصحيحة عليك ان تتنازل عمّا يعيق هذه الوحدة ، و بالمقدار الذى تطلبه منى ... و إلا كيف سنصل الي مُنتصف الطريق ؟ . "

و انفجرت حرب الجنوب للمرة الثالثة بعد ان دخلت شـــرائح من القوات المسلحة ، بعد تمردها ، للغابة فى ١٦ مايو ١٩٨٣ [٣] . .

الأمر الجمهورى رقم (١) ١٩٨٣ م . . . .

قوانين الشريعة سبتمبر ١٩٨٣ م . . . .

وثيقة الحاق المحاربين الجنوبيين بالقوات المسلحة (اتفاقية أديس أبابا) . . .

أى هذه القرارات كان السبب فى التمرد الثالث ، وتكوين الجيش الشعبى لتحرير السودان (الجناح العسكرى) ، و الحركة الشعبية لتحرير الســـودان (الجناح السياسى) ، .. و التى يقول قادتها عنها .. " إنها حركة [٢] قومية ووحدوية تتجاوز الانقسامات الدينية والعرقية والثقافية فى منظورها " . .

بالرغم من سيطرة قبيلة الدينكا عليها وتصريحات قائدها إيام الحزبية الثالثة بأنه (يفاوض القوى القومية فقط وليس الرجعيين) ؟ ! .

قاوم بعض الجنوبيين تنفيذ وثيقة دمج المحاربين الجنوبيين بعد مضى الخمسة سنوات المتفق عليها بقوات الشعب المسلحة وقد كان ذلك هو الدافع الرئيسى لدخول قرنق و جماعته الأدغال للمرة الثانية في تاريخ التمرد بجنوب السودان ، وقد تأكد ذلك من حديث قرنق لأروب مادوت [٢] .. .. " . . .

أروب مادوت : فيما نعلم انك غير مقتنع بالشروط الواردة فى اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢ م عن الجنوب ، ولكن بالرغم من ذلك قبلت الاستيعاب في الجيش السودانى .

---

(٣) قامت حركة قرنق المتمردة فى ١٣ مايو ١٩٨٣ م ، و أعلنت دستور عملها العسكرى و الشعبى (المانيفستو) فى يوليو ١٩٨٣ . . . . .

(٢) التضامن ١٧/٨/١٩٨٥ م

قرنق : صحيح اننى لم اكن مقتنع بشروط اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢ وصحيح إنه تم استيعابى فى الجيش القومى السودانى عند تنفيذ الاتفاقية ، ولم يكن عدم اقتناعى منحصراً فى اتفاقية أديس أبابا بل كنت غير مقتنع أيضاً باهداف حركة أنيانيا (٢) وذلك لان حركة الانيانيا فى ذلك الوقت كانت تهدف للإنفصال وقيام دولة ذات سيادة فى الجنوب .

أروب مادوت : لقد انساق الكثيرون وراء الاعتقاد بأن الأسباب التى ادت الى قيام الحركة والجيش الشعبى لتحرير السودان هى تقسيم الاقليم الجنوبى الي عدة اقاليم وتطبيق الشريعة الاسلامية فى ١٩٨٣ ، هَلْ توافق على هذا الاعتقاد ؟ ![1]

قرنق : اننى لا أوافق على هذا الاعتقاد وبالطبع توافقنى الرأى بأن ال (كوكورا) أو تقسيم الاقليم الجنوبى الى عدة اقاليم صغيرة وتطبيق الشريعة الاسلامية لم تكن هى السبب فى قيام الحركة والجيش الشعبى لتحرير السودان ، ولكن كانت لها انعكاسات علي ذلك الأمر .. الشئ الذى أدى الى اشعال فتيل التمرد ليس تلك القضايا .. لقد ذهبنا للغابة قبل ان يتم تقسيم الاقليم الجنوبى ، وبالرغم من ان الحوار حول التقسيم صار مستمراً لفترة طويلة فإن عملية التقسيم قد تمت في مايو وتم تطبيق الشريعة فى سبتمبر ، وانصافاً للحق فإن الذى اشعل فتيل التمرد هو التخطيط لنقل قوات الانيانيا المستوعبة في الجيش إلى الشمال وتوزيعهم علي كل وحدات القوات المسلحة بحيث يكونوا افراد مشتتين هنا وهنالك ومعرضين للشيخوخة والإحالة للتقاعد قبل الأوان والموت والفصل من الخدمة ، (الشئ) الذى سيؤدى الى انهاء ظاهرة انيانيا داخل الجيش السودانى ، وهذا فى الحقيقة كان الهدف الأساسي من الاتفاقية ، ولهذا السبب بالذات عارضنا اتفاقية ، أديس ابابا ، ولقد تنبأت أنا بذلك وحدثت النبوءة .. وهكذا أُشبِعَتْ رغبة التوظيف لدى حركة الأنيانيا كما تحققت اهداف الاستيعاب والدمج والتحطيم لدى الزمرة فى الخرطوم ، ومن هنا كانت معارضتنا لاتفاقية أديس أبابا . . .
كل البنود الاخرى في الاتفاقية والخاصة بالحكم الإقليمى والوظائف الوزارية وباستقلال الحكم المحلى هى أشياء هامشية . . ان الهدف الأساسي

(١) صحيفة هيرتيج - اكتوبر ١٩٨٧م (السودان الحديث ١٩٨٩/٩/٦م) .

مـن كل ذلك هو نزع السـلاح من حركـة انيانيا ثـم تحييـدها و أخيراً تحطيمها ... " و اليوم وقد زاد عدد المحاربين في قوات قرنق ، ولما كان الدمج هو السبب في الخروج للغابة أولاً فهل ترضى الحركة الآن بغير الجيش الموازى للقوات المسلحة[1] ؟ ! . .

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

(١) فى أواخر عهد الديمقراطية الثالثة و بعدما فشلت مذكرة القوات المسلحة لرأس الدولة بخصوص الحكم فى إحداث تصدع وتصادم فى القوات المسلحة ، و تقييماً للدور المحدود الذي تؤديه المعارضة الأفريقية و المنظمات الاغاثية الأجنبية كجناح داخلى للحركة ، اقترح د. منصور خالد عليها تغيير تكتيكها جرحاً فى الاستراتيجيه بتمديد المعارضة و ضم الشارع بفتح التعاون مع الطائفية و حكم العائلات باستثمار التناقض السياسى بين احزاب حكومة الديمقراطية الثالثة مما نتج عنه اتفاقية ١٦ نوفمبر ١٩٨٨ (الميرغنى /قرنق) . و اقترحت الادارة الأمريكية فيما بعد علي حكومة الانقاذ الوطنى سحب القوات المسلحة للشمال ووضع قوات دولية مكانها .. أى فاصل عسكرى دولي بين جيشين ... مما يمكن قوات التمرد من السيطرة و تامين مواقعها و يتيح لها امكانية التوسع التدريجي تحت مظلة تكتيكية حيادية . . . .

صفوة الجنوب و بقرة السياسة الحـلـوب .....

لعب الجنوبيون دوراً بارزاً في الحركة الوطنية السودانية ، منها منازلة المستعمر بقيادة علي عبد اللطيف [1] ، و عبد الفضيل الماظ [2] ثم الفترة الاستقلالية تحت إرادة و قيادة الاحزاب الشمالية ، و مؤتمر المائدة المستديرة في الستينيات و دور وليم دينج فيه مما أدى لإغتياله في غابات الجنوب ... و يلاحظ أن الاحزاب الجنوبية بالرغم من انها تفتح الانتماء إليها لكل السودانيين إلا أن عضويتها تتكون فقط من القبائل الجنوبية ، مما يؤكـد عـدم امكانية تحقيق الانصهار القومي و الوطني في السودان عن طريق الحزبية بمفهومها السائد بين سكانه ... و حتى قيادة هذه الاحزاب ظلت تفقد اتصالها بقواعدها في الجنوب خدمة أو توضيحاً لبرامج و سياسيات أو مشاورة ، مما جعل تلك القيادات تنسى همومهم ، و تتجاهل حاجتهم و تتاجر بقوتهم و موادهم التموينية ... كل ذلك من جراء ولع الاحزاب الشمالية بالسلطة و كيفية الوصول اليها، والمحافظة عليها و تثبيت اقدامها ، مما برر لها النظرة الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) فتستخدمها ليس في الجنوب فحسب وانما في كل مناطق السودان، غير ان ذلك يظهر بوضوح بين سياسي الجنوب ، مما يظهر الأمر كمتاجرة بالقضية الوطنية والجنوبية ، في اسواق تحويل الولاءات السياسية ، و الدلالات لمن يدفع اكثر أو يقدم المنصب الأرفع و الاكثر اغراء ووجاهة ... ويندر أن تجـد بينهم من يغيرون موقفهم السياسي تاييداً ، إبتغاء تنازل حزب شمالي عـن مساندة مبدأ أو قضية .. مما أبعد أمر السياسي الجنوبي عن المبدأ و الفكر السياسي أو إبتغاء انتصار القضية الوطنية أو المحلية ووضعه داخل اطار الأغراض الشخصية و القبلية .. بأن يكون العائد منفعة ذاتية ضيقه أو فوز قبيلة بمنصب يكون الولاء القبلي فيه و به طاغياً عن الولاء للوطن . . . ولم يعبأ عارض المنصب أو دافع المال ، و المرحب بالمنصب و قابض السند كلاهما بنظرة المواطن السوداني وسبة التاريخ و لعنته .. و اغرتهم غفلة المواطن الجنوبي و غياب وعيه ، و فقدانه لوسائل التعبير عن استيائه و استهجانه لمواقف قادة تتكرر اسماؤهم مع كل تغيير حكومي ، سواء كان ذلك

---

(١) جنوبي دينكا قوبريال ولد بالشمال (٢) جنوبي ، نوير بانتيو ولد بالشمال

بالقناعات أو الاغراءات أو التعويضات أو مساومات المراكز السياسية و المناصب ، أو تكتيك سياسى ممن يقومون على أمر تلك الحكومات فى محاولة لاستغلال الأسماء للكسب و التاييد السياسى المرحلى أو أرضاء و اشباع الطموح القبلى الجنوبى و الحصول على تاييده لزوم السلطة و استمراريتها . . .

و تظل بين ذلك قضية الجنوب هاجساً كما بدأت تقلق استقرار الوطن . . . .

تريدها الكنيسة حرباً دينية عنصرية . . .

و تراودها مصر و اسرائيل حرب مياة [1] .. وشرطاً لاكتمال أمن اسرائيل القومى و عمقاً لجنوب الوادى ... وهى عند الإمريكان و السوفيت معبراً لفرض النفوذ فى القارة و خلق مراكز للنفوذ ... و في كل الأحوال يملأ الرعب جوف تقارير مجلس الكنائس العالمى بان نتج عن حرب الجنـــوب . . . .

" الهوية الجنوبية التى أوجدتها سياسة المناطق المقفولة سيؤثر عليها النزوح للشمال لحدوث الانصهار الثقافى و الجذب و الإستقطاب التلقائى فى العادات و التقاليد فى المظهر و الافراح و الاتراح (لبس الجلابية و الثوب) .. و إ ن التداخل الإجتماعى سيزيل عقدة الضيم لممارسة تجارة الرق ... و كذلك التعريب التلقائى للنازحين بالتخاطب ، و اللغة العربية هى المعبر الأساسى للإسلام ... و كذلك الأسلمة وسط النازحين بواسطة المنظمات الاسلامية ، والخوف من بروز قيادات جنوبية اسلامية من كبرى البيوتات القبلية ... وتؤثر الحرب بالموت (جوع ، مرض ، حرب) على قبيلة الدينكا مما يؤدى لانقراضها اذا استمرت الحرب ، لأن معظم قيادات و مقاتلى التمرد من الدينكا " [2]

---

(١) تشرف اسرائل فنياً و تمول تنفيذ أربعة خزانات فى الهضبة الاثيوبية علي مجرى النيل الأزرق (كارورى ، مابيل ، منداياو خزان الحدود) و ترفع منسوب تخزين بحيرة تانا مما يؤثر على حجم مياة الفيضان في مصر و السودان و نوعية المياه و نسبة الطمئ و الإطماء و خاصة ا٫ استخدمتها فى رى الاراضى الزراعية ، أما فى حالة توليد الطاقة الكهربائية فان انسياب المياه سيكون طبيعياً ، كل ذلك مقابل ترحيل اليهود الفلاشا و مد اثيوبيا بالسلاح و الخبرة الفنية و العسكرية ... وتؤخر حرب الجنوب اكمال حفر قنـاة جنقولى ، و الاستفادة من مياه المستنقعات الضائعه فى الجنوب . . . . .

(٢) مستقبل الجرب بجنوب السودان – مكتب الدراسات الاقليمية بمجلس الكنائس الأزفستيا السوفيتية – عن الصحف الكينية . . . .

ويقول وزير الاشغال العامة والموارد المائية المصرى المهندس عصام راضى ... " بان جون قرنق اخبره بانه عند التسوية النهائية لمشكلة الجنوب يمكن ان يستأنف العمل فى قناة جونقلى ، وانه يحافظ حتى الآن على الكراكة التى تعمل على القناة سليمة ولم يتم تدميرها ، لأن فى مصلحته اتمام هذا المشروع " ...

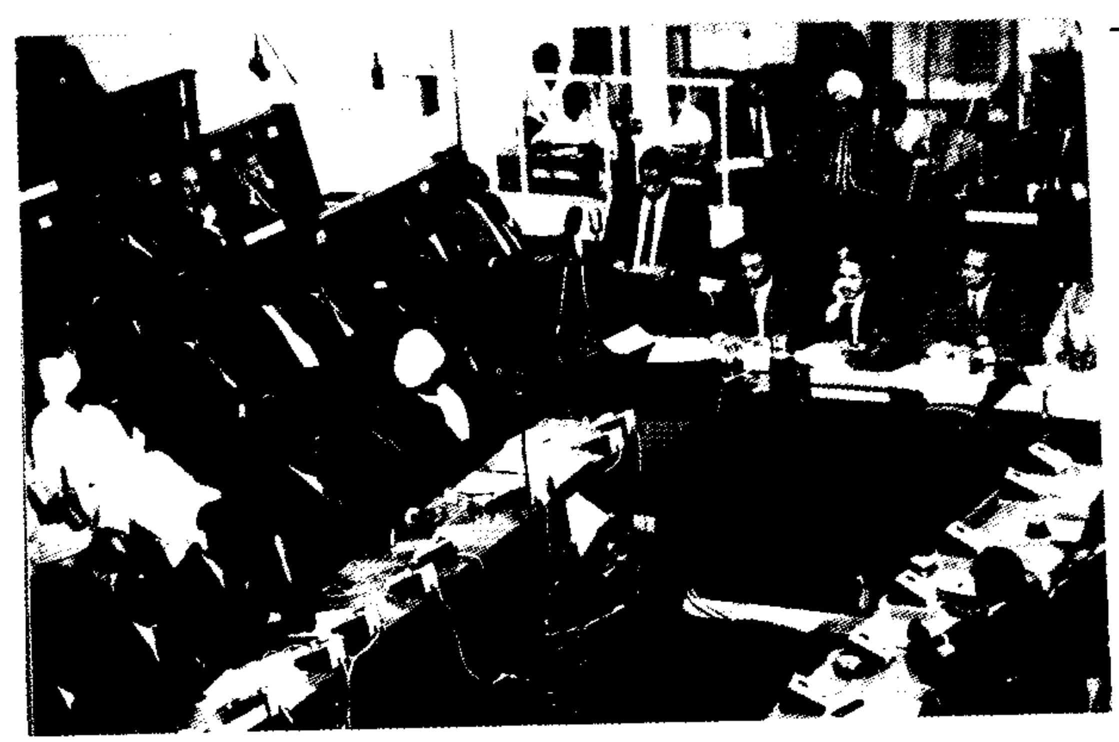
بينما تساوم اسرائيل اثيوبيا فى منابع النيل الأزرق باقامة السدود عليها ، وتمد قرنق بالسلاح حتى يقاتل ليزداد موقف مصر حرجاً فى مسالة توفير المياه وتامينها ، فتخضع للمساوة التى طرحتها عليها اسرائيل من قبل حين وعد السادات بإيصال مياه النيل لاسرائيل عن طريق سيناء ثم أوقفت القيادة المصرية اللاحقة تلك المساعى ورفضت الفكرة .. ولم يبق لاسرائيل إلا استخدام المكر والمكيدة ومحاولة المنبع بعد ان فشلت فى فائض المصب ...

وهكذا تتعقد مشكلة جنوب السودان مع الزمن ، ويترنح الوطن تحت معارك التكتيك والإستراتيجيات المحلية والعالمية ويستمر نزيف الدم والثروة ... وليس من طريق للحل غير الوحدة الوطنية داخل اطار تعدد الانتماءات الثقافية ، وتطبيق الفيدرالية المبرمجة ، مع العمل على خلق الدولة السودانية ، بداية بالتربية الوطنية فكراً ، وقدوة ، وتربية وتعليماً ، تطوعاً وتجنيداً ، حتى يعرف المواطن الطريق لتصريف مسئولياته ، والصرف الأمثل للمواد البشرية والطبيعية مع عدالة التوزيع فى الثروة وتوجية العائد خدمة وتنمية .. بدءاً بالبنيات الأساسية وخاصة ربط الجنوب بالشمال بالطرق والمواصلات ...حتى يتحصن المواطن ضد الاختراق الفكرى والإستلاب الحضارى ، وليبنى وطنه الواحد من اجل الجميع .....



السيد وليم دينج

السيد ابيل الير



مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٦٥)

اتفاقية أديس أبابا (١٩٧٢)





الفريق جوزيف لاقو

العقيد جون قرنق

(هـ) جبهة التحرير السودانية الوطنية
" جماعة الأب غبوش "

بعد ما جاءت مايو خرج [1] الأب فيليب غبوش من السودان ليعيش ويعارض من اقطار كينيا و يوغنده ، مستنداً على مؤيديه من جبال النوبة مستخدماً صلاته مع الكنيسة العالمية ومنظمات التتصير التبشرية ، و كون هنالك جبهة التحرير السودانية [2] الوطنية تحت زعامته والتى تقوم على اعتقاد 'عنصرى بأن المواطنين السودانيين افارقة و ليس عرب ، و التى أعلن حلها بعد المصالحة الوطنية فى مؤتمر صحفى عقده فى مبنى السفارة السودانية بنيروبى . . .

" إن الجبهة كانت تتشكك فى النوايا الحسنة لحكومة نميرى عندما جاءت للسلطة فى عام ١٩٦٩م ولكنه لم تعد لديها شكوك الآن . " [3] . . . .

و ارسل رسالة صوتية لجعفر نميرى أوردتها " سونا " و كالة الأنباء السودانية [4] . . . .

(**اعترافـــات الأب**) . . . . . .

باسم الله العلى القدير

الى القائد المفدى و ابن السودان - المحترم

تحية الزمالة فى الكفاح الوطنى . . .

و بعد :-

أنا الأب فيليب عباس غبوش أدم ، ابن السودان ... أريد ان اكتب لك صراحة ما اظن فيك و الشعب السودانى ، و هذا ان دل على شىء ما هو إلا الصدق و كل الصدق فيما أقوله . . .

قال المسيح عليه (السلام) . . .

" من ضربك علي خدك الأيمن فقدم له الايسر أيضاً . "

---

(١) ١٦ يونيو ١٩٦٩م

(٢) هنالك اتحاد جبال النوبة و الذي يقوم على فكرة الشعور بظلم و استضعاف عنصر النوبة التمنوى والإجتماعى و سبقته دعوات عنصرية بدارفور خلقت منظمات انتهت كلها الى زوال . . .

(٣) رويتر / سونا نيروبى . .

(٤) سونا ١٩٨٧/٥/٥م .

وقال الحديث الشريف ...

" جادلوا بالتى هى أحسن " ...

واستشهاداً بهذين الحديثين الكريمين اقول فعلت خيراً بالشعب السودانى بودك له وأيضاً مبادرتك فى المصالحة الوطنية ، للذين يختلفون معك في الرأى وربما السياسة ، ولكن صلة الدم والاخلاق السوادنى هى النبراس والعامل المشترك في هذا ..

فيا سيادة الرئيس أرجو ان يسامحنى الله الكريم فيما سلف وإننا فى المرتبة الأولى سودانيين وفى المرتبة الثانية اخوان في الوطن الحبيب ...

ان بعد هذه الكلمة الصغيرة أطلب منك قبول الاعتذار منى وأننا كما تعلم نحب ارض السودان والسودانيين بدون فرز ، ومع هذا كله لا يعنى اننى أعترف أمام انسان مثلى ، ولكن هذا هو من واجب الوطنية الاصيلة فى السودانيين بأن يبادر الأخ الى أخيه بالسماح مع التقدير ... "

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص فيليب عباس غبوش أدم

من يوغنده

وعاد الأب فيليب للسودان ليتحدث ....

" كنا نخطط للقيام بانقلاب يوم ١٩٦٩/٥/٢٤م ، وسعدنا بها .. ولكن لاحظنا ان الثورة كانت تعبر عن وجهة نظر حزب من خلال شخصيات نعرف مواقفها فى ذلك الحزب جيداً ...

لقد أستمعت بكل سرور الى خطاب السيد الرئيس القائد أمام مجلس الشعب القومى والاقليمى يوم الأربعاء الماضى ولقد كان حديثه علمياً ومدروساً ... وسرنى كثيراً أن اسمع منه ان أرض السودان مليئة بالخيرات وخاصة البترول الذي يغير حياة أهل السودان الى واقع جديد ... ومن واقع مشاهدتى للمسيرة فقد خرجت بإنطباعات خاصة واستطيع أن أقول إنه لا يوجد رئيس أفريقى يطمئن لشعبه كالرئيس القائد نميرى وهكذا يعكس ان الشعب كله إنخرط وراء ثورة مايو ، لأنهم شاهدوا العمل الجاد المنقطع النظير الذى قام به الرئيس القائد واصحابه ... ايضاً

ما اعجبنى فى المسيرة وجود كل الكيانات التى تشكل القومية السودانية ، وهذا ما كنت أنادى به .. ولقد اكدت المسيرة بصدق روح القومية السودانية . .

وصورة أنطبعت في ذهنى تلك التى شاهدت فيها طفلاً صغيراً بالمسيرة عند وصوله لمنصة الرئيس حياه تحية عسكرية .. ولا شك أن هذه تربية وطنية عميقة ، و تنشاة صادقة لأطفالنا .. ولقد تلمست أيضاً من التحام الشعب بالقائد عند المسيرة صدق الشعب و جديته دون تملق ... " [١]

و لما سئل : ما وهو رأيك فى التنظيم السياسى كقائد لمسيرة العمل الوطنى ؟ . . . . . . [٢]

" غبوش : الإتحاد الاشتراكى كمبادىء و بشكله التنظيمى الذى يستوعب الجنود و العمال و الرأسمالية الوطنية و المثقفين و الزراع و روافده التى تضم التنظيمات الفئوية لا اعتراض عليه على الإطلاق بل نرحب به و نرتضيه كقائد لمسيرة العمل الوطنى .. وهو النظام الأمثل لقيادة شعب السودان ... ولكننى لا استطيع فى هذا الأمر بنوع من التحليل لأننى لم اطلع على مواثيقه وأسسه .. و ساتحدث عن هذا بعد انخراطى فيه .. " [٣]

و قام بمقابلة النائب الأول لرئيس الجمهورية أبو القاسم محمد ابراهيم وأوضح الأب " بأن المقابلة كانت من أجل المبايعة الصلبة و الصادقة لثورة مايو و أهدافها و قائدها " [٤]

و احتفلت به قيادة جنوب كردفان بهيلتون [٥] الخرطوم ، فخاطب جمعها ... " ان الأخ الرئيس جعفر محمد نميرى ما سلك إلا درب هؤلاء من النفر الأجلاء و حزم رفاقه الأبرار بحزام الصراحة ، لأجل القيادة السياسية والإجتماعية و الإقتصادية .. و هذا يعد لهم شجاعة و براعة لافته يجب ان يلتف حوله كل ابناء السودان لأجل التقدم و البناء لهذا الوطن الحبيب دون خوف أو تملق نفسى أو فكرى .. و أن شعورنا نحن ابناء الجبهة القومية المتحدة نشعر من أعماق قلوبنا بأن الثورة العملاقة قد سلكت الدرب ، و يجب

---

(١) الأيام ١٩٨٧/٥/٢٨م - الأب غبوش (مقابلة)
(٢) الأيام ١٩٨٧/٥/٢٨م (أجراها أحمد البلال الطيب)
(٣) الأيام ١٩٨٧/٦/٣م .
(٤) الايام ١٩٨٧/٦/٣م
(٥) محمود حسيب / محافظ مديرية جنوب كردفان الايام ١٩٧٨/٦/٧م

ان نكون لها الحزام و الرباط لكى نسند ظهرها من الخلف و نترك لها المجال لأجل بناء الوطن الحبيب . . .

أيها السادة بعد غربة طويلة دامت سنين كثيرة نلتقى .. و الآن نحن على أرض الوطن .. الأم و الأب .. وكم نحن مسرورون بهذا .. أود أن أقول أيضاً أن التحقيق الذي حققه لنا ابن السودان البار البطل القائد بطل السلام و الإسلام جعفر نميرى ورفاقه الأبطال ، و خاصة الوحدة الوطنية " . . .

وولج الأب بـــاب منظمـــات الثورة . . . .

تم تعيين الأب غبوش عضواً فى اللجنة المركزية للإتحاد الاشتراكى فى ١٨ إكتوبر ١٩٧٨م . . .

" ان قرار السيد الرئيس بتعييني عضواً فى مركزية الإتحاد الاشتراكى سيضيف مؤشرات جديدة الى بعد النظر الذى يتمتع به الرئيس القائد وحكمته في جمع الشمل و تحقيق المصالحة الوطنية و التكامل بين الأخوة الاشقاء فى داخل و خارج السودان .. و ان اهداف ثورة مايو العملاقة اصبحت محوراً أساسياً للعمل الوطنى الجاد " [١] . . .

و تبع ذلك تعيينه عضواً فى مجلس الشعب القومى بقرار جمهورى رقم ١٩٧٨/٦٣٣م تحت رئاسة أبو القاسم هاشم ليخاطب مجلس الشعب قائلاً . . .

" دعنى أولاً ان اشكر الرئيس القائد جعفر محمد نميرى لاخلاصه الوطنى و مواطنيه .. ولقد قبلت المصالحة الوطنية لأن فى حياة السيد الرئيس و رفاقه الخلاص ، ولو كانوا من المتذبذبين لما رجعت ، ولكن عرفت فى حياته إنه رجل مخلص ، وليتنا جميعاً نصبح يده اليمنى و نساعده و نشد من ازره ، و نترك كما قال الرقيب الخلفيات . . .

و أوكد انه سوف لن نسمح بعد ذلك لأى أحد ان يضربنا من الخلف ، و سوف نطحنه طحناً ، و نقف مع السيد الرئيس سوف نذهب معك حيث ما سرت و اذا رجع الناس للتذبذب فلن نرجع لها ، لأن السيد الرئيس هو الذى أتى بنا لهذا المكان . " [٢] . . . .

---

(١) سونا ١٩/١٠/٨٧ - فيليب يعبر لسونا عن بالغ سروره و ارتياحه لسماع نبأ التعيين

(٢) سجلات جلسات مجلس الشعب القومى ١٩٧٨م .

(كلام الليل يمحوه النهار) . . . .

وكغيره من سياسى الاحزاب صالح لغرض لا يبعد عن وظيفته الدينية كقسيس مسيحى .. فما ان اعلنت مايو نهجها الإسلامى وبدأت تطبق القوانين الشرعية ، حتى دبر الأب غبوش ومجموعته معارضتها بليل ، ولما أطالته يد القانون يومها وقدم للمحاكمة قضت باعدامه ، فاستخدم سياسة معاوية برفع المصحف متقدماً برسالة طلب العفو للرئيس [1] . . .

إبتدرها " باسم الله العلى القدير " . . .

وختمها بإمضائه " من العبد لله عباس غبوش أدم " . . .

" لأنك زعيم مسلم واسلام في جميع الدوائر الخارجية والمحلية ، وانك معروف لدى جميع الدول بالمسامحة والغفران . .

يا سيادة الرئيس اننا جميعاً وحسب ما جاء فى اقوالى امام اللجنة الموقرة واعترافاتى القضائية كنا لم نسع لضرب الدولة والحكومة ، وانما كنا نود ضرب الفئة المناهضة والمندسة تحت مؤسساتكم .. انهم أرادوا ضرب الدولة والمواطنين ، وهم فئة الإلحاد . " [2] . . .

وعندما استجاب نميرى واعلنت المحكمة قرار العفو عنه وعن زملائه وقف فى المحكمة هاتفاً بحياة نميرى ، وطفق يهز رأسه ويبتسم ويصفق وتقاطرت الدموع من عينيه ، وأشاد بسماحة الرئيس المستمدة من سماحة الإسلام ، وأنه وزملاءه سيقفون مع القائد لضرب أى عدو [3] . . . .

جاءت رجب ، الحزب القومى السودانى [4] ، لينتقد الأب مايو وقائدها ويبرر أفعاله بالتقية والمعارضة السرية الداخلية ، وليبين فى مقابلة تلفزيونية [5] كيف إنه كذب على نميرى لإنقاذ " رأس قائد هام مثله ولو ان محمود محمد طه سمع كلامه لنجا برأسه " . . . .

---

(١) رسالة طلب عفو من الأب فيليب ١٩٨٤/١٢/٣٠م

(٢) من رسالة طلب العفو (سونا)

(٣) سونا للأنباء ١٤٠٥/٤/١٦هـ

(٤) لم يعد يحمل المفهوم الدينى ، العنصرى الجهوى كجبهة التحرير السودانية الوطنية فى انتخابات ١٩٨٦م ، وبالرغم من تركيز ترشيحه على دوائر الخرطوم اعتماداً على تحويل التركيبة البشرية فى السكان حول الخرطوم إلا إنه لم ينل إلا دائرة الأب غبوش (الحاج يوسف) وفاز جميع مرشحوه فى دوائر كردفان (٧ دوائر) ... ثم أنشقت عنه القيادة الجماعية . . .

(٥) تلفزيون السودان ١٩٨٥/٧/١٦م . . . . .

وأنتهى به المطاف الديمقراطى منزوياً عن الأنظار السياسية والجمعية التأسيسية وعضويتها ، تحت ضغط فضيحة استغلال الإغاثة والاستيراد المشبوه بخلط منفعة الذات ومظلة الأعمال الخيرية . . . .



الاب فيليب عباس غبوش

(و) الشيوعيون و قوى اليسار

جدل ....

تبني النظرية الشيوعية على حتمية الصراع الطبقى، حيث تقوم الدولة بعد سيطرة طبقة من المجتمع على طبقات أخر، و تنادى بأن العلاقات البشرية قاعدتها المادة دون الروح، و تجزم بحتمية الوصول لمرحلة الاشتراكية بوصول طبقة البروليتايا للحكم (دكتاتورية البروليتاريا) حيث تتحقق المساواة المطلقة بين البشر فتلقى الطبقات ... و تؤمن بأن الشعب سينسى السلطة اذا ما أقتسمت معه الثروة، و انه سيهزم دوافعه الفطرية الإنسانية اذا ما اشبعت حاجته المادية .. و عندئذ تكون مرحلة الشيوعية و عندها تنتفى الحاجة و تزول تلقائياً، و تفقد الدولة أساسيات وجودها ....

تلك هى الفكرة الشيوعية التى رضعها من أدخلوها للسودان، فى مدرجات الدراسة بمصر .. و حضر من تشبع منهم وهو يحملها بجانب تخصصه و يحمل معها طموح الشباب و غروره و فتوته، . و به ثورة و أحلام ... و بالرغم من علمهم و معرفتهم تخصصاً إلا انهم قد تاهوا عن المدخل الأنسب لتفجير ثورية مجتمعهم، و أثر الفكرة و الأصالة فيه - فقد جاءوا يتغنون بالماركسية اللينينية و آذان مجتمعهم يطربها تجويد القرآن، و يعطرها صبحاً ومساءً، صوت الآذان ...

ان نصوص و شعارات الماركسية لا تناسب المجتمع السودانى، و تجافى عقيدته و اصالته و ارثه الحضارى و تقاليده المتوارثة، لذا فقد كان مقضياً عليهم بأن يدفنوا رؤوسهم في الرمال متغاضين عن ما يدور حولهم، بإصرارهم على الفكر الماركسى، أو أن يضربوها بصخر الواقع [1] ...

[و كما كتبت من قبل فإن آفة الماركسية و مرد محنتها الى إنها تدعى العصمة و الشمول و المقدرة على تفسير كافة الظواهر و تقديم الحلول .. وإنها ترشد و تهدى الى سبل التغيير، و من هنا كان خطرها على الناشئة وعلى القصر و من هنا كان انجذاب الطلبة و الشباب الذين لم تكتمل لهم الحصانة التى يحققها الحظ الوافر من التعليم .. ولا المناعة التى توفرها تجارب العمر و الحياة و السنين] [2] .....

---

(١) يصرون على إلغاء قوانين الشريعة و التوجه الإسلامى بعد ان ظهرت نتائج انتخابات ما بعد ابريل (١٩٨٦) (٢) الاستاذ أحمد سليمان المحامى - صيحة حق جريدة الأنقاذ الوطنى ١٩٩٠/٢/١م

بدأ الحزب الشيوعى مدخله للسودان فى منتصف الأربعينات عندما تكونت الحركة السودانية للتحرير القومى ذات النشاط و العمل السرى .. ثم تكونت الجبهة المعادية للإستعمار و التى تبدو للناظر قومية المظهر و لكنها شيوعية الاشراف و التوجيه ، و كان الشيوعيون فيها يدعون للإستقلال التام جهراً و يؤيدون وحدة وادى النيل سراً ...

و كذلك فعلوا نفس الموقف المزدوج مع شريكيهما فى الجبهة المتحدة (الامة و الإتحادى) المعارضة لحكومة نوفمبر العسكرية ، فبالرغم من ان قرار الجبهة المتحدة كان عدم الاشتراك فى انتخابات المجلس المركزى إلا ان الشيوعيين ، و تحت مظلة التكتيك المرحلي ، اشتركوا فى الانتخابات بمرشيحيهم فى كل دوائر العاصمة و الاقاليم ، ولم يفز منهم أحد ، و كان نصيب المقاطعين ١٢ عضواً للأمة و ٢٩ عضواً للإتحادى و الختمية ....

وجاءت مايو و جاءوا بها (هما زندان فى وعاء) ....

فقد سافر وفد الجيش للإتحاد السوفيتي برئاسة نائب وزير الدفاع و كبار الضباط للتفاوض علي الأجهزة المتطورة ، جهاز الدفاع ضد الطائرات فى العاشرة والنصف من مساء ٦٩/٥/٢٤ ووقع الانقلاب فى الثانية صباح ٦٩/٥/٢٥ . ولا تجد من يظن ان تلك أحدى ضربات الحظ ، ولكنه أمر مدبر ... فقد افاد المقدم (م) محجوب برير بأن الرائد (م) فاروق حمد الله و عبد الخالق محجوب قد حضرا للمعسكر بخور عمر قبيل الإنقلاب ، كما ذكر محجوب عثمان وزير الارشاد القومى (مايو) بانه شارك فى الوزارة بناء على قرار الحزب .. وأمام محكمة مدبرى إنقلاب مايو ذكر الاستاذ محمد ابراهيم نقد سكرتير الحزب الشيوعى قائلاً : - " ان انقلاب مايو هو الموضوع الذي طرح على المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى اجتماع عقد يوم ٦٩/٥/٩م ، و كان النقاش يدور حول تفكير بعض الضباط داخل الجيش فى القيام بانقلاب عسكرى " ...

كما ان اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى مساء ٦٩/٥/٢٥ . خرج بالرأى الغالب وهو" التأييد لتطابق الشعارات" ....

و من ضمن ما ذكره الاستاذ عبد الخالق محجوب [1] (ان البلاد دخلت

---

(١) آفاق المستقبل السياسى للسودان .. ندوة ببانت أمدرمان ١٩٦٩/٥/١٩م

الأن بما لا يقبل الجدل فى نفق مظلم للغاية .. وليس هنالك مخرجاً منطقياً لها سوى قيادة وطنية جديدة تترجم إرادة التغيير و تعبر عن تطلعات الجماهير .. ولعله من الواجب ان أؤكد هنا ان حزبنا الصامد يرفض فى الوقت الحالى أية مغامرة عسكرية طائشة للتغيير تستغل فيها البرجوازية الصغيرة معاناة شعبنا للتسلق الى الحكم تحت عناوين نعرف سلفاً إنها زائلة قبل أن تستوعبها جماهيرنا]

وقد دارت الندوة المشار إليها فى نفس الإسبوع الساخن لإجتماعات الجمعية التأسيسية حول الدستور الاسلامي و رئاسة الجمهورية حيث أصدرت الاحزاب بيانها باتفاقها على اسلامية الدستور و رئاسة الجمهورية فى ٦٩/٥/٢٣. على ان يكون الدستور جاهزاً فى غضون ستة أشهر و تجرى انتخابات الرئاسة فى مطلع ١٩٧٠م ... كان هذا هو الدافع الأول لتفكير الشيوعيين فى انقلاب مايو بالرغم من ان مرشح اليسار لرئاسة الجمهورية كان هو الاستاذ بابكر عوض الله ، و الذى أصبح رئيساً للوزراء ووزيراً الخارجية فى أول حكومة مايوية . ولم يبعد إلا بعد أن صرح فى المانيا الشرقية بان " ثورة السودان لم تنجح إلا فى ظل تعاونها مع الشيوعيين " . و عندها ابدى الصريح عن الرغوة ....

ذكر الاستاذ عبد الخالق محجوب فى مؤتمر الاحزاب الشيوعية فى موسكو و تحت عنوان (التطور الثورى فى دول العالم الثالث) [١] ......

[و فى الحديث عن حركة التحرير الوطنى نريد ان نقدم تجربة السودان المتواضعة على ضوء الاحداث الأخيرة فى مجرى تطور الثورة الوطنية الديمقراطية .. تؤكد الخطوة التى تمت في بلادنا فى ٢٥ مايو انه على الرغم من وجود ثورة مضادة و الهجوم المتواصل من جانب الاستعمار الحديث فى منتصف الستينات فإن ميزان القوى لم تتبدل ... ظلت الحركة الشعبية تناضل بثبات طيلة السنوات الخمس الماضية حتى الخامس و العشرين من مايو حينما قامت مجموعة من الضباط الوطنيين و القوميين معبرة عن الأمانى الشعبية بأنتزاع السلطة من يد الثورة المضادة و نقلها الى طبقة من قوى الجبهة الديمقراطية ... بفضل هذه السلطــة الجديدة فتح الطريق لنهوض

---

(١) اخبار الأسبوع العد ١٢٤- ١٩٦٩/٦/٢٦م

الحركة الثورية التى كانت تجمع صفوفها لتصوغ البديل للطريق القديم فى معالجة المشاكل المزمنة التى تواجه البلاد ، أى لتضع البلاد فى طريق التطور غير الرأسمالى الذى اتضحت معالمه خلال مجموع نضالات الحركة الثورية لبرنامج التنمية ، وتجديد دور جهاز الدولة وحل مشاكل القوميات فى جنوب السودان و لتحقيق الثورة فى التعليم ... و على الرغم من الامكانات و الموارد الداخلية إلا ان الدعم المادى و الأدبى من جانب المعسكر الاشتراكى يلعب الدور الحاسم فى بداية الأمر لخلق الجو الملائم لبقاء السلطة الجديدة ، و تطور الثورة فى وجه الثورة المضادة]

و قد إعتبر المؤتمر خطاب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى و ثيقة تاريخية اعتمدت عليها الأحزاب الشيوعية و التقدمية فى دعمها لمايو ..

و تحدث أيضاً [1] [ان الصيغة التى عبرت عن هذه القضية صباح الخامس و العشرين من مايو صيغة سليمه من ناحية المبدأ و اعنى الاعتراف بالعمل الشعبى متمثلاً فى تحالف العناصر المدنية مع الثورة فى القوات المسلحة فى مستوى السلطة .. ان هذه الصيغة نابعة من تجربة إكتوبر نفسها فالثورة الشعبية وقتها وجدت فى عناصر الضباط الوطنيين الذين رفضوا إطلاق النار على الجماهير الثائرة عنصراً مساعداً لإنهاء الدكتاتورية العسكرية و لكن ثورة اكتوبر لم تصل الى نتائجها المنطقية لان القوى و السلاح ، على الصعيدين الشعبى و الرسمى ، كانا بيد الطبقات الرجعية و لهذا فالتحالف بين حركة الجماهير الشعبية و القوى الوطنية والثورية فى القوات المسلحة أمر منطقى ظل يفكر فيه كل حادب على مستقبل وطننا .. فثورة الجماهير الشعبية بدون سلاح يحميها معرضة للانتكاسة ، كما ان العمل المسلح بلا جماهير شعبية لا يخرج من أطار تبدل فوقى فى السلطة الى أطار انقلاب السلطة] .

(**كمن يرتجى مطراً بغير سحاب**) ...

جاءت مايو وفى مجلس قيادتها ثلاثة ضباط شيوعيون ملتزمون ، و على رأسهم و زملائهم نميرى ، و الذى هو فى رأى بعضهم انه الاضعف واللامنتمى سياسياً ، مما يساعد على ازاحته ، ولكن كأنى به قد استوعب تجربة النحاس

(١) عبد الخالق محجوب - اخبار الأسبوع ١٤١ - ٢٣- ١٠ - ١٩٦٩م

باشا و الذي اختارته الأغلبية الوفدية كخلف لسعد زغلول في رئاسة حزب الوفد زعماً بانه الأضعف فاذا به صقر القمة بعد ان ابعد عنها الجميع تاريجياً .. كون الشيوعيون و البعثيون و الناصريون الرصيد الشعبى لمايو وكان مهرجانهم السياسى الأول موكباً بميدان الشهداء بالخرطوم فى الثانى من يونيو ١٩٦٩م ، حيث خاطب جمعهم رئيس مجلس قيادة الثورة والشفيع احمد الشيخ امين عام اتحاد العمال السودانى و مساعده الحاج عبد الرحمن .. ونادوا بأن مايو ليست ثورة للجميع و إنه لا مكان لأعدائها بين صفوفها ، فى ثورة تقدمية ، و أعلنوا بداية هيمنة القوى التقدمية على الجهاز النقابى والاتحادات المختلفة .. و عقد إجتماع مجلس السلام العالمى ، ودعيت نقابات عمال العالم للعاصمة الثورية الخرطوم .... و خاطبهم سكرتير اتحاد نقابات عمال السودان .... و نائب سكرتير الاتحاد العالمى للنقابات [1] ....

" الحركة العمالية تعيش احسن ظروف اتيحت لها بفضل الانتصار العظيم الذى حققه الشعب صبيحة الخامس و العشرين من مايو " . . .

و نادوا بالردع و التصفية باستخدام العنف الثـورى مع اعداء الثورة والشعب و معارضى مسيرتها من الرجعيين .

" ثورتنا .. ثورة مايو .. ثورة وليدة جديدة .. لكنها على النقيض من أكتوبر قد ولدت باسنانها . . . .

نريد لثورتنا أن تبقى و لسوف تبقى لألف سنة مقبلة حيث يستطيع احفادنا ان يقولوا .. ان هذا الجيل جيل ثورة مايو .. و جيل أكتوبر ... جيل نميرى و رفاقه فى جيشنا الباسل و فى قوى شعبنا الثورية خلق لبلادنا الحياة وصنع لها المستقبل . . " [2]

واوصى التنظيم الاشتراكى للأساتذة السودانيين بجامعة الخرطوم فى منشور له فى ٦٩/١٢/١٩. بابعاد سبعة عشر استاذاً جامعياً بحجة انتمائهم للأخوان المسلمين أو معاداتهم للقوى الثورية التقدمية . . .

و نادوا بتاميم الصحف و مصادرتها . . . .

" ان عيب تلك الصحف [3] لا ينصب على حقيقـة إنها ملك الأفراد بل

---

(١) الاحرار ١٩٧٠/٢/٢٥م - الشفيع أحمد الشيخ ،

(٢) دروس فى الثورة (الهادى و الصادق و شركاهم ليمتد) الرشيد نايل .

(٣) بيان الحزب الشيوعى السودانى ١٩٧٠/٩/١م .

لأنها تتجه بصورة أو بأخرى و بمستويات مختلفة خلال عمليات الصراع الإجتماعي وجهة تخدم مصالح متعارضة مع الثورة الديمقراطية فى بلادنا . .

إن انتقال أمتياز هذه الصحف الى يد الدولة يجد الترحيب من هذه الزاوية و نعتبرها خطوة انتقالية لوضعها فى يد قوى الجبهة الوطنية الديمقراطية بوصفها التحالف السياسي الحتمى فى هذه الظروف . . . .

و لكن هذا لا ينفى إنه من الممكن فى هذه المرحلة الثورية ان نقدم صحف و مجلات تمتلكها شخصيات وطنية تقدمية .. فيمثل هذه الشخصيات التى لا تنتمى الى تنظيمات سياسية يمكن ان تظهر فى هذه المرحلة و يمكن أن تنضم للجبهة الوطنية الديمقراطية و هى ليست مستقلة عن مجموع الصراع الاجتماعي والطبقى بل منحازة الى جانب الثورة الوطنية الديمقراطية "

وشارك الشيوعيون و البعثيون و الناصريون فى وضع الميثاق الوطنى [١] و الذى يمثل فكر ثورة مايو قبل ميثاق العمل الوطني . . .

" إن عدداً من الأعضاء اقنعوا انفسهم مسبقاً أننى منطلق من مبادىء ايدولوجية معينة و تصحيحاً لما قاله حسن عبد الماجد أقول أنا اشتراكي عربى وليس من حزب البعث ! " [٢] . . . . .

" و هكذا أقدم الضباط الأحرار و الجنود على الدخول بالنضال الشعبى فى مرحلة الإنجاز الوطني التقدمي فى الخامس و العشرين من مايو ، ولذلك لم يكن ٢٥ مايو انقلاباً عسكرياً كتلك الإنقلابات التى قطعت الطريق على الحركة الجماهيرية فى عدد من بلدان العالم الثالث ولكنه على العكس من ذلك تحرك ثورى فتح ثغرة واسعة فى جدار الأزمة الشاملة . . .

.. ان ثورة مايو تضعنا فى طريق جديد و مرحلة تاريخية متقدمة تتطلب المزيد من اليقظة و الوعى و الحس الثورى ... و تطلب تعميق وحدة كل القوى التقدمية بقطاعاتها الإجتماعية و فصائلها العقائدية المختلفة . . " [٣]

و لما كانت الجامعات و المعاهد العليا هى مركز انطلاق المعارضة لمايو فى بدايتها فقد ادخل اليساريون التطهير فى مجتمعها ، اساتذة و طلاباً ، ..... حتى توطد اقدامهم بابعاد غيرهم . . .

---

(١) يلزم قادة الثورة بتخليص البلاد من التجمعات السياسية الدينية و التقليدية ، و يرفض الديمراطية البرلمانية ، وينادى بالاشتراكية العلمية ، و يحمل قرار التحرر من الراسمالية . . .

(٢) بدر الدين مدثر – مضابط مناقشات الميثاق الوطنى ١٩٧٠م

(٣) بدر الدين مدثر – مجلة الحياة العد ١٠٦ – ٣/١٠/١٩٦٩م.

و الغى تكوين اتحاد طلاب جامعة الخرطوم فى نوفمبر ١٩٦٩م و استبدل الاتحاد بسكرتارية الجبهات التقدمية و التى تتكون من الشيوعيين (الجبهة الديمقراطية) ، جبهة كفاح الطلبة ، البعثيين و الاشتراكيين العرب .. وأصدر مشرف [١] الطلاب قرار تنظيم الصحف الحائطيـــة و الملصقات و الندوات فى جامعةالخرطوم ، منع بموجبــه النشاط السـياسى الحزبى غير الاشتراكى التقدمى . . . .

و (أتخذت قيادة الثورة قراراً لاعادة النظر فى الجامعات يهدف لأن تمارس جامعة الخرطوم دورها الطليعى و الطبيعى كأداة من ادوات الفكر الاشتراكى التقدمى) [٢]. . . . .

و اسقطت توصية اتحاد الطلاب الشهيرة " بالإضراب ضد السلطة " فساروا ليلاً حفاة ليخاطبهم مدير البوليس من مبنى وزارة الداخلية ... [٣]

(أمس و فى ظل ثورة مايو الاشتراكية التى صححت مهام أجهزة الأمن بأن جعلته فى خدمة الشعب و اهدافه و تقدمه ، و صححت معها نظرة الشعب الى رجل الأمن بأن جعلته فى خدمة الشعب .. أمس توجه الطلاب فى المواكب الهادرة إلى وزارة الداخلية للتعبير عن مساندتهم و دعمهم لثورتهم الاشتراكية و تحدث إليهم ولأول مرة فى تاريخ هذا البلد السيد مدير البوليس و حياهم تحية الثورة و النضال ... و أهاب بهم أداء رسالتهم الوطنية من داخل دور العلم .... و ستتكفل أجهزة الأمن ....بأعداء الشعب خارج هذه الدور لسد كل الثغرات التى قد يتسرب منها الانتهازيون و الرجعيون ... ان القوى الثورية التقدمية أعلنت أمس تاكيد وقوفها الى جانب ثورة مايو الاشتراكية و مساندة الخطوات التى اتخذتها السلطة الثورية لإرساء قواعد التعليم الجامعى على أسس تكفل تلاحم الجامعة و القيادة ووضع مكتسباتها فى خدمة الوطن و المواطن .. وقد تم هذا فى دحر الفلول الرجعية داخل جامعة الخرطوم و انزال الهزيمة بخططها المعادية للثورة بأغلبية ساحقة أكدت سيطرة القوى الثورية فى الجامعة " ...

و بدأ الشيوعيون فى تزيين وجه قائد الثورة ووضع المساحيق عليه لتلميعه و أرضاء غروره و ادخال العجب و البطر فى نفسه ....

---

(١) د. جعفر بخيت ١٩٧٠م

(٢) بيان قيادة الثورة ١٩٧٠م

(٣) جريدة الأحرار ١٩٧٠/١/١١م

" تقديراً لدورهما التاريخي في تفجير ثورة الشعب التي تمثل إرادة الأمة و تطلعاتها الى احداث التغيير و التزام العدالة و الاشتراكية و افساح المجال بلا حدود لقدرات الشعب لتحقيق آماله و مطامحه في التقدم و التطور ... و الجامعة اذا تفعل ذلك - منح اللواء جعفر نميرى رئيس مجلس الثورة ونائبه بابكر عوض الله الدكتوراة الفخرية في القانون - فإنما تكرم الثورة في شخصيهما و تؤكد إلتحامها معهما " [١] .... ،

و ذهبوا اكثر لهدم الفكرة فيه بتعظيم مفكرى الشيوعية و منظريها عندما اقنعوا النميرى بإلغاء الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، و احتفلوا بلينين ... وقد ظهر أثر محاولاتهم في المعاناة الشديدة التي واجهها النميرى منهم في تحديد مسار فكر الثورة بمقاومة محاولات الجذب و الإستقطاب المركزة ....

" في الاشتراكية لسنا مذهبيين ولا عقائديين في ذيل أحد لأننا نحترم بفكرنا كشعب عريق واسع التراث هذا في المكان الأول ... ونريد ان نأخذ من كل المذاهب الاشتراكية ما يفيد سوداننا و يوضح اسلوب شعبنا الخاص في ذلك ليصبح مع الآخرين تراثاً للعاملين في دنيا الإشتراكية [٢] " ......

و تغنوا لمايو أدباً و شعراً و أناشيد و أغاني ..

وصنعوا من الكلمات عقوداً و أساور و ألبسوها حلة بطولة لمايو وقائدها .
قدموا " دفاتر حب لمايو " [٣] .....

(أهتف يا خرطومي ....

(اهتف حتى اشرخ حلقومي ...

(مايو .. مايو ... مايو)

(و ذهبوا لاكثر من ذلك منشدين :-

انت يا مايو الخلاص

يا جداراً من رصاص

يا حبالاً للقصاص

من عدو الشعب في كل مكان .. [٤]

---

(١) قرار مجلس جامعة الخرطوم في ديسمبر ١٩٦٩م ١٩٦٩/١٢/٥م - الأحرار العدد ١٦٦

(٢) بيان رئيس مجلس الثورة ١٩٧٠/٧/١٦م (٣) كمال الجذولى

(٤) شعر محجوب شريف و إنشاد محمد وردى ....

وغيرها كثير في دهاليز الغناء وادب الثورة والمقاومة ، تبشيراً وذماً ، في كل مراحل الزواج والطلاق لمايو ، حتى وجدنا من يصف أهل الفن والأدب بأنهم كالسكارى غير مؤاخذين فهم يتغنون لكل عابر ، ويكتبون ديباجات الأدب وبُرْدِه في كل ناعق حتى إذا ما جاء آخر صحبوه إنهم . . . . . .

(كمن يرتجي مطراً بغير سحاب) . . .

هكذا عمل الشيوعيون واليساريون كطابور خامس لمايو وهي في مهدها تحدثوا باسم المثقفين ، تقدميين ووطنيين وآخرين غيرهم ومن دونهم ... تحدثوا باسم الضابط والجنود الأحرار ... وهتفوا لمايو باسم جماهير العمال والمزراعين والرعاة ....

ثم جاءت الطامة ..

يومها دبروا مكيدة للقائد مسرحها ندوة البرارى ، لم يخطئها تقدير أعوان النميرى غيرهم ، عندما قدم عبد الخالق محجوب ليتحدث بعد رئيس مجلس الثورة كمفكر اشتراكي ومناضل ... وفي ذلك خرق للبروتوكول غير مقبول .. فعلم النميرى واعوانه أن في الأمر مكر تدبير ، وجمعوا أمرهم . . .

ثم قويت مخالب مايو وأنيابها ، وبدأت الطريق للأنفراد بالسلطة . . .

فقد سبق ان تم اعتقال سكرتير الحزب عبد الخالق محجوب بعد احداث الجزيرة أبا ونفى لمصر ولم يعد للسودان إلا بتدخل من جمال عبد الناصر وإقراره بعدم التدخل في الشئون السياسية للثورة . . . .

وتم ابعاد الضباط الشيوعيين الثلاث ، هاشم العطاء ، وفاروق حمد الله وبابكر النور ، من مجلس قيادة الثورة في فبراير ١٩٧١م فأحس الشيوعيون بأن ذلك نذير عهد جديد .....

" إن الجماهير تدرك في كل المواقع انه لولا مساندة الحزب الشيوعى لهذه السلطة لما بقيت يوماً واحداً .. وها هي تدعو الجماهير لضربه وتحطيمه .. ولكنه الجحود والتنكر لابسط قواعد العمل الأخلاقي للسياسة " [1] ....

وفي العيد الثاني لمايو أعلن النميرى حل كل واجهات الحزب الشيوعى السياسية ... اتحاد الشباب السوداني الإتحاد النسائي السوداني ، ... اتحاد العمال السوداني وجماعات الصداقة مع الدول الإشتراكية .. واتبع ذلك تعطيل الصحف اليسارية ... أخبار الأسبوع ، الطليعة ، وصوت المرأة . . .

---

(١) بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني - ١٩٧١/٢/١٢م .

بالإضافة الى أن تورط السوفيت ...فى افغانستان كلفهم الكثير من الموارد المادية و البشرية مما اضطرهم للإنسحاب منها مؤخراً بعد ان ركز ذلك الموقف فى القوميات الداخلية معنى خضوع الدولة عند مواجهتها بالمقاومة و الصمود . . .

عندئذ نادى ميشكا غورباشوف بسياسة البرسترويكا . "سياسة الإصلاحات و اعادة البناء الإقتصادية " و الغلاسنوست " المكاشفة و حرية التعبير " . . . . . وركز عليها كل جهوده لكى تتمهد أمامه الطريق لتغيير الفكرة الاساسية لدولة قومية ذات مصالح حيوية تود تحقيقها ضمن سياستها الخارجية . . .

تبنى البروسترويكا على السماح بتوجيه و تشجيع الإستثمار والتقنية الغربية للجمهوريات السوفيتية ، وتحويل العلاقات مع أوربا الشرقية من الهيمنة والتحكم اللامحدود الى علاقات متوازية مما ادى لإضعاف القبضه الحديدية للسوفيت على دول شرق أوربا فهبت تلك الدول لتكمل النقص فى سيادتها ، وتقرير مستقبل الحكم فيها . . .

وزار غورباتشوف الفاتيكان [1] ليتم اول لقاء بين رأس الكرملين ورأس الكنيسة الكاثولوكية منذ قيام الدولة الشيوعية، بعد أن رفع الحظر عن نشاطات الكنيسة الروسية . وقد اعترف بعد ذلك بأن أمه قد عمدته، وأنها زاولت الطقوس المسيحية الارثوذكسية ، وإنها تخفى الإيقونات المسيحية خلف صورة لينين فى منزل العائله فى (بريفولين) ... وذهب مباشرة من شواطى ايطاليا [2] لشواطىء مالطه حيث عقدت القمة الامريكية و السوفيتية فى مياه المتوسط بالتناوب على ظهر الطرادتين الأمريكية " بلنكات " و السوفيتية " سلافاً " . . . .

.. . وعاد غورباشوف ليواجه نتائج البروسترويكا الداخلية مع انتفاضات القوميات السوفيتية بدءاً بدول البلطيق الثلاث ... [3] ولم يستطع تطبيق مفهوم التجديد

---

(١) ١ ديسمبر ١٩٨٩م

(٢) ٢.٣ ديسمبر ١٩٨٩م

(٣) ليتوانيا، استونيا، لاتفيا... دخلت الصراع باعلان الاستقلال و ومعركة الغاء الاستقلال قرارات غورباتشوف ..

" ما حدث في مايو ١٩٦٩م انقلاب عسكرى وليس ثورة وان الفئة التى تسلمت السلطة في مايو عاجزة بحكم تكوينها الطبقى والفكرى ان تحقق الشعارات التقدمية التى رفعتها كواجهة لدعم الانقلاب .. " [1] علما بأن القائل هو أحد واضعى الميثاق الوطنى . . .

ولم يكن من المستغرب أن يعامل كل من مايو و الشيوعيين رفيق دربه بقسوة و غلظة و لؤم فقد كان الشيوعيون يشفقون على مايو عطفاً و يبطنون لها شراً ... و بالمثل كان النميرى يعلن لهم مـا لا يضمر . . . . . . إذا . . . .

ما حيلة الرّامى اذا انقطع الوتر . . . . . .

" لم تعد الشيوعية هاجساً فكرياً لمن يتسلح ضدها ثقافياً فقد تراجعت عنها الصين كثيراً ، ولم يعد الوخز بالأبر الصينية يعانى من منافسة تعاليم الرئيس ماو الشيوعية فى اجراء العمليات الجراحيـة ... و فى شرق أوربا وبوصول الأحزاب الشيوعية للسلطة بواسطة الجيش الأحمر الروسى متعقباً الجيوش النازية المنهزمة ، سيطرت الشيوعية على اقطار أوربا الشرقية ... وتكونت أحزاب الديمقراطية الشعبية بمساعدة الإتحاد السوفيتى . . . و التى حولت شعوبها بالرغم من معاناتها و مقاساتها لآلات تعمل لصالح الدولة بينما تعيش القيادات بين الرفاهية و ناعم الملبس و المأكل و المشرب .. و نظر الشعب للعالم الغربى مقارناً وضعه الإقتصادى فانقلب بصرهم مقتنعين بأن اشتراكيتهم لن تحقق المساواة المرجوة و لا الرخاء الاقتصادى الموعود ... فهبت رياح التغيير العملية لبروستريكا غورباشوف و انهارت دكتاتوريات المجر وبلغاريا و تشيكوسلوفاكيا و رومانيا ، و عاد الاسكندر دوبشك لبراغ بطلاً ... و فى عيد الميلاد فتحت بوابة براندنبرج التاريخية الواقعة فى سور برلين كبداية لعهد ألمانى جديد ... وفى عاصمة الشيوعية موسكو و بعد تجربة سبعين عاماً اثبتت الشيوعية انها فكرة بعيدة عن الكمال المطلق ، لأنها تحمل ضعف و قصور العقل البشرى وجهل الإنسان ... فقد كان من نتائجها ضعف الإنتاج ، لتدخل الدولة المباشر فيه .... مما اضطر السوفيت لاستيراد الغذاء و القمح [2] من أمريكا الرأسمالية . و صحب ضعف الانتاج الصرف المستمر على النظرية و مساعدات الاحزاب الشيوعية فى العالم مما أنهك الإقتصاد كثيراً . . .

---

(١) محمد ابراهيم نقد - جريدة الأسبوع ١٩٨٧/٦/٢٥م .

(٢) فى شتاء ١٩٩٠ قدمت أمريكا و أوربا الغذاء اغاثة و عونا للسوفيت و خاصة القمح و اللحوم . . .

الحرف و الكلم و لكن بمعنى آخر . . . . . .

" أنما هو الاشفاق كل الإشفاق .. ان يعيش أبناؤنا و بناتنا مستقبلهم تحت سيطرة و احكام الطغاة و الدجالين أمثال القيصر الروسى و قديسه راسبوتين .. أمثال جعفر نميرى و أمثاله من الأخوان المسلمين . " [١]

" إن الذين مارسوا العزّل السياسى و صادروا الديمقراطية يجب ان لا تتاح لهم " حرية " و المقصود بهذا ليس تقييد الحرية .. و انما حمايتها من أولئك الذين أيدوا حكم الفرد المطلق .. و هذا بالضرورة واجب لحماية الديمقراطية و الذين و أدوا الديمقراطية " [٢]

" ان تجربة ٢٢ عاماً من الحكم العسكرى فيها عظة و عبرة للمدنيين والعسكريين على حد سواء لأن السودان هو مقبرة للانقلابات و الإنقلابيين [٣] ..

" تعاون الحزب الشيوعى و عدد من قوى اليسار مع النظام الجديد (مايو) و ساندوه ولكن كان لكل هذا ظروفه ، فقد حدث الإنقلاب فى وقت كان فيه الصراع قد إشتد بين اليمين و اليسار ، وكان من العبط فى تلك الظروف ان يعادى اليسار الإنقلاب و يرفضه .. لهذا فقد تعاون الحزب الشيوعى مع الإنقلاب لكنه كان تعاوناً مشروطاً بإن يحافظ الحزب على أستقلاله و على تنظيمه و ان ينتقد ما يراه خاطئاً " [٤] ثم إن . . .

" موقفنا يتمايز عن موقف السدنة و بقايا مايو .. ومن جانب آخر يرتكز تمايز موقفنا على نقدنا الذاتى للتساهل تجاه الأوامر الجمهورية التى أصدرتها سلطة مايو الانقلابية في أيامها الأولى بحجة حماية الثورة و تطبيق الاشتراكية .. فلم نكشف للجماهير زيف و رياء ذلك الإدعاء ، و ان هدف تلك الأوامر مصادرة الحقوق الأساسية و الحريات الديمقراطية و تهميش دور الحركة الشعبية [٥] . .

---

(١) الميدان العدد ٢ يوليو ١٩٨٥م - الرشيد نايل .

(٢) جريدة الأيام ١٤٠٥/٩/٩ هـ محمد ابراهيم نقد (ولنهيىء المناخ الديمقراطى) .

(٣) الميدان العدد ١٤٤٨ - ١٩٨٧/١٢/٢٣م .

(٤) التجانى الطيب - الصحافة ١٩٨٥/٥/٥م

(٥) الميدان ٨٧/٣/١٩ - مذكرة الحزب الشيوعى حول التعديلات الدستورية . . .

و علموا جهرا أن تطويع العسكر لإرادتهم هدف أبعد من بيض الأنوق ... عندئذ أصدر الحزب الشيوعى صريح بيانه ضد سلطة مايو داعياً لأسقاطها واحلال سلطة الجبهة الوطنية الديمقراطية محلها ... و بداوا يدبرون أمرهم بليل حتى بداية الإنقلاب الشيوعى الدموى فى ١٩٧١/٧/١٩م ... و كانت مجازر بيت الضيافة ... و إعتقال النميرى بالقصر ... وهو لا يدرى أن عبد الخالق محجوب مختبىء بالقصر منذ مدة ، بمساعدة و تمهيد قائد الحرس الجمهورى الرائد عثمان حاج حسين أبو شيبة ... ولكن سرعان ما أخمدت مايو [١] هتافهم (كل السلطة فى يد الجبهة) و علموا إنه . . . . .

(**ما كل بارقة تجود بمائها** ..) . . . .

ووجد أصحاب فكرة التأميم و تصفية الخصوم ، انه قد أبعدت فكرة التأميم و طبقت الثورة تصفية الخصوم فيهم .. باعدام قيادتهم المدنية والعسكرية بعد محاكم الشجرة الشهيرة ... و هكذا أستمر نزيف فقد القيادات طرداً وموتاً ... فقد بدأ الحزب طرد القيادات منذ الأربعينات بابعاد عوض عبد الرازق عن القيادة ، ثم معاوية ابراهيم سورج و أحمد سليمان ورفاقهما فى السبعينات .. و هكذا فقد الحزب أوائل قياديه ، و صحب بعضهم موكب مايو حادياً و رائداً و احكمت السلطة المايوية قبضتها على كل الجبهة وسارت قوافل التأييد لمايو بدونهم و بغيرهم ، و بعدوا عن قيادة النقابات العمالية والمهنية ... وشاء القدر أن توصى نقابات العمال بعد أن ذهبوا وذهبت مايو.. .

" إنّ الشفيع خائن و عميل ، وقد أتخذ الحركة العمالية كأداة لضرب الديمقراطية فى ١٩٦٩/١/٢٥م." . . . [٢]

و ينعقد المؤتمر القومى التأسيسى للإتحاد الاشتراكى السودانى فى ١٩٧٢/١/٢م ليجيز فلسفة الثورة و خططها بتقديم و إجازة ميثاق العمل الوطنى ... و تُوّجَ النميرى رئيساً بنسبة ٩٩.٩٪ للولاية الأولى ، كيف لا وقد تغير الهتافون و جاءوا بسحر جديد . . .

و تدور الأيام و بالرغم من تبدل أنغام الفكر المايوى و تبدل أماكن واتجاهات مؤيدية ، يظل الشيوعيون و اليساريون فى عرف مايو بعض أعداء الشعب و من أكبر المعوقين لعجلة التنمية فى سودان مايو . .

وتفرقوا ولم يخرجهم من مخابئهم إلا رجب ... وجاء نفس الأشخاص لمنابر

---

(١) دبر الاسلاميون مقاومة الانقلاب الشيوعى و تزامنت مع الإنقلاب المضاد لصالح مايو. . . .

(٢) الاجتماع الطارىء لنقابة العمال مايو ١٩٨٥م . .

داخل اطار دولة الحزب الواحد عندما اسقط مجلس نواب الشعب السوفيتي البند السادس من الدستور .[1] ... ويبقى أمامه العمل على منافسة الغرب الإقتصادية وبلوغ مستوى ازدهاره التقني ومعضلة توفير الغذاء والسلع الاستهلاكية . . .

(بئس العوضُ من جمَل قيْدهُ) . . . .

أم تكتفي البروسترويكا بادخال مفهوم "الإصلاح " للقاموس اللغوى السياسي العالمي، وذلك أقرب ، لأن سياسة الترميم لاتصلح انهيار بنى اجتماعية سياسية غفلت السنين عن خطأ قاعدة التنظير ... ولابد من اتساع ثقب الجدار الحديدى الشيوعي وسيأتي تيار التغيير ليلحقه بجدار برلين رغماً عن التركيز على تبديل سلطة الحزب برئاسة الدولة ، كما اقترح اندرية ساخاروف لمجلس السوفيت الأعلى بضرورة تفويض سلطات تنفيذية لرئيس الدولة مما يجعل الرئاسة التفيذية محوراً جديداً للتحول السياسي في الاتحاد السوفيتي ... ويبدأ منبع النظرية الماركسية البحث عن التغيير شاخصاً للغرب الرأسمالي ، تاركا سراب الأمل [2] وعزة الإثم لشعوب أضلوها ولم تزل حائرة متخلفة جاهلة تبحث عن ظل الاشتراكية الماركسية ونعيمها بين ظلال الأدغال والاحراش ، . . . .

وتجرى محاولاتها الانقلابية العسكرية للوصول للسلطة... [3] بينما آوى الإتحاد السوفيتي الى فراشه متعباً بعد أن أرهقته سياسة تصدير الثورة ، واكوام هموم الميزانية و الأسعار . . و استبان الاتباع حقيقة النظرية الشيوعية عندما عوى الدب السوفيتي وهو يتضور و يتلوى جوعاً يترقب من يطعمه من وراء الحدود . . . .

---

(١) يمنح الحزب الشيوعي حق احتكار العمل السياسي. ..

(٣) يحوى بيان محاولة انقلاب ٢٧ رمضان ١٤١٠هـ (ثورة الخلاص) ...

(أ) الغاء قوانين الشريعة اعادة العمل بقوانين ١٩٧٤م.

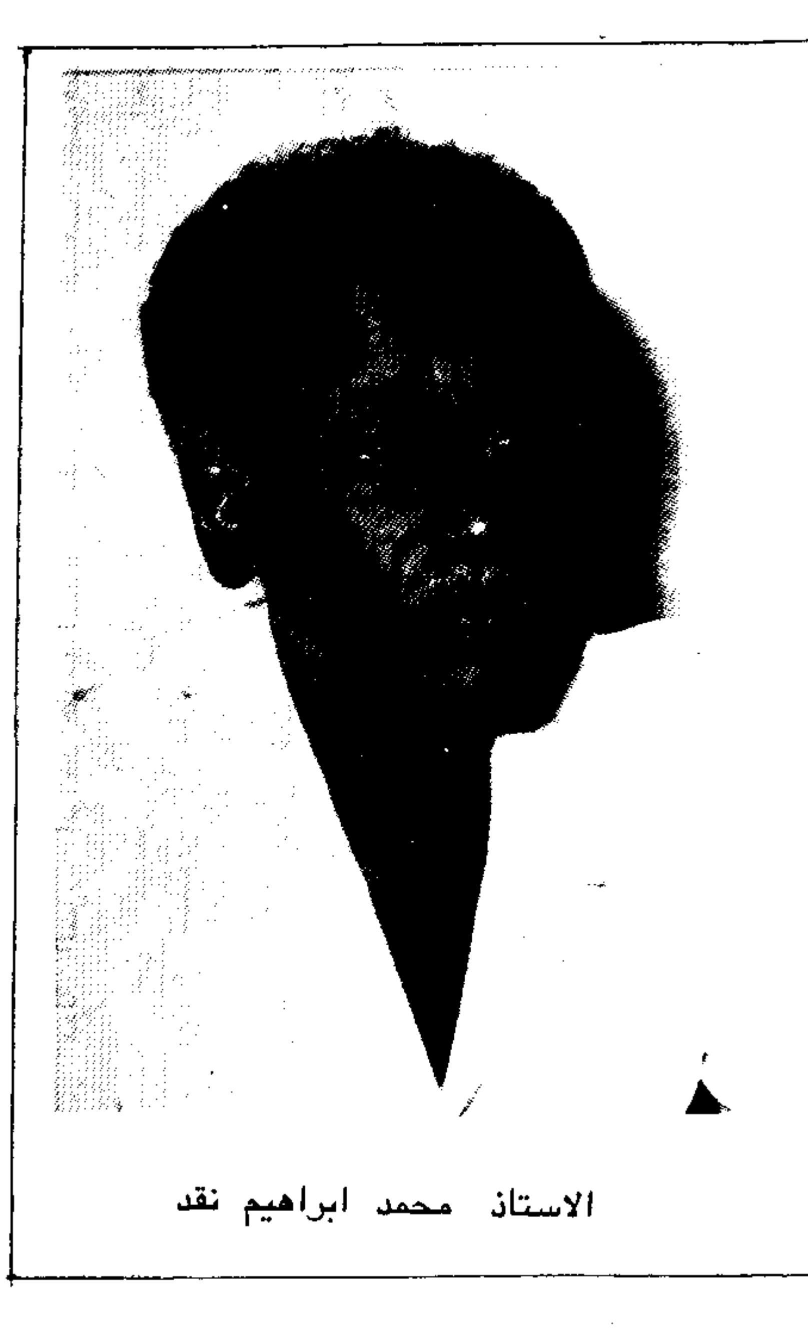
(ب) اشراك حركة التمرد في الحكم واستيعاب قواتها في القوات المسلحة ...

(ج) سلطة تنفيذية علمانية بتكوين مجلس وزراء برئاسة بروفسير محمد ابراهيم خليل ومن وزرائه بشير محمد سعيد (صحفي) وعبد الوهاب بوب المحامي (قانوني) ...

(٣) وقع الحزب الشيوعي وكتائب اليسار على ميثاق مارس ١٩٩٠ القاهرة (ميثاق التجمع الديمقراطي المعارض لحكومة الانقاذ) ... وتورطوا في المحاولة الانقلابية الأولى السابقة لتوقيع الميثاق (أمه وحزب شيوعي)، وحملوا وزر المحاولة الثانية والتي اعدم فيها ٢٨ ضابطاً (بالخدمة والمعاش) رمياً بالرصاص بعد محاكمتهم ميدانياً في أواخر رمضان ١٤١٠هـ (الختمية والاتحاد الديمقراطي ، الشيوعيون ، البعثيون والناصريون .. و حركة التمرد) . . .



الاستاذ عبد الخالق محجوب



الاستاذ محمد ابراهيم نقد

(ز) الجمهوريون

حصان طروادة ، ومركب الإنقاذ

..... ظن الجمهوريون أن تحقيق حلمهم السياسى وفكرتهم المحمودية الجمهورية يبدأ بمشوار مايو...

" واصبح الناس فى ٢٥ مايو وقد تسلم الجيش السلطة واسقط فى يد الطائفية المتآمرة ، وكان هذا بمثابة إنقاذ يشبه ما جرى .... فى صبيحة ١٧نوفمبر ١٩٥٨م كما سبق ان بينا، ولقد جاء تقويم الجمهوريين لثورة مايو عندئذ " بأنها حالت بين الطائفية وبين الإستئثار بالسلطة وفرض استغلالها للشعب باسم الدستور الإسلامي المزيف "، ولايزال الخطر الطائفى مستترا رغم ما اصاب تنظيم الطائفية من ضربات..

ولقد اعتبر الجمهوريون ثورة مايو طرفا منهم حيث التقت خطاها مع خطاهم ، فقد ناهض الجمهوريون الطائفية منذ نشوء فكرهم ، ودعوا الى اللامركزية و الحكم الإقليمى منذ الخمسينات ، وكانوا يرون ضرورة التركيز على التنمية الإقتصادية وكل أولئك اسهمت فى انجازها ثورة مايو و بجهد مثمر

ومن هنا جاء تأييد الجمهوريون لثورة مايو ، وقد دافعوا عنها فى ساعات الشدة بصدق واخلاص ووعى ."....[١]

وحل الجمهوريون حزبهم تأييدا واعترافا بقرارت مايو...

" نحن ومايو على طريق الثورة المرتقبة .. ونحن الجمهوريون قد سعدنا بمايو وقررنا تأييدها "....[٢]

" بعيد ٦٩/٥/٢٥ قرر الجمهوريون حل الحزب الجمهورى التزاما بقرار السلطة الجديدة التى جاءت فى ساعة الصفر والبلاد على شفا الهاوية وقد بلغ الدّجل السياسى باسم الدين ذروته ." .... [٣]

وكانوا يستأثرون بقرب مايو ، ويعملون على إبعاد اعدائهم السلفيين ويرون فى المصالحة خطورة على الثورة لأنها تمكن معارضى فكرتهم وسيفقدون

---

(١) موجز تاريخ الحركة الجمهورية ، اعداد عبداللطيف عمر، (رفيق محاكمة محمود واعلن توبته)

(٢) الطائفية تتآمر على الشعب -الجمهوريون سبتمبر ١٩٧٥م **(٣)الطائفية تتآمر على الشعب-ص ١٠

الإنفراد بحرية الحركة والدعوة التى أتاحتها مايو لهم ...

واصدروا كتاباً يعارض لجنة مراجعة القوانين لتتماشى مع الشريعة الإسلامية ..." لجنة مراجعة القوانين لن تفلح إلا فى خلق بلبلة." ..

وتحدثوا عن كتاب نميرى " النهج الاسلامى لماذا " ووجدوا فيه ضالتهم الفكرية لاحتواء السلطة .....

" إن النهج الإسلامى عند نميرى إنما يختلف اختلافاً أساسياً وجوهرياً عن الفهم الدينى السلفى والذى يمثله الدعاة الاسلاميون كالصادق المهدى وحسن الترابى والمؤسسات الدينية كالجامعة الاسلامية والشئون الدينية والقضاء الشرعى ...

كتاب نميرى لم يجىء لتحول فجائى فى خط مايو أو كتطور معزول عن مواثيق وانجازات مايو إنما هو فى الحقيقة اطار عام لفهم دينى متقدم اتجهت مايو منذ قيامها فضمنته مواثيقها وانجزت على طريقه شتى الانجازات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وكان نميرى يعبر عن هذا الإطار العام للفهم الدينى المتقدم فى العديد من خطاباته ..." (١)

" كتاب نميرى انما يقدم اطاراً عالياً للبعث الاسلامى يختلف أساسياً وجوهرياً عن الفهم الدينى السلفى السائد ، فنميرى يصف حال المسلمين المعاصر بأنه أقرب الى الجاهلية فيدعو الى التربية التى تبدأ قبل القانون وتصحبه وتستعين به ، والى تجديد الدين بحيث يستوعب القانون المتغيرات المتطورة ولايتجمد عند النصوص ، ويرى ان تبدأ الدعوة الى الاسلام كما بدأت أول مرة بالاقناع لا بالاكراه ، ويرتضى الأساليب الفقهية الوعظية فى الدعوة الإسلامية ويدعو الى مواجهة الفكر بالفكر ، والى قيام مجتمع اسلامى موحد لاتفرقة دينية أوجنسية فيه ويرفض النظام الرأسمالى ويتجه لإستلهام كل ذلك من روح الإسلام ...

ويقابل هذا الإطار العام للنهج الاسلامى فى الجانب الآخر ، الفهم الدينى السلفى كما يمثله الدعاة الاسلاميون كالصادق المهدى والترابى وكما تمثله

---

(١) نميرى والنهج الاسلامى والدعاة السلفيون ص ١٣.

المؤسسات السلفية كالجامعة اللاسلامية والقضاء الشرعى والشئون الدينية ، وهو فهم يتعجل تطبيق احكام الشريعة بغير أدنى اهتمام بمسالة البعث الإسلامى الذى يتوفر على التربية والتوعية ، ثم هو فهم يتجمد عند النصوص ويأخذ بصورة مشوهة شريعة الجهاد ويقوم على أساليب الارهاب الدينى وبالاساليب الفقهية ويعارض حقوق المرأة والاشتراكية ."...[1]

وكان الجمهوريون لايرون بديلاً لمايو بل ظلوا يصدرون كتبهم تاييداً لكل قانون تصدره ....

" انما يهدى هذا الكتاب مرتين !!![2]

هو أولاً يهدى للشعب السودانى الكريم ..

" وهو ثانياً يهدى لسلطة مايو الموقرة "

" كما نرى ان نظام مايو هو خير عهود الحكم الوطنى على الإطلاق بما انجز سياسياً واقتصادياً وبما ينتظر منه ان ينجز وبخاصة فى مجال التوعية الشعبية . "...[3]

وفجأة يجد الجمهوريون انفسهم امام الشريعة ...وتبدأ بيانات الشك والتبرّؤ ... " ان النظام يتحلل ويحاول الآن الابتعاد بنفسه عنا ونحن مانزال على قبولنا بمبادىء الثورة وأهدافها التى يحاول النظام الانحراف عنها ."

وجاءتهم الطامة الكبرى ببيانهم الذى قدموا به للمحاكمة " ...[4]

لقد ظللنا نؤيد مايو منذ ٢٥/٥/٦٩م و إلى ٢٥/٥//١٩٨٣م مراعاة منا لمصلحة البلاد العليا حيث كانت مايو تحترم هذه المصلحة بانجازاتها فى ابعاد الطائفية عن السلطة وفى الوحدة الوطنية والتنمية واللامركزية ثم اخذت مايو تسير فى الظلام منذ إعلانها قوانين سبتمبر ١٩٨٣ "[5]

---

(١) نميرى والنهج الاسلامى والدعاة السلفيون - الجمهوريون ص ٨٧ -

(٢) كتاب عن قانون الطمانينة (١٩٨٣)

(٣) [illegible]ديل عن مايو (١٩٨٠) ص ٦

(٤) [illegible]/١/١٩٨٥م .

(٥) بيان اللجمهورين ١١/٨/١٩٨٤م

أجار الجمهوريون مايو ودافعوا عنها دفاعاً مستميتاً... ودعوا الشعب لتأييدها فى بياناتهم ....

" ان هذه السلطة في جوهرها وفي ايجابياتها لايعدلها اى نظام حكم سابق ولا نظام حكم لاحق يقوم على الطائفية أويقوم على الشيوعية ... ولذلك فان على شعبنا وفى طليعته العمال والمثقفون ان يعوا هذه الحقيقة .. .فإنهم ان فرطوا فى هذا النظام فسيخلون الطريق لحكم الطائفية لا محال وسيفقدون كل مكتسباتهم فى الحرية وفى فرص الرخاء والتقدم .. وسيجدون انفسهم فى سجن كبير تحصى فيه انفاسهم وتخنق افكارهم بل وتزهق أرواحهم باسم الدين الذى تدعيه الطائفية ويدعيه الأخوان المسلمون وهو منهم براء. "

وخاب أمل الجمهوريين فى مايو وقدمت قيادتهم للمحاكمة تحت المواد .. ٩٦(ط) عقوبات

(نشر و اذاعة بيانات كاذبة ومغرضة بقصد تضليل الرأى العام أو إثارته ضد السلطه) ٩٦ (ك) عقوبات

(حيازة او اعداد أو الإسهام فى اعداد محرر أو مطبوع أو تسجيل يتضمن أخبارا أو بيانات كاذبة أو مغرضة أو مادة تتضمن هجوماً على السلطة أو تحرض على الثورة عليها أو تنظيم أى عمل عدائى ضدها)

١٠٥ (أ) عقوبات

(إثارة المعارضة والمخالفة للقانون أو ضد أمن الدولة أو إنشاء أو تأسيس أو إدارة جمعية أو حزب أو هيئة أو منظمة أو تنظيم سياسى محظور بغرض تفتيت الوحدة الوطنية أو معارضة السلطة .)

٢٠ (أ) من قانون أمن الدولة ١٩٧٣، حيازة منشورات ضد أمن الدولة ..

وتجىء حيثيات الحكم بشأن محمود محمد طه وآخرين [1] ....

" لكل ذلك تقرر المحكمة ادانة جميع المتهمين تحت المادة ٩٦ عقوبات بفقرتيها (ط/ك) وادانتهم ايضاً تحت الموادة ١٠ عقوبات و٢٠ (أ) من قانون

(١) تلاه القاض حسن ابراهيم المهلاوى ، قاض المحكمة الجنائية رقم (٤) أم درمان

أمن الدولة ذلك بناء على المستند المقدم امام المحكمة وبناءً على إعترافاتهم ، وحتى يتعظ غيرهم من أصحاب الدعاوى الهدامة فإن ... المحكمة تحكم عليهم جميعاً بالاعدام شنقاً حتى الموت وان يكون لهم الحق فى التوبة والرجوع عن دعوتهم الى ماقبل تنفيذ الحكم ، وترفع الأوراق لمحكمة الإستئناف للفحص والتأييد ويبقى المتهمون بالسجن ."

وقدمت معها الوثائق التى تحمل أراء مجموعة من المؤسسات الإسلامية والعلماء

حكم محكمة الردة (محكمة الخرطوم الشرعية ١٩٦٨م) ....

وقرار مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر (١٩٧٢م) .....

والمجمع الفقهى الإسلامى - لرابطة العالم الاسلامى (١٩٧٣) ....

وتحدث نميرى مؤيداً العقوبة ، ومحذراً من تدخل بالاتصال به شخصياً لتخفيف عقوبة الإعدام ، ومن تدخل للتاثير علي سير العدالة ..

" لقد عكفت على دراسة هذه القضية ومستنداتها على مدي ٢٧ ساعة متصلة مستعيناً بالله وكتب الفقه والقانون ومستشيراً ومستخيراً ، فلم أجد لمحمود محمد طه وحزبه مخرجاً ، ولاشبهة تدرأ هذا الحكم الجرىء الذى لايجوز لحاكم ان يعفو فيه أويتنازل عنه ولا لشخص ان يشفع فيه ....

ومن تسول له نفسه ان يتدخل فى عمل العدالة فسيكون جزاؤه العقاب المناسب أياً كان شأنه ... فالجميع سواسية امام القانون وكل من حاولوا التأثير فى احكام العدالة عليهم ان يعلموا انهم سيساءلون قانونياً، وهكذا سيحصدون ثمار جبنهم ونفاقهم " ...(١)

ورفض محمود الإستتابة والرجوع عن دعوته "رسالة الاسلام الثانيه" (٢) وتم اعدامه شنقاً بسجن كوبر بحضور جمهور المواطنين واصحاب محكمته ودعوته ،

---

(١) جعفر نميرى ١٤٠٥/٤/٢٨هـ.

(٢) تقوم جدلية الفكرة الجمهورية على :-

(أ) ان آيات القرآن (١) فرعية مدنية قامت عليها الرسالة الأولى ، وفيها عاش المعصوم وحده الرسالة الثانية وبقيت أمته (أبوبكر فما دونه) فى مرتبة الايمان .. (٢) آيات أصول مكية وستقوم عليها الرسالة الثانية ، وبالرغم من ان الرسول (ص) كان رسول الرسالتين الا انه فصل الأولى ←

والذين أعلنوا التوبة والرجوع عن الدعوة ، اطلق صراحهم فيما بعد . . .

واستبان الأتباع ان الكل ملاقٍ ربه مماتاً ... و أن وحدة المصير أقرب فهماً للأذهان من الإحلال ووحدة الوجود ... ولزموا الصمت و غشيهم سكون الدعوة شهوراً ، و ربما فتورها المتوقع دهوراً ....

لكنهم يحاولون . . . .

ولما جاء رجب خرجوا عن صمتهم وتكلموا ببيان مطالبين حكومة الإنتقال .. " الغاء قوانين سبتمبر ١٩٨٣م واعتقال ومحاكمة كل ممن كان مطية لنميرى فى اذلال الشعب وقهر المعارضين وتشويه الإسلام وانتهاك حرمة القضاء والقانون ." ... (١)

وأجمل الثانية والتى يقتضى أمر تفصيلها فهماً جديداً للقران من رسول الرسالة الثانية (هو رجل أتاهـ الفهم عنه فى القرآن ، وأذن له فى الكلام] والذى سيأتى فى أوانه ...

(ب) و فردية ارتقاء السلم السباعى المؤدى للرسالة الثانية (الاسلام الأول ، الايمان ، الاحسان ، علم اليقين ، علم عين اليقين ، علم حق اليقين ثم الاسلام الأخير) وعلى المرتقى ان يقلد المعصوم فى عباداته وماتيسر من اسلوب عاداته ، حتى اذا ما اتقن التقليد يصل مرحلة سقوط التقليد ويقف عند (الأصالة) متاسياً بحال المعصوم وهنا يقف الفرد على الأعتاب ويخاطب بغير حجاب لوصوله مقام الشرائع الفردية ، حيث " قل " تعنى " كن " فى الآية . . " قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون " .

(١) بيان الجمهوريين ١٤٠٥/٨/١هـ . . .



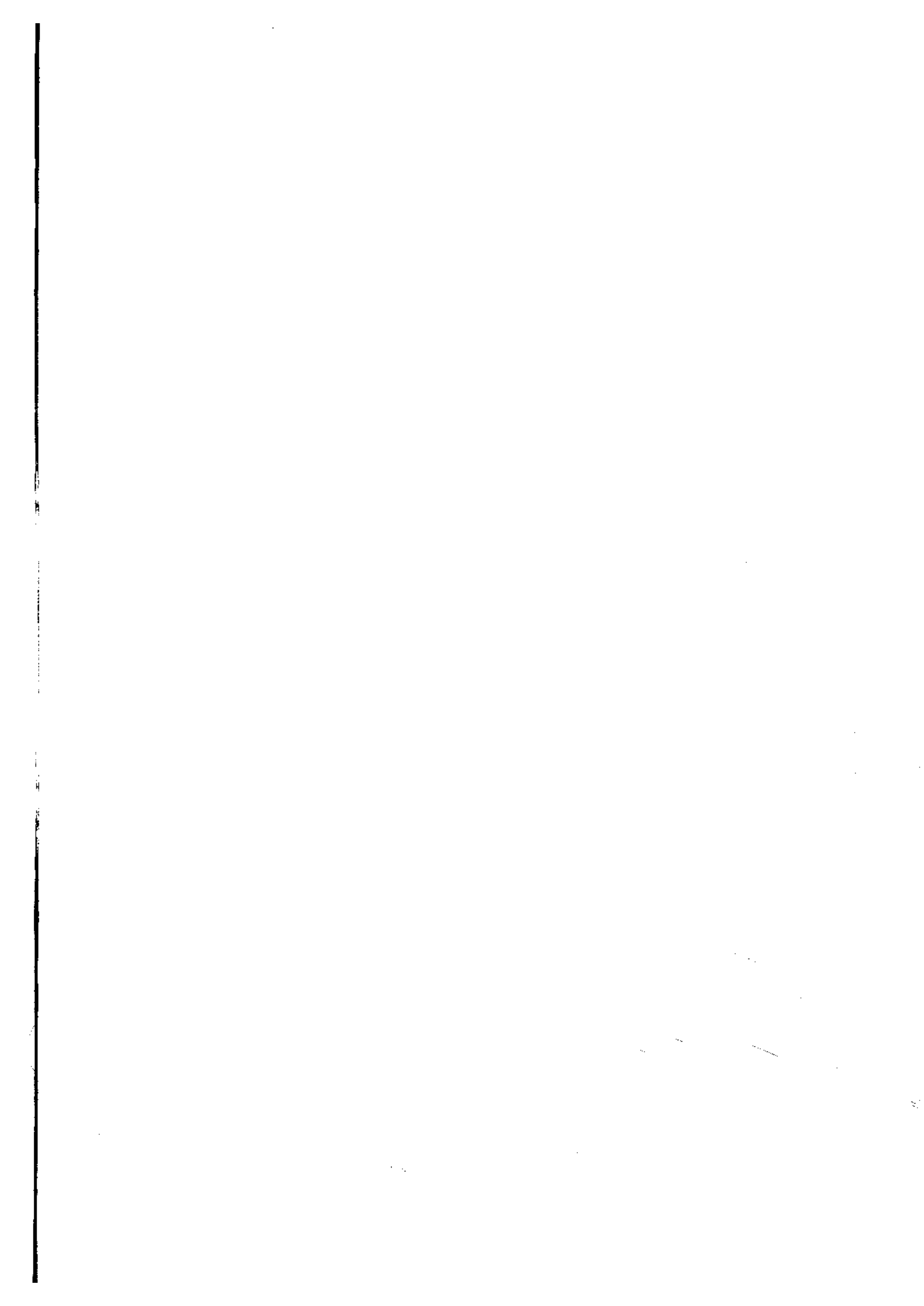
الاستاذ محمود محمد طه

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري

" اقرأ فى غير خضوع . . . وفكر فى غير غرور . . . واقتنع فى غير تعصب . . . . وحين تكون لك كلمة واجه الدنيا بكلمتك "
. . .

خالد محمد خالد

إخـراج إلكتروني : ابوبكر خيري



(الباب الرابع)

قوات الشعب المسلحة

شاركت القوات المسلحة الحركة الوطنية لثورة ١٩٢٤ - ثورة اللواء الأبيض - فى قيادة الكفاح والثورة ضد المستعمر ، وساهمت معها فى تقديم أول مذكرة تطالب باستقلال السودان ...

ثم تأسست قوة دفاع السودان من وحدات متطوعة بعد أن سحبت القوات المصرية من السودان ....

وبدأت تساهم فى القيادة الوطنية بتولى الفريق أحمد محمد قيادة الجيش . (قوة دفاع السودان) بعد سودنة الجيش وفق مانصت عليه اتفاقية تقرير المصير بين مصر وانجلترا عام ١٩٥٣ م . وشاركت فى الفترة الاستقلالية وحتى رفع العلم السودانى (رمز الاستقلال) ١٩٥٦ م . . . بخلق الجو العام لتقديم مذكرات وبيانات هيئة النواب البرلمانيين للوقوف مع استقلال السودان . .

وشاركت فى حكم البلاد التشريعى والتنفيذى فى نوفمبر ١٩٥٨م " الحكم العسكرى بقيادة ابراهيم عبود " حتى اكتوبر ١٩٦٤ م .. وشاركت فى ثورة اكتوبر بمحاصرة الضباط الأحرار للقصر الجمهورى حتى تكوين حكومة اكتوبر الانتقالية . . .

وجاءت بمايو وجعفر نميرى للحكم فى ٢٥ مايو ١٩٦٩م ، وهى الفترة التى كثر فيها دخول رجالات الجيش الأنظمة السياسية الحاكمة . . وبدأت قيادات الجيش تشارك على قمة الاتحاد الاشتراكى السودانى وتدلى ببياناتها السياسية فى دفع النظام وتأييده ، بالرغم من محاولاته خلع الصفة العسكرية عن نفسه ، ولبسه مظهر الرئاسة الجمهورية والزعامة الدينية ودور المفكر والزعيم ...

" اننا سوف نظل أبداً الدافعين للمسيرة على الطريق القويم مع فصائل شعبنا ، لنصنع النصر لوطننا ، ونصون الوحدة الوطنية ونسعى الى ترسيخها ودعمها مؤكدين وقوفنا إلى جانب كل عمل وطنى يهدف الى رفعة

الوطن وتقدمه ورخائه تحت قيادة السيد الرئيس القائد جعفر نميرى الأمنية . " [1]

" ثورة مايو تمثل التطلع الوطنى الأصيل نحو التقدم والاستقرار ودعم الاستقلال والوحدة .. " [2] ...

" ورغم ايماننا ان توصيتنا لاتعادل ، ما قدم من جهد ولا تساوى ما أعطى لشعب ولا تناسب ما بذل لجيش وماضحى به لأمة ، ولكنها قد تكون دليلاً واعزازاً وتقديراً وعرفاناً لكل ما قدم وما سيقدم . " [3] . . . وبالرغم من ان الأمر يتعلق برتبة عسكرية يجب أن تكون أمر داخلى للجيش وقوانينه واحكام الترقية فيه ، الا إن لمنظمات مايو يداً فيها . . .

" وجدت التوصية استجابة فورية من الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب والتنظيمات السياسية والجماهيرية والثورية . " .[4] . .

وكثيراً ماكانت قيادة الجيش هى نفس قيادة التنظيم السياسى مما جعلها مدركة لأفعال رئيس النظام و شطحاته ، و كثيراً ما لزمت الصمت ... فقد ذكر نميرى يوماً امام المكتب السياسى للإتحاد الاشتراكى [5] انه لن يتنازل عن البرنامج الأساسى الإقتصادى الذى طرحه فى ديسمبر ٨١ م وقال

" سيكون هنالك ارتفاع فى سعر السكر والدقيق والمواد البترولية خلال الأشهر الثمانية عشر المقبلة .. وهناك زيادات ستأتى فى المواد البترولية وفى كل شىء . و أرجو ان يستمر الإجتماع برئاسة الفريق أول عبد الماجد حامد خليل لمناقشة هذه المسائل بوضوح وصراحة واتخاذ ماترونه من قرارات فيما إذا كان البرنامج الذى طرحته صالحاً أم لا ... أو طلب تغيير الثورة والمنظمات ، أو حتى مطالبتى بأن اقدم استقالتى ، وانه على العكس لو طلبتم منى العودة للجيش برتبة أقل فانه يمكننى ان أعمل فى الجيش ." . . . .

ويستمر الاجتماع ويؤيد البرنامج ، ويقبل الرئيس . . .

" ان تاييد الاجتماع لبرنامج الانعاش الاقتصادى والتزامه بتنفيذه إنما هو اهم ضمانات نجاح هذا البرنامج وتحقيق اهدافه ، وسأظل فى موقعى

---

(١) بشير محمد على ، بمناسبة العيد السادس للجمهورية (سونا) .

(٢) االفريق محمد عثمان هاشم رئيس هيئة الأركان ٧٨/١/١ (سونا)

(٣) عبد الماجد حامد خليل رئيس هيئة الأركان ، ورئيس مؤتمر القادة والأركان المنعقد ١٩٧٩/٨ م ، والذى وصى بترقية نميرى لرتبة المشير . . .

(٤) الصحافة ١٩٧٩/٥/٢٤م .

(٥) الشرق الأوسط ١٩٨٢/١/١٩م

للتصدى للمؤامرات على السودان . " . . .[1]

وعندما أعفى أبو القاسم محمد ابراهيم من الاتحاد الاشتراكى اجتمع نميرى بالعسكريين فى القيادة العامة وطلب منهم ان يختاروا واحداً من (ابو القاسم محمد ابراهيم ، خالد حسن عباس عمر محمد الطيب) ليحكم السودان[2] .. .وهنا وقف عبد الماجد حامد خليل وزير الدفاع ، وأكد لنميرى امام القيادة العسكرية قائلاً . . .

" ان الجيش سيظل خلف الرئيس جواً وبحراً وبراً ، وله مطلق الحرية لأن يقوم بالتطهير الكامل فى الجهاز السياسى والتنفيذى والعسكرى . "

وعندما أعفى النائب الأول لرئيس الجمهورية [3] والقائد العام والأمين العام للإتحاد الاشتراكى وبعض ضباط الجيش سألته سونا [4] . . .

فى المؤتمر الصحفى المشترك باسوان قلت ان التغيير جاء فى اطار حركة طبيعية و عادية للتغيير ، المطلوب المزيد من التوضيح ؟ ! . . . .

" نميرى ... أولاً فيما يتعلق بالنائب الأول السابق و المناصب التى أعفى منها فالأمر بالفعل قد يحتاج الى بعض التوضيح . فإعفائه من منصبه كأمين عام للإتحاد الاشتراكى انما جاء فى إطار ... تنفيذ توصيات مؤتمر القيادة السياسية والتنفيذية والذى تولى هو رئاسته وتبنى بالطبع توصياته ، ومنها إعادة النظر فى رئاسة التنظيم السياسى والأمانه العامة بما فى ذلك منصب الأمين العام .. وفيما يتعلق باعفائه من منصبه كوزير للدفاع والقائد العام فأن ذلك جاء فى إطار التصور العام للمرحلة الجديدة والتى تتطلب عطاءً جديداً من القوات النظامية وخصوصاً قــوات الشعب المسلحة ، وذلك بالرغم مما أشهد بـه للأخ الصديق عبد الماجد حامد خليل من كفاءة ومقدرة مكنته من ان يؤدى واجبه فى المرحلة السابقة باقتدار واخلاص وتفانى مما استوجب تقديرى والذى عبرت لـه عنه فى نفس اللحظة التى اعفيته فيها من منصبه كنائب أول لرئيس الجمهورية " . . .

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٨٢/١/٢٥م (سونا)

(٢) الحوادث ١٩٧٩/٩/٧ م

(٣) عبد الماجد حامد خليل .

(٤) سونا ١٩٨٢/١/٢٨ م

وفى أواخر العهد المايوى بالاضافة إلى اطاعة الاوامر ربط بين نميرى والقوات المسلحة يمين الولاء والبيعة التى أخذها عليها بعد إمامته . . .

" ان قوات الشعب المسلحة والتى بايعت الرئيسى القائد على الشريعة الاسلامية وعلى الدفاع عن الوطن ستبقى على المدى حفيظة لتراب الوطن متماسكة الصفوف خلف السيد الرئيس القائد جعفر محمد نميرى ولن تسمح لأى فرد مهما كان بان يخترق صفوفها . " . . .(١)

ولقى الجيش قرار مايو باستبدال معاشات الجيش برضىً تام وارتياح كامل ، كما ان المؤسسة العسكرية ومجمعاتها الاستهلاكية ، كانت توفر لهم الاحتياجات اليومية ، واعتبرهم الشعب بانهم موضع رعاية السلطة ، وان مايو تعمل لتقويتهم لحمايتها ولم يدركوا حقيقة ذلك إلا بعد مواجهات الجيش وقوات التمرد فى الجنوب وظهور ضعف مقدرة الجيش القتالية لضعف استعداده وعدم تجهيزه بالعدة والعتاد والغذاء . . .

" ان السودان يمر بظروف حرجة تتطلب تضافر جهد كل قطاعات المواطنين وخاصة ابناء قوات الشعب المسلحة ، وان مايعانى منه المواطنون من ضيق المعيشة فى الوقت الراهن يرجع فى الأساس الى ظروف خارجة عن إرادة الحكومة والمواطنين ، منها ظروف الطبيعة القاسية وما افرزته من جفاف وتصحر بالاضافة الى افرازات الأزمة الإقتصادية العالمية وتدفق ملايين اللاجئين الى السودان ليقتسموا لقمة العيش مع ابنائه . . . وإن هذه المظاهرات التى تشهدها بعض الأجزاء من العاصمة هذه الأيام ما هى إلا مظاهرات مضللة يقف خلفها بعض العقائديين والعملاء الماجورين الذين يستهدفون ثورة الشعب . " (٢) . . .

وكان نميرى لايعرف مستوى قيادة جيشه كما يزعم (٣) . . .

" لم ينتقدونى . . كنا مرة فى احدى الاجتماعات ومن بين الضباط الاثنين وعشرين كان اكثر من نصفهم اما غائباً أو ملتزماً الصمت . . ومن تلك اللحظة اكتشفت مستوى قيادة الجيش " . . . . .

---

(١) عبد الرحمن سوار الدهب ، وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة (امام ضباط ، صف وجنود الفرقة السابقه المدرعة) سونا ١٩٨٥/٤/٤ م

(٢) سوار الذهب ، وزير الدفاع و القائد العام ١٩٨٥/٤/٥ (سونا) . . . .

(٣) جعفر نميرى - ميدل ايست ٤/١٧/ ١٩٨٢ م .

ولما جاء صبح السادس من ابريل ١٩٨٥م كانت قيادة الجيش و هى المبايعة لنميرى قد خلعت بيعتها وتصدت لقيادة الانتقال . .

" لقد ظلت قوات الشعب المسلحة خلال الأيام الماضية تراقب الموقف الأمنى المتردى فى انحاء الوطن وماوصل إليه من ازمة سياسية بالغة التعقيد .. .

ان قوات الشعب المسلحة حقناً للدماء وحفاظاً على استقلال الوطن ووحدة أراضيه قد قررت بالاجماع ان تقف الى جانب الشعب واختياره ، وان تستجيب الى رغبته فى الاستيلاء على السلطة ونقلها للشعب عبر فترة انتقالية محددة . " . . . [1]

ولما عاثت الاحزاب فساداً فى السلطة ، وفرطت فى اطراف البلاد . وساءت أحوال جيشها بجنوب الوطن وضل بعضهم فى الغابات جائعاً حافياً عارياً ، واخلوا مواقعهم لضعف إمداد الغذاء والدواء والسلاح ، رفعت القوات المسلحة مذكرتها لرأس الدولة توضح حقيقة رأيها فى الحكم [2] ، واتبعتها بمذكرة أخرى . . . [3]

" إن القوات المسلحة تحت قيادة القائد الأعلى للقوات المسلحة لا تفوض مطلقاً مسئولياتها وصلاحياتها المنصوص عليها فى المادة ١٥ من الدستور لأى سلطة سياسية أو أمنية أخرى . " . . .

ووجهت انذارها الأخير لرأس الدولة لتشكيل الوزارة وتجنب البلاد المخاطر . . . وتكونت الوزارة . . . .

ولما جاء ٣٠ يونيو ١٩٨٩ م ، جاءت الإنقاذ بانقلاب اعلن الفترة العسكرية الثالثه لحكم السودان ليكون للمؤسسة العسكرية النصيب الأوفر ، عدد سنين ، فى حكم السودان منذ استقلاله ، ولكنها بمايو الأسوأ مثالاً لحكم السودان . .

ويلاحظ ان حكومات الأحزاب كانت تعمل على تسييس الجيش ولعل القارىء يجد ذلك فعلاً وقولاً فى الأبواب المختلفة والخاصة بكل جماعة منهم فى هذا الكتاب ، ولعل ذلك يرجع الى أنها أقرب السبل لتغيير الحكم . واستلام السلطة فى السودان و فى غيره من الدول النامية ، لاستخدامها القوة فى عملية تبديل الأنظمة . . ولكنها ليست بانجح السبل لاستمراريتها ونجاحها

---

(١) بيان القوات المسلحة صبيحة ١٩٨٥/٤/٦ م . الفريق سوار الذهب وزير الدفاع والقائد العام.

(٢) ٢٠/ فبراير ١٩٨٩م

(٣) ١٩٨٩/٢/٢٧م

فى تحقيق الأهداف الوطنية المرجوة . . .

وبالرغم مما يتطلبه الإنتماء للقوات المسلحة من قومية وانضباط وأمانة واستقامة ، إلا ان بعض أفرادها قد مارس فى الجنوب تجارة الأخشاب ، وسن الفيل وشملت (تجارة الأطواف) نادر الحلى والمعادن وكراتين السجائر ووجد البعض فى الشمال ضالتهم فى المال والاختلاسات [1] ... وذهب البعض لأكثر من استنشاق عائد المتاجرة مع دخان وأبخرة حريق الحرب لبيع عرق رفاقه وعدة جيشه ، حتى درجة الإغاثة والتموين ... كما اغدقت عليهم السلطة واذاقتهم طعم عائد تخصيص العربات والمزارع والأراضى السكنية. . .

وبالرغم مما تحمله مذكرة القوات المسلحة لرأس الدولة [2] فى الديمقراطية الثالثة من شُوفِينِيّة [3] سافرة إلاّ أن ما اظهرته الأحداث يدل على أن القوات المسلحة تعانى من قصور داخلى يتمثل فى أفعال قيادتها السابقة للإنقاذ الوطنى كما لا يخلو الأمر من غفلة وعدم حيطة من القيادة التى خلفتها ... فإن كان فعل " من سبق " يدل على الفساد ويبلغ درجة الخيانة العظمى ، فكيف يسكت " من خلف " ويتساهل ويتسامح فى حقوق الشعب ويغدق عليهم الامتيازات حتى منحها الجوازات الدبلوماسية ... وكيف لا يحق للشعب ان يتساءل : هل أنعدم امثال هؤلاء فى قواته المسلحة ، ومن اين كانت ستأتيه معرفة افعال قادة جيشه المخزية لولا انضمامهم للمعارضة وقوات التمرد ؟ ! ...

يقول اللواء الزبير محمد صالح نائب رئيس مجلسى قيادة الثورة والوزراء فى لقائه بقيادات العمل الصحفى والإعلامى [4] . . . . .

" إن الثورة قد رصدت كل تناقضات القيادة السابقة للقوات المسلحة [5] ...

---

(١) القوات المسلحة ٩ ديسمبر ١٩٩٠م

* حوكم العقيد عبد الرحيم محمد صالح التابع لمعهد المشاة بجبيت بالإعدام و الطرد و التجريد ومصادرة الممتلكات لإختلاسه مبلغ ٤١,١٦٨ مليون جنيه سودانى .

(٢) ٢٠ فبراير ١٩٨٩م

(٣) الغلو فى الوطنية (CHAUVINISM) المغالاة فى التعصب للوطن . .

(٤) الإنقاذ الوطنى الأول من اكتوبر ١٩٩٠م

(٥) فريق معاش فتحى أحمد على (القائد العام) وعبد الرحمن محمد سعيد (نائب رئيس هيئة الأركان للعمليات) والهادى بشرى (مسئول الأمن) اذاعوا بياناً اطلقوا فيه على انفسهم (القيادة الشرعية للقوات المسلحة) . . .

بين ما كانوا يقولونه للضباط و ما كانوا يقولونه للقيادة السياسية للأحزاب انذاك ... و اننا نملك وثائق و مستندات دامغة تفضح فساد تلك القيادة وضعفها ... و إن هذه القيادة قد فشلت عندما كانت في السلطة فى تغيير النظام الحزبى المنهار ، و هى نفسها التى أجهضت مذكرة القوات المسلحة فى فبراير ١٩٨٩م" ......

كما جاء فى جريدة القوات المسلحة [١] .....

القيادة السابقة للقوات المسلحة وراء الإنهيار في مناطق العمليات .... المعلومات تؤكد أن العسكريين فى قيادة الجيش قاموا بتسريب التحركات العسكرية لحركة التمرد ....

" أعلن الفريق عمر حسن أحمد البشير رئيس مجلس قيادة الثورة إنهم فى قيادة الثورة لم يفاجأوا بموقف بعض العسكريين الذين كانوا ضمن قيادة الجيش ذلك إن معلوماتنا المؤكدة تشير الى ان هؤلاء و ضمن مواقعهم فى الجيش فى ذلك الوقت كانوا على إتصال بحركة التمرد ويقومون بتمرير المعلومات الخاصة بالجيش لحركة التمرد . " ......

ولئن اضطرت الظروف السياسية وواجب الإنقاذ القوات المسلحة للتصدى للتغيير ، فعلى القوات المسلحة ان توطد نفسها ، و تحارب شهوة الحكم و لذته ، و ارضاء غرور النفس البشرية من حب للسلطة و الإغترار بسحرها ، و أن ترضى بحسنة التغيير و ادراك مركب السودان الغارق و انقاذه بوضع أسس الدولة ثم الإبتعاد عن السلطة و الحكم ، و الصراعات الإنقلابية و الولاءات السياسية ، و تتفرغ لأداء رسالتها فى حفظ الأمن القومى و الدفاع عن سيادة الوطن وصون وحدته ......

يقول العميد عثمان أحمد حسن عضو مجلس قيادة الثورة و رئيس مؤتمر الحوار الوطنى حول النظام السياسى عن دور القوات المسلحة فى التماسك السياسي فى المجتمع [٢] ....

" ان القوات المسلحة جزء من المجتمع تعايش همومه و تتأثر به . ومهمتها حماية حقوق المواطنين و تحقيق الأهداف و الإنجازات التى أتت من أجلها .... و لكن الضرورة تقتضى ان تكون فى السلطة ... و عندما يتم

---

(١) القوات المسلحة ١٩٩٠/١٠/٧م .

(٢) السودان الحديث ١٩٩٠/٨/٢٦م .

وضع تنظيم سياسي محدد حينها تترك القوات المسلحة أمر الحكم لأبناء الشعب حسب ما يصل إليه من اتفاق لتتصرف لمهامها الأساسية ." ......

وإنها لمهمة صعبة وعسيرة أن تتلازم المشاركة في الحكم والمحافظة على قومية الجيش بعيداً عن التعصب والتخريب[1]... وفي تجربة مايو جاءت القوات المسلحة وساندت وشاركت من اتقن عملية الهدم والتحطيم لبناها العسكرية والوطنية ... وتقف على الجانب المضيء تجربة مجلسها العسكري الإنتقالي بقيادة المشير سوار الذهب برفضه تمديد فترته الإنتقالية ، وسلمّ مقاليد الحكم للأحزاب لتُضيّع رائحة الوفاء بالعهد الذكية وتحولها لفساد نتن

وإنا لندعو الله أن يجعل ما أخفى من مصير لمستقبل الحكم في السودان بعيداً عن الأحزاب التقليدية وقياداتها المنهكة المترهلة الخاسرة ، وأن يهيىء للمواطن السوداني الحر ديمقراطية شورية سودانية أصيلة [2] ، وأن يركز في ذاكرة المؤسسة العسكرية جيداً أن شاه إيران قد فارق عرشه الطاؤوسي الناعم المذهب المحروس طريداً بهتاف وغضب الجماهير بالرغم من أن تقرير [3] لجنة الكونجرس الأمريكي للإشراف على نشاط المخابرات يقول .. ..

" إن الشاه لا يواجه أي مخاطر حقيقية لمدة عشر سنوات على الأقل ، لأنه ليس هنالك من يتحدى الجيش وهو أساس شرعيته " [4] ......

---

(١) الفريق البشير (مؤتمر صحفي ١٩٩١/٤/٣٠م) عقب المؤتمر التأسيسي للنظام السياسي ...... (دور مجلس قيادة الثورة ينتهي بعد قيام النظام السياسي في يوليو ٩٢. وأتمنى للمشاركة فيه ان لا اضطر للدخول في انتخابات) القوات المسلحة ١٩٩١/٥/١م .

(٢) أجاز مؤتمر الحوار القومي حول النظام السياسي (٨/٦ - ١٩٩٠/١٠/٢١م) قاعة الصداقة ، نظام المؤتمرات الشعبية خياراً لحكم السودان ... يكون على قمة هرمه المجلس الوطني (البرلمان الوطني) والذي تصب فيه قمة المؤتمرات الأساسية (المؤتمر الوطني) واللجان الشعبية (مجلس الولايات) والأمانات والمؤتمرات القطاعية على مستوى الولاية والمستوى الوطني بالإضافة الى الدوائر القاعدية ... ووضع ميثاق سياسي هادياً ومرشداً لهذا النظام السياسي ومؤسساً على النظام الفيدرالي والنظام الرئاسي وناصاً على أن الشريعة الإسلامية والعرف مصدران للتشريع ، ومتضمناً لُبّ التوصيات والقرارات للمؤتمرات التخصصية المختلفة التي عقدتها الإنقاذ الوطني منذ ٣٠ يونيو ٨٩م وحتى مؤتمر الحوار القومي حول النظام السياسي ... وهو نظام شبيه بالنظام الجماهيري الليبي ... بالإضافة للدوائر الجغرافيا ذات الانتخاب المباشر ....

(٣) قدم للادارة الامريكية في ١٩٧٨/٩/٢٨م ...

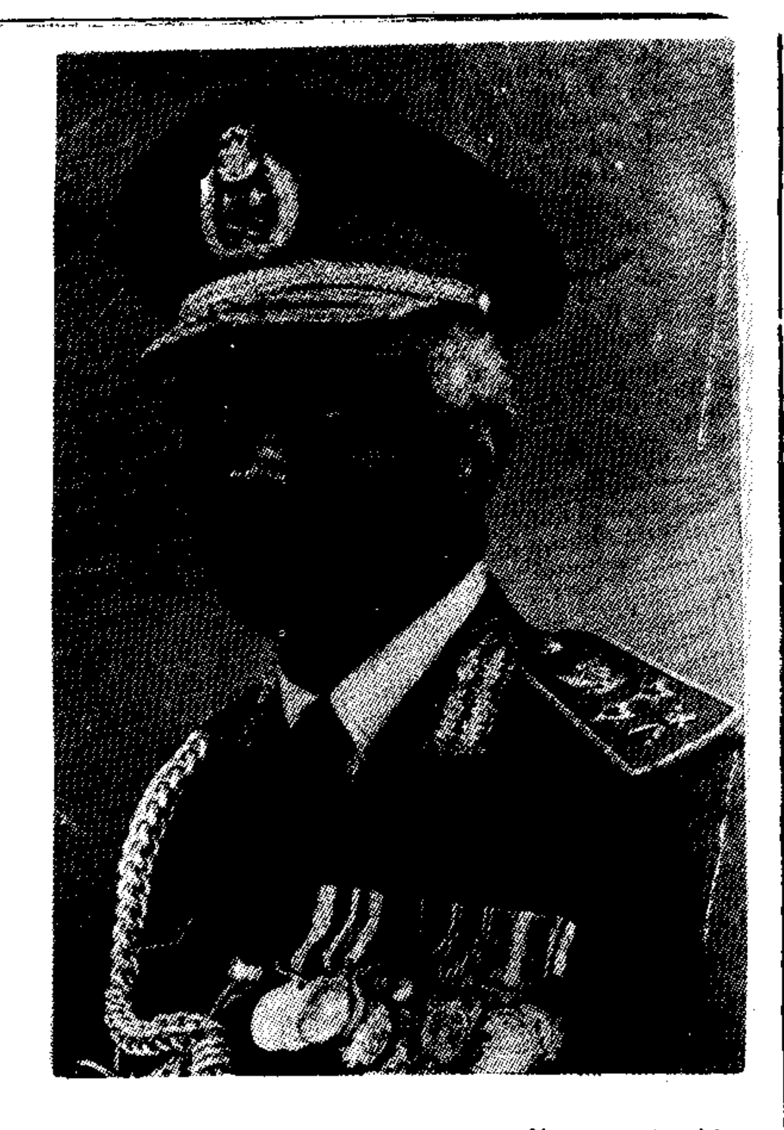
(٤) هيكل - مدافع آيات الله ص ١٩٩ ...



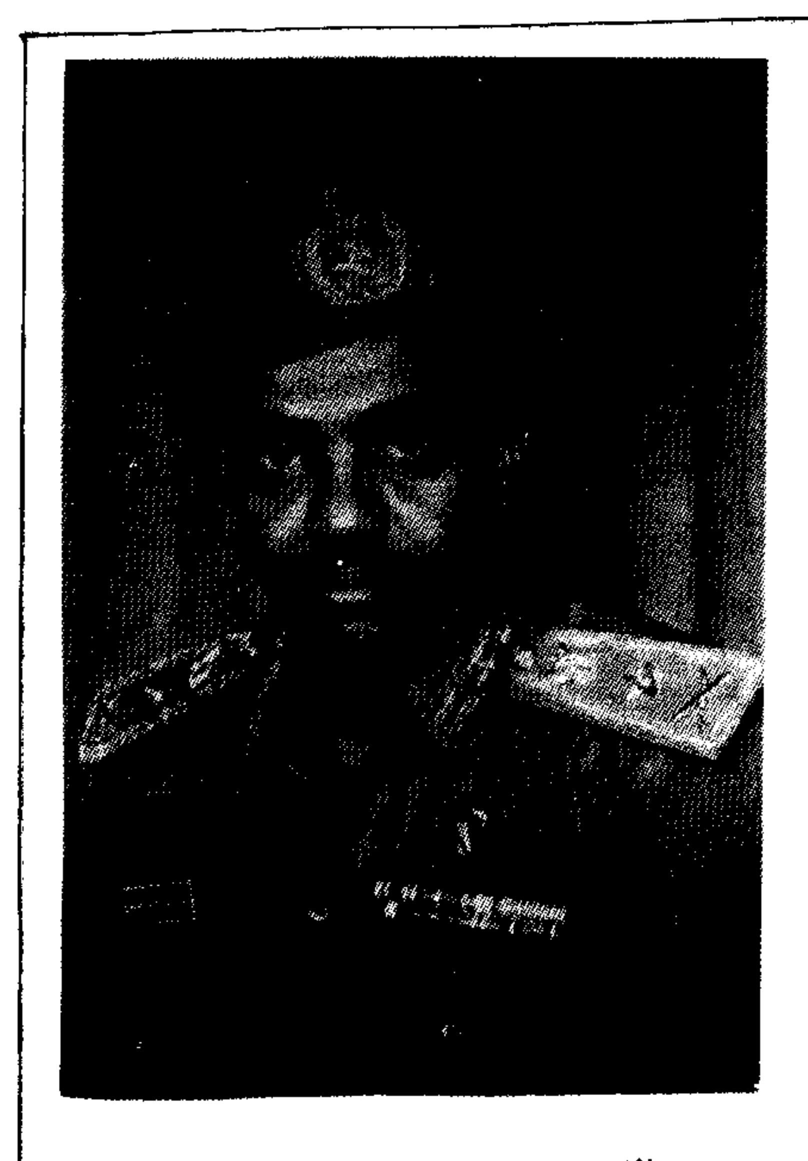
الفريق ابراهيم عبود



المشير جعفر محمد نميرى



المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار



الفريق عمر حسن أحمد البشير

" ان الحاكم إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس ، وتعديد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ، ولا ذوا منه بالكذب والمكر والخديعة ، فتخلقوا بها ، وفسدت بصائرهم واخلاقهم ، وربما خزلوه فى مواطن الحروب والمدافعات ، ففسدت الحماية بفساد النيات . . . فتفسد الدولة ويخرب السياج "

مقدمة

عبد الرحمن بن خلدون



(الباب الخامس)

عشواء مايو وحاطبُ الليّل

الأمارة . . . .

يقول سيدنا عثمان رض الله عنه : . . . .

(إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقران)

ومن أقوال الفاروق رض الله عنه . . . .

" (تفقّهوا قبل أن تسودوا)

وقيل :- " أول العلامات التى تدل على قوة تمييز السلطان وجودة عقله حسن اختياره للوزراء ، وجودة انتقائه للجلساء وحرصه على محادثة العقلاء " . . . وثبت إنه من أول مقومات الأمارة التكليف وان لايوسد الأمر لغير أهله ، لأن من الناس من يطلب الأمارة لنفسه ، ومنهم من يزاحم عليها ، ومنهم من يرشح غيره بغيره كفاءة . . مما يتطلب فى القائد الأمانة والقوة والعلم ، وحكمة بها يستطيع وزن أمور الدولة ووضعها فى موضعها . . . وتمكنه من المتابعة لأن الاختيار الموفق وحده لايكفى . . .

قال سيدنا عمر رض الله عنه :-

" أرأيت ان استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل . . أقضيت ماعلى ؟ قالوا .. نعم ، قال" لا حتىّ انظر فى عمله أعمل بما أمرته أم لا !! " ولابد للرئيس من عقل يقيم به احتمالات الموقف ، أجودها وأحسنها ، وانفعها وابقاها . . . وإن كان مجتهداً فيزمه معرفة عصره والإلمام بمشاكله وتعقيداته . .كما أشترط على المجتهد الاحاطة بعلوم الشرع و " ان يكون المجتهد عدلاً مجتنباً للمعاصى القادحة فى العدالة . " . . . [1]

فقد قيل " الأمور تتشابه وهى مقبلة ولايعرفها إلا ذوو الرأى ، فإذا أدبرت يعرفها الجاهل كما يعرفها العاقل ." . . .

فأين مايو ونميرى من كل ما سبق ؟ ! . . .

جاءت مايو ووجهتها " اليسار " تجمع بين الأروى والنّعام ، ولقيت تأييداً من الشعب الذى كان يتوقعها أن تكون لـه أجدى من الغيث فى أوانـه ،

---

(١) ابو حامد االغزالى - المستصفى .

فوجدوها أجوع من "كلبة حَوْمل" التى قضمت ذنبها وأكلته . . . وبالرغم من أن الشيوعيين قد القموها عسل الكلام وحرص المؤمل، إلا إنها عضت اصبعهم وأدمته، وابعدت رؤوس قادتهم عن اجسادها . . .

ومضت تترطّب جهينة فى كل ركب باحثه عن أبيها . . .

وحسبته فى التفكير المايوىّ الفطير " **الأكثر التصاقاً بالواقع** " كما يقول روادها د. بخيت و د. منصور والأستاذ احمد عبد الحليم فى الثورة ومنهجية التنظيم . . .

وتحدث منافقوها عن الشرعية الثورية والدكتاتورية المستنيرة، والمستبد العادل، وديمقراطية التوجيه . . . .

وشهدت معارك بين اجتهاد التكنوقرات ومبايعة الإمام وحوجة الإمام العالم . . . وفى كل المراحل وبالرغم من أجتهادات كُتّاب الامير وما تلقيه كلماتهم وافكارهم على خطب النميرى مما يجعله يبدو أمام مستمعيه ذكياً حاذقاً وذو مقدرة على التدبير والتعبير .... إلا إنه سرعان ما تعود لَعِثْرها لَمِيْس، عند الإرتجال حيث يكثر زفى الحديث على عواهنه وعندما يتلعثم اللسان عند قراءة من لا يكتب لما لا يدرى، ويكثر الغلط واللقط فى اللغة والكلام، وهو يحاول ان يزيد فى الطُنْبور نغمة، ويقف حائراً لا يملك لحبله شدّاً ولا إرخاءً . . .

و (من إسترعى الذئب ظلم .) . . . .

من اقوال نميرى فى السبعينات . . .

" إن الثورة التى لا يحميها إلا جهاز الامن لا تستحق اسم الثورة[1] " .

" اننى لا ادعى ولا أطلب أن يدعى أحد اننى أملك منهجاً فكرياً هو الذى يحدد خطوات العمل الوطنى فى السودان . . ان العمل الوطنى فى السودان محكوم بإرادة الشعب السودانى / " . . . . [2]

" لا أدعى فكراً ينسب الىّ، ولا أحب ان ينسبه إلىّ أحد، لا أدعى اننى صاحب مدرسة أو اننى صاحب رسالة .. اننى فى البداية والنهاية خادم لهذا الشعب منه اتعلم . . . .

---

(١) نميرى ٢٤/٩/١٩٧٣م

(٢) لقاء المكاشفة ٩/٦/١٩٧٥م

والى تطلعاتـه استجيب و الى اهدافـه اندفع ، وحيث يريد لى سأكـون دائماً
" ولقد ارتضيت الدستور أباً للقوانين بحيث ينبغى ان لا يتعارض و لا تخرج عنه " (١)

يبدو نميرى للقارىء ، فيما ذكر ، بعيداً عن شخصيه فوهرر هتلر ودوتش موسلينى ، و تصرف نابليون و الشاه ووالده عندما وضع كل منهم تاجه بنفسه على رأسه كون انه ليس مديناً بذلك لأحد ... و بعيداً عن غرور السادات فى اجابته عندما سأله الصحفى الأميركى " هل استأذنت ريجان فيما اتخذته من اجراءات ؟ ! "

" لو كنت مصرياً لضربتك بالرصاص . " ... و عندما قدم اقتراحاً بتعيينه خليفة للمسلمين (٢) .... بالرغم من أن النميرى قد ذكر وهو يعيش دموع أحزان موت السادات بانه قد تخرج من مدرسة السادات السياسية ...

ولكن ما أن تداعبه السلطة و تسكره و تعميه بفعل من حوله حتى يضعف ، وهو الذى لم يعرف عنه اعداد نفس تجمع ما بدأنا به قصته من أركان الأمارة وواجبات الأمير ... و لكنه جرىء فى اتخاذ القرار وقوىّ الإرادة مع الطموح و المغامرة ، الشىء الذى مكنه ان يكون ما كان ، ولو أن أبو حيان التوحيدى يستقرىء الزمان لوجد فيه مثالاً لنظرية التناسب العكسى بين الذكاء وقوة الإرادة (٣).. ولو انه كان يتمتع بقوة لاسترجاع المعلومات كبيرة ويجيد الربط بينها و يتمكن من استقراء النتائج ، لتردد كثيراً فى اصدار عدد غير قليل من القرارات ... و تكمن صعوبة المدخل لشخصيته فى أن كثيراً مما كتب و قرأ من خطابات هى أراء غيره و أفكار غيره كما سبق الإشارة إليه ، و المتتبع لأقواله يكتشف إنه ذو رأيين أو اكثر فى موقف واحد ، أحدهما عندما يقرأ من مكتوب و الآخر عندما يصرف بصره عن الأوراق ...

أنظر كيف يختار وزراءه و مسئوليه ... وكم للعاطفة فيها من نصيب ...

" إن المحكمة بادانتها للمتهم الأول أحمد السيد فى أربع تهم من التهم الست التى وجهت إليه لم ترد ان تفرض عليه العقوبة القصوى لأنها تدرك بأن المتهم الحقيقى هو النظام البائد الفاسد بأسره .. وانه وان كان المتهم

---

(١) لقاء المكاشفة فبراير ١٩٧٦م (٢) التضامن ١٩٨٥/٧/٦م أحمد حمروش .

(٣) من الآراء التى يصعب التدليل على صحتها قول ابن خلدون فى مقدمته ... " الكيس والذكاء عيب فى صاحب السياسة لأنه إفراط فى الفكر ... " ....

لم يفد شخصه مما اقترف من مفاسد إلاّ إنه قد عجز وهو في مركز القوة على ان يقف في طريق الفساد المستشرى الذى فضحت بعض جرائمه هذه المحكمة ، فساد أحزاب سخرت أجهزة الدولة واموال الأمة من اجل مصلحتها العاجلة ، وفساد حفنة من التجار لم تراع سبل الكسب الشريف ، فاندفعت في شراهة الى تجارة رابحة فاسدة .. رابحة بحساب الدرهم و الدينار ، وخاسرة في حساب الشرف و الأمانة .. وفساد حفنه جائرة من موظفى الدولة لم يردعهم العلم الذى نالوه بفضل ما اقتطعه لهم العامل و الفالح من قوت يومه ولم تردعهم المراكز التي تبوؤها في سهولة و يسر ، لم يردعهم هذا و ذاك عن استغلال سلطاتهم من أجل الكسب العاجل الحرام " (١) . . .

و كان الحكم الحرمان من الحقوق السياسية مدى الحياة ، و الحرمان من تولى الوظائف العامة مدى الحياة و يشاء القدر ان يذهب نميرى و أحمد السيد حمد يتولى وزارة المواصلات و يدعى المعارضة الداخلية ، .... (٢) و تظل خطبة اعلان الحكم تحمل نفس العلل و الأسباب لمن يريد ان يحاكم النميرى والأحزاب بعد عشرين سنة وسنة من إصدارها . . .

و عندما سألته مجلة الحوادث عن أسباب خروج ورجوع دكتور بهاء الدين محمد ادريس كانت إجابته :-

" انني شخصياً لم اكن أحمل أى اتهام لبهاء الدين ولكنه تعرض لحملة اتهامات مكثفة و مخططة و مستمرة ، وقد قصدت بقرار إبعاده إعطاء الفرصة لمن اتهم ان يثبت اتهامه و بهاء الدين أعزل من حصانته و مجرد من حماية المنصب ، وقد مضت عدة شهور ولم يتقدم أى أحد بأى دليل على إتهامه .. و هكذا اثبت بهاء براءته كما اثبت كفاءته أيضاً ... فأنا أقول بصراحة إنه في غياب بهاء الدين عن رئاسة الجمهورية انخفضت كفاءة الأداء في هذا المرفق الحيوى . . بل و تدنت الخدمات الخاصة بالبروتوكول بصورة ملحوظة وقد افتقد كفاءة بهاء الدين خصومه قبل اصدقاءه .. و أنا أعلم ان الأكفاء والمخلصين في أدائهم يكونون موضع اتهام للنيل منهم .. واضرب لذلك مثلاً ما حدث صباح اليوم فالمشرفون على المسيرة الخاصة بالمؤتمر الاسلامى فشلوا

---

(١) نميرى في خطاب اعلان الحكم على أحمد السيد محمد و حسن عوض الله ١٩٦٩م .

(٢) انظر " الختمية و الاتحاديون "

في تنظيمها ولولا وجود بهاء الدين وجهوده منذ الخامسة لما عثر الضيوف على مقاعد لمتابعة المسيرة ... إن بهاء الدين كفاءة و أمانة وعمل صامت لخدمة السودان بعيداً عن الأضواء ومتجرداً من أجل مصلحة ذاتية ولهذا فإن خروجه كعودته هو تأكيد لكفاءته وأمانته " (١) . . . .

وقد سبقه السادات لمثل تلك الإجابة . . .

" انني أعلم ان هؤلاء الناس يريدون مهاجمتي شخصياً ولأنهم لا يتجاسرون علي ذلك علناً فإنهم يدورون من حولى ليهاجموا بعض القريبين منى كعثمان أحمد عثمان . " (٢) . . . .

وحدث ان وصف رجالات الاتحاد الاشتراكي بالجبن فى إجتماعهم الذى طلب فيه منهم اختيار رئيس مكانه ، ولما جاء اليوم الثانى جاء يصف نفس القيادات .... و لأنهم أبقوه رئيساً . د.

" ان الاجتماع جاء دليلاً وتاكيداً على حيوية قيادات العمل الوطنى وقدرتها علي تحمل مسئوليتها وخاصة فى مواجهة التحديات . " (٣) . . . .

و تحدث د. اسماعيل الحاج موسى عن كيفية تعيينه وزير دولة للثقافة والإعلام . . .

" ففى ذات خميس من شباط (فبربر/١٩٧٦) قررت ان أزور الأمانة العامة للإتحاد الاشتراكي لتحية أخي عمر الحاج موسى فقد طالت غيبتى عنه وكنت قد عينت قبل بضعة أيام عميداً للطلاب بجامعة الخرطوم وتوفرت على وضع لهيكل العمادة واسلوب عملها وحركتها فانقطعت بعض الشىء عن عمر .. وعند باب مكتبه احسست بانشغاله فحييته من البعد وهممت بالمغادرة إلا إنه ناداني ليذكر ان رئاسة الجمهورية ظلت تبحث عنى منذ الصباح الباكر، وانهم سالوا عنى فى كل مكان ذلك ان رئيس الجمهورية كان يود ان يخطرني برغبته فى تعيينى وزيراً للدولة والإعلام ، وإنه وجه أخيراً باذاعة التعيين ضمن تعديل وزارى سيذاع تلك الليلة آملاً فى ان اقبل ذلك التكليف .... وفى الطريق بعربتى الي أمدرمان سمعت فى نشرة اخبار التاسعة والنصف مساء تفاصيل ذلك التعديل الوزارى . " (٢) . . . . .

---

(١) نميرى لمندوبة الحوادث عفاف زينى .

(٢) خريف الغضب - هيكل ص ٤٤٣ . .

(٢) الصحافة ١٩٨٢/١/٢٢

(٣) د. اسماعيل فى دهاليز السلطة .

ولعل ماذكره د. اسماعيل هو ما كان يتخذه جعفر نميرى فى اختيار أغلبية وزرائه ، ومنهم من سمع تعيينه وابعاده من وسائل الاعلام بلا سابق استشارة أو اخطار ، ولعل النميرى وجد في ذلك مبرراً لإحلال الاقالة بدل الاستقالة ، الأمر الذي يفقد الوزير الطمانينة ، ووضع الاعتبار وماكان القائد يدرى إنه في اضعافة لمراكز الوزراء ، وعدم العمل بمشورتهم يضعف من مركزه هو ، ويهز ثقتهم فيه . . .

وتحدث د. اسماعيل في دهاليز السلطة عن سلوك الوزراء في مجلس الرئيس . . . .

" مع كل ما كان يبذله الرئيس نميرى لتنشيطها واثرائها بقيت اجتماعات مجلس الوزراء روتينية مملة يتسلى فيها الوزراء فى كتابة وتوزيع المذكرات التى تمرر لبعض الوزراء من تحت المنضدة طوال الجلسة وهى فى معظمها مبهمة وتحتوى على نميمة أو تعليقات أو تشنيعات حول الاحاديث والناس " . . . . [1]

ويواصل متحدثاً عن الالتزام السياسى بمايو والإلمام الفكرى باختياراتها . . .

" ثم ان هذا كان سبباً رئيسياً - فى رأى - فى أحيان كثيرة فى ضعف مجلس الوزراء خصوصاً فى ادائه الجماعى لأن معظم الوزراء هم توكنو قراطيون فنيون وليسوا بسياسيين ولذلك كانت مساهمتهم الفكرية والسياسية ضعيفه ، كما ان هذا قد جاء أحياناً كثيرة بافراد لم يكونوا - هم أنفسهم - يثقون فى قدراتهم فانبهروا بالموقع وحرصوا عليه وتشبثوا به ، وفى مثل هذا المناخ كثر النفاق والتزلف وبصورة تذهل وتصدم وتحزن [2] "

ولما سألت التضامن النميرى عن د. شريف التهامى . . . . قال . . . .

" ان تقديرى للأشخاص لا يعتمد على التقارير إذ لاتوجد حواجز بينى وبين الآخرين ، وأقدر فى الاشخاص كفاءتهم وإخلاصهم ، وعلى سبيل المثال د. منصور خالد والذى كان البعض يقول عنه بأنه (سودانى انجليزى) عينته فى أول وزارة فى مايو وزيراً للشباب ، لأننى وجدته انسب شخص لذلك ، وعمل معى بعد

(١.٢) د. اسماعيل الحاج موسى - التضامن العدد ٨٥ ٢٤/١١/١٩٨٤ ومذكرات لم تكتمل / فى دهاليز السلطة

ان عرف اهادفنا و كان بعض الناس يتطوع للحديث الى عنه ولكننى كنت متأكد من إخلاصه للسودان و مقدرته التنظيمية التى استعنت بها أيضاً فى وزارة الخارجية و فى رئاسة الجمهورية .. ولما بدأ د. منصور يتحرك بدون إذنى قلت له مع السلامة .. وخلاصه القول ان الدكتور التهامى رجل كفء مخلص و أثق به وهو رجل أمين ومخلص . " (١) . . . .

و من مواقفه حيال الصراعات بين جهازه التنفيذى و مجلس شعبه ، ما كان من أمر الوزيرة الدكتورة فاطمة عبد المحمود ، حيث خاطب هيئة مجلس الشعب بعد ان سرد موضوع مؤسسة النقــل الوطنية . .

" هنالك موضوع ثانى نود ان نلفت نظركم إليه ، و الذى كانت بدايتكم فيه حكماً جانب الحق .. هذا الموضوع الثانى هو أمر اختكم فاطمة بنت عبد المحمود و الذى صدر بيان من رئيس الجمهورية حوله ولا نود التطرق اليه مرة أخرى .. إلا اننا لا نريد لهذه المناسبة أن تمر دون ان نؤكد اننا اسندنا الأمر الى فاطمة وهى عزيزة كريمة أصيلة أمينة أدت الأمانة و ما ضيعتها ..... ولما وصل فى حديثه الى أنها تصرف من مالها الخاص قرأ أبو القاسم . . .

" لم نخترها لرابطة تربطنا بها ولا لصلة قربى ولكن لمعرفة و دراية فى إمكاناتها و مكانتها بعد ان اختبرناها ووجدناها خير النساء بل وخير الرجال لتلك المهمة ولازالت ثقتنا فيها كما كانت ولولا حياء فى الدين لوليناها أمراً أعظم للصفات التى تتميز بها . " (٢) . . . . . .

وبربط ما علم عن رجال الرئيس بعد سقوط مايو و أقواله السابقة وأقوال وزرائه ، نجد ان كفاءة رجاله المهنية تنقصها وضوح الفكرة المحورية لنظامه لتجمعهم كما أنهم يتارجحون فى قناعاتهم بتلك الفكرة ، كما ينقص بعضهم الصدق و الأمانة و التجربة العملية بقدر ما ينقص النظام نفسه من

---

(١) الصحافة ١٤/١١/١٩٨٢م (التضامن) .

(٢) بيان رئاسة الجمهورية ، عند مخاطبة الرئيس لهيئة مجلس الشعب - الأيام ٢٨/٣/١٩٧٩م (لها مخطوط " نميرى القائد الافريقى " د. فاطمة عبد المحمود وزير الشئون الاجتماعية .د. ابراهيم العدوى مدير جامعة القاهرة - الخرطوم)

كادر ملتزم مقتدر وحادب على تنفيذ برنامجه وحريص على إنجاحه .. وكان موقف الرئيس فى ذلك بين الإفراط فى الثقة و التفريط فى المتابعة ، مما يظهره بانه لم يكن أبداً قدوة فيما يأمر به وينهى عنه ، ولم يكن حفيظاً على حقوق رعيته ، ولم ينزل الناس منازلهم ولم يوسد الأمر أهله ولا يحترم مؤسسات نظامه بالرغم من ادعائه بانه يضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . . .

" كما حذرت غير مرة بأن القيادة انما هى موقع مرصود للمحاسبة والمؤاخذة بما يتعالى على الأداء وعثراته الى المسلك الشخصى لو شابته الهفوات أو الأخطاء ، ذلك بأن الأخطاء للقيادى فى مسلكه إنما هى خطايا بما تعكسه وبما توحى به بالنسبة لمن هم دونه باعتبارها تكاملاً وليس تناقصاً مع ما وصل إليه . .

إن الأمانة لا تتجزأ ذلك ان عفة اللسان وطهارة اليد ويقظة الضمير ونقاء السريرة ووضوح الفكر وكفاءة الاداء إنما هى جميعاً مقومات تتكامل لدى القيادة القادرة على حمل الأمانة وتحمل تبعاتها ، وإن انتفاء أى منها انما هو انتقاص من القدرة كما انه تشويه للقدوة التى ينبغى ان يكونها القيادى مهما خلصت نواياه ومهما بلغ جهده . " [١] . . .

وبالرغم من كل ذلك يتباهى جعفر نميرى فى عامه الأخير بقياداته . . .

" ومن الانجازات البارزة للثورة انها افرزت اعداداً كبيرة من الشخصيات القيادية وفتحت الباب على مصراعيه لتقلد المراكز القيادية ، ومن مبادئنا اننا لا نعتمد على الشهادات المدرسية وحدها ، فنحن نحترم الشهادات ولكننا نحترم أيضاً شهادات الحياة والعمل الميدانى . " [٢] . . . . . .

وجاء رأى أحد وزرائه الذين شهدوا سقوط مايو وهم بين الوزارات ، وبالرغم من إنه لم يدم فى الوزارة إلا بضعة شهور ، إلا انه رجل إدارة ومعرفة ، مما يجعلنا نعتقد بأن النميرى قد فارق الرئاسة وهو فى الصفات المذكورة فى كلمات وزيره [٣] . . .

" من مزايا الرئيس إنه يملك مقدرة كبيرة على تحقيق درجة من الإلفة والإنطباع الحسن المبنى على المشاعر الحميمة لزائره ، وله قوة احتمال

(١) رسالة القيادة الرشيدة من رئيس الجمهورية للوزراء وكبار المسؤلين فى الدولة .

(٢) نميرى – التضامن ١٩٨٤/٥/٢٦م .

(٣) د. حسن ابشر الطيب – مقابلة كوبر ٤ شوال ١٤٠٥هـ .

كبيرة على العمل ويملك المقدرة على الإستماع و يترك الفرصة كاملة لمحدثه حتى إكمال حديثه ، و له مقدرة أكبر على استرجاع المعلومات المتلقيـة ومناقشتها و تداولها في حينها . . .

و من نواقصه اعتماده السرية في قراراته ، و يُعنى كثيراً بالتفاصيل الدقيقة و يُضيّع كثيراً من جهوده المبذولة في أمور يمكن ان يؤديها غيره ، وتنقصه المقدرة على الربط بين الأفكار و انسياب الحديث ، و يتعامل مع الرئاسة بإعتبار شخصي وليس كمؤسسة دولة . " . . .

(مـا لـه ثاغيـة ولا راغيـة .) . . . .

ذلك نميرى في فن الحديث ، و تَكَلَّم حتى أراك ، فإنه اضعف ما يكون معرفة سياسية أو مقدرة تعبيرية ويغلب عليها فقدان هيبة الرئاسة في مقابلاته الصحفية . . .

تساله الحوادث عن العقيد القذافي [1] . . . .

إذا استمر في موقعه هل ستخوضون الحرب ؟

– بالطبع امكان الحرب موجودة . . .

ستحاربون القذافي في داخل تشاد ؟ !

– في شاد و داخل طرابلس ، و بنغازى على كل نحن على اتم الاستعداد لهذه الحرب و نعرف انها ستكون حرب عصابات (غوريلا) و حرب استنزاف له . .

و هل انتم قادرون ؟ !

– بالطبع قلت اننا على اتم استعداد ، الآن ما علينا إلا ان نعلن ونعطى الاشارة للبدء . .

هل هناك امكان للمصالحة بينك و بين القذافي و ماذا تطلب ؟

– ان كان هنالك إمكان للصلح فانا اطلب ان يتنازل العقيد القذافي عن قيادة ليبيا و يترك ذلك للشعب الليبي لكي يبدأ فوراً بعمل المؤسسات الديمقراطية لتحكم ليبيا . .

ولكن إذا تنازل فلن تكون هناك أهمية للمصالحة . .

– اكرر ربما أقبل ان أصالحه بعدما يتنازل . . .

و تقابله ايضاً هدى الحسيني و جريدة الصياد [2] . . .

---

(١) الحوادث ١٠/١٠/١٩٨١م .

(٢) الصياد ٢٤/١٠/١٩٨٤ م

٩٠٪ من السودانيين يملكون منازل ورئيس الجمهورية يعيش في منزل زوجته ويصرف من جيبه !! ...

– انا لا اجامل فى القيادة ، لا آت بالهش او اللّين و اقول إنه قائد .. الكثيرون كانوا يعتقدون إنهم اصدقاء لنميرى ، ولكن امام مسائل العمل والقيادة فى الدولة لا اعرف أن هذا صديق وهذا ليس صديقى ، لا اعرف حتى تاريخه السياسى لانه يجب ان يكون فى المستوى نفسه ، لاننى اكون قد عفيت عنه المرة الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة و الخامسة دون ان اتكلم ، وعندما اتخذ القرار اكون دائماً مستعداً ان اعطى الأسباب ...

ما هى الأمور السلبية التى يمكن ان تكتبها عن نميرى !!

– ربما اقول عنه إنه شديد وحساس فى ان يسمح للدول الأخرى بان تدخل السودان لتساعد لأنه يخاف ان تكون لهذه المساعدة مآرب سياسية تضر بموقف السودان و بمكاسبه و بحريته ... ايضاً من سلبياته إنه يتماشى مع المواطنين حتى المضرة باقتصاد السودان ، اى إنه يسمح لهم بان يكونوا مترفين باكثر مما يملكون ... من سلبيات نميرى ايضاً ، اننى لم اعلم حتى الآن كيف يشعر المواطن بواجبه نحو الضريبة ، كمالٍ أو كتضحية من جسمه .. ومن سلبياته ايضاً اننى سمحت للناس بأن تعيش فى مناطق مختلفة عن مناطقها داخل السودان ، وترفض العودة إليها ، اى من حيث اتت " ...

حقيقة قد يخرج من الصدف غير الدر ....

ماذا ترك نميرى لغيره من السلبيات [1] .... تناقض و سمح بترحيل الفلاشا ومن قبل اقتحم النار فى الأردن لينقذ القيادة الفلسطينية من مجزرة أيلول الأسود ... ويسمح بالبذخ والتفاخر بالمال مما يقود للفساد (حتى المضرة باقتصاد السودان) ، ويجهل حقيقة شعبه ، ويشرف علي عدم عدالة التنمية وتوزيع مشاريعها و يركزها فى أماكن معينة مما يثير مشاكل السكن العشوائى و ينتج عنه سوء الخدمات و انخفاض مستوى رفاهية المواطن فتبدو ظاهرتا التسول و التشرد ... ...

حقاً ان النميرى يجيب كمن غشيه النعاس أو كمن لم يفق من سكرة طويلة ، فقد ختم نفس المقابلة [2] بقوله ...

---

(١) لاحظ ان المقابلة فى النصف الأخير لآخر سنوات حكمه ..

(٢) الصياد ٢٤/١٠/١٩٨٤ .. نميرى

" أقارن هذه النقاط بما يقوم به الرئيس نميرى الأن فى بلاده .. وهل قيادته تتناسب وهذه النقاط ؟ وهل يعلم بما يعمل فيه ، وخاصة إنه يجب على القائد ان يعلم بالشيء الذى يعمل فيه ، و أنا أعرف ... هل يعرف امكانيات بلاده و امكانيات شعبه ؟ و انا أعرفها ، وهل هو عادل بين شعبه ، فالقائد يجب ان يكون عادلاً ، والحمد لله حتى الأن أنا انشد العدالة ، و اعتقد اننى حققتها ، والدليل على ذلك هو الراحة الموجودة فى الشعب السودانى . " ....

و يا للعجب قبل ثلاثه سنوات اجاب الحوداث [1] عندما سالته (لو راجعت سنوات حكمك ما هى الأخطاء التى كان يجب ان لا ترتكبها ؟) قائلاً . . .

" لا اعتقد ان هنالك أخطاء فادحة كان يجب ان لا أرتكبها " . . .

(تجوع الحُرّةُ ولا تاكل بثديَيْهَا) . . . .

ليس بمستغرب ان ينتهي مسار مايو الإقتصادى بنظام دكتاتورى يعتمد الفساد فى مجال المال و الإفساد فى التجارة و الإقتصاد و يغرق البلاد فى بحر من الديون و القروض ، مما يُمَكّن الضغوط الخارجية من التاثير على ذاتية و فاعلية الإدارة و القرار الوطنى ، و يجعل أغلبية العائد من الدخل القومى فى خدمة الديون و أقساط القروض ، فمنذ البداية كانت خطواتها الاشتراكية تتعثر وإختلط المَرعيُّ فيها بالهمل ، ولم تسطع بها ولا بغيرها ان توازن بين متطلبات و مصالح الطبقات الاجتماعية المختلفة ، ولم تحسم مشكلة التناقضات الإقتصادية و المالية فيها و أن حاولت ... فلم يكن دليلها يدرى ما يفعل ، وتهزمه العاطفة ، و يفقد شجاعة الإعتراف بالإثم و الخطيئة فى التخطيط والتنفيذ و المتابعة ، و تحرسه عين الرّضا بما فعل رغم الفشل . . .

من لا يذكر قضية الذرة و مجاعة السودان [2] ، و الذل و الهوان وفقد ماء الوجه أمام الركون للاغاثة و معونات التموين وهى تقتل همة المستهلك الإنتاجية و تقعده عن أن يكون اليد العليا .. ... تحدث النميرى عن استيراد الذرة من الولايات المتحدة . . .

(١) الحوادث ١٠/١٠/١٩٨١ .

(٢) ١٩٨٥م

" و اذكر اننا فى إحدى حكومات الأحزاب استوردنا ذرة من الولايات المتحدة ، و هذا أمر عجيب و غير مقبول .. فيمكن ان استورد القمح مثلاً ولكن ان استورد الغذاء الرئيسى للمواطنين فهذه كارثة ! " [١] . . . . .

و عندما وقف نميرى على اكذوبة صداقة الشعوب الاشتراكية لسنوات خلت فى اجابته للسؤال [٢] (ما هو القرار الذى اتخذتموه و ندمتم عليه خلال فترة حكمكم ؟) . . . .

" الشيء الوحيد الذى ندمت عليه فى السنتين الأوائل اللىّ كُنت بفتكر إنه الصداقة مع الدول الكبرى هى مجدية بالنسبة لدول نامية مثل السودان .. سنتين ضيعتها فى صداقة مع دول كبرى زى السوفيت ، وكانت نتيجتها هى إنها المتآمرة الأول علينا فى السودان ، و ندمت على هذه الصداقة و مش حارجع ليها أبداً . " . . .

و عندما أدرك أكذوبة الشرق الشيوعى اتجه للغرب الأمريكى ولم تبتعد عنه الإدارة الإمريكية إلا بعد اعلان الشريعة ٢٣ سبتمبر ١٩٨٣ ، عندما ادركت أمريكا ان غرضها لن يتم ، وفقدت مايو القرب والقبول وطلاء البريق و اللمعان الذى كانت تلقاه ، و أخيراً بدأت امريكا الضغط الاقتصادى على النظام الحاكم ، و اجبرته على الخضوع للتسلط الكنسى و منظماته الإغاثية والعَونية و الطوعية ، وبلغ الهوان بمايو ان تعلن التخلى عن قوانين الشريعة ورؤاها المستقبلية لحل مشاكل السودان . . .

وثمة حادثتان .... تظهر فيهما عاطفة القرار الإقتصادى و عشوائيته وهوانه ..

أولاهما و عقب المصادرة ، فى أيام مايو الأولى ، و التى كان النميرى يعارضها وينادى بالاكتفاء بالتاميم و فى جولة لإختيار ما يناسب من المنازل المصادرة كقصور للضيافة ، وقف نميرى فى حديقة أحد المنازل و فكر ملياً ثم قرر العودة دون زيارة المنازل الأخرى ، فماذا رأى ... وكيف قرر العودة عن المصادرة و التاميم . . . ؟ ! . . . .

---

(١) نميرى للأيام ١٩٨٠/١٠/٢٢م أحمد البلال الطيب . .

(٢) مؤتمر صحفى / سونا ١٩٨٠/١/٢٩ (سمير غربى مندوب مجلة جون أفريك)

" لقد توقفت بالحزن أمام مشهد من أحد المنازل المصادرة ، في حديقته كانت هنالك لعبة طفل وللحظة تصورت مدى تعاسة الطفل فضلاً عن تعاسة ذويه وهو يغادر منزله ويفارق لعبته .. ولقد استبدت بي هذه المشاعر للدرجة التي لم استطيع دخول المنزل فضلاً على المرور على غيره من المنازل المصادرة . " [1] . . .

وثانيتهما قرار التكامل مع مصر والذي جاء بعد فترة فتور من العلاقات السودانية المصرية ، والذي جاء قرار سفر نميري لإقراره ضد عزم وتخطيط البروتوكول الرئاسي حيث سافر نميري فجاة عقب احداث ١٩٧١/٥/١٥ في مصر وعلى متن طائرة ركاب عادية تتبع لالمانيا الغربية والتي كانت علاقاتها الدبلوماسية السودانية مقطوعة يومئذ ..... وفي مصر ... و " في القصر القريب من القاعدة الجوية والذي أقام فيه السادات و نميري إجتمع الرئيسان اجتماعاً منفرداً وبعد ثلاث ساعات متواصلة فتح الباب ودخل الوزراء وسمعوا توجيهاً من الرئيسين بان يجتمعوا على الفور لصياغة منهاج عمل ، لتحقيق التكامل بين مصر والسودان وفي كل المجالات [2]

ولك ان تتصور ايها القارىء الفطن ، مجالات التكامل بين شمال الوادي وجنوبه والتي ياتي في مقدمتها هموم الأمن والغذاء ، والمشكل السكاني ، و المياه ، وأمام كل ذلك مسألة حرية المواطن وتحديد الهوية ونوعية الحكم .. كل ذلك يتم على القمة دون القاعدة وتحت مشاعر العاطفة وسرعة القرار ..

انه في كل ذلك لأجرأ من ذباب . . . .

(تسألني أم الخيار جملاً

يمشي رُوَيْداً ويكون أولاً .) . . .

لقد ظل نميري جاهلاً لمشاكل اقتصاد بلاده بعيداً عنها رغم تربعه على القمة لستة عشر عاماً متسلطاً منفرداً . . . .

" البترول السوداني سيدخل سوق الاستهلاك خلال شهور " [3] . . .

(ما هي اهداف زيارتك وفي هذا الوقت بالذات ؟)

---

(١) يروي عنه عمر الحاج موسي في كتاب عادل رضا (الرجل والتحدي) ص ٤٧٩ . . .

(٢) الرجل والتحدي عادل ص . ٤٨١/٤٨ . . .

(٣) مؤتمر صحفي في باريس ١٩٧٣/١١/١٧م .

" نميرى :- وقبل ان أبدأ هذه الزيارة حضرت توقيع أكبر عقد للبترول في هذه الأيام وهو عقد لمد خط أنابيب البترول لميناء بورتسودان بحوالي بليون دولار و لا اعتقد ان بلد يوقع على عقد بهذا المبلغ لايمكن ان يكون في ورطة إقتصادية يهرب رئيسها من البلد لطلب مساعدات من دول أخرى[1]

بل أعجب من ذلك اجابته لجريدة الشرق الأوسط [2] عندما سألته قائلة :-

"هل لكم ان نطرحوا الرقم الحقيقي للديون المستحقه على السودان ؟ "

- أنا اعتقد ان ديوننا كلها ٧٠٠ مليون . "

في العام الواحد ؟ . .

- " كلها .. ديوننا كلها ٧٠٠ مليون ، ولم تصل حتى لبليون واحد ، لذلك نحن لا ننزعج . " . . .

إنها بئس الإجابة ولكم ان تتخيلوا رئيساً يذكر ارقاماً بلا تمييز و بدون تأكيد وهو يتحدث لصحافة عالمية .. حقاً ان فهم النميرى الاقتصادى كان حماراً فاستأتن . . .

و كما طلب تشرشل البريطاني من شعبه بان يكفف عن أكل البيض في وجبة الأفطار ، فسقط ... وكما رجيت مارى انطوانيت الفرنسية شعبها ان يأكل الطورطات و الحلوى كبديل لعدم الخبز فذاقت طعم المقصلة ، طلب النميرى السودانى من ممثلى شعبه [2] ان يطالبوا ناخبيهم بتنفيذ وصية الإمام الاقتصادية الأخيرة بأن (يشربوا الموصة) عندما ينعدم الخبز وما درى أن لابد لماء الكسرة من ذرة منها يُصنع وحَبّات سُكّر تحليه . . .

.. (من أعان ظالماً سلطه الله عليه) . . . .

" لقد استمعت اليكم و أنا مندهش .. هنالك اثنان ممن تحدثوا يسألوننى عن سبب زيادة الأسعار وهل هذا يحتاج الى رد ، اننى اندهش لأنكم إنتم القيادات و لا تعرفون كيف تجيبون على هذه الأسئلة .. سبب زيادة الأسعار هو انخفاض سعر الجنية السودانى أمام الدولار .. فالدولار اصبح الآن مدوخ كل العملات حتى الين اليابانى و المارك الألمانى و الجنيه الاسترلينى أصبح مثل الجنيه السودانى ... اننى اخشى ان يصبح سعر الدولار ألف

---

(١) مؤتمر صحفى فى باريس ١٩٧٣/١١/١٧م .

(٢) لاحظ كيف خانه التعبير وهو يحاول نفى الورطة الإقتصادية فيثبتها . . .

جنيه [1] ، عليكم ان تتوقعوا الكثير لقد وصل سعر الدولار خمسة جنيهات و سيزيد عن ذلك وقد يأتى وقت تمتلىء به جيوبكم بالجنيهات . "

ولما علت القاعة بالضحك ... زاد فرعون السودان الذى استخف قومه فاطاعوه .... يواصل اغنية الأوزْ ولحن البَجَعْ .....

" هذا كلام ليس للضحك إنها حقائق لابد ان نواجهها ، ان كمية الأربعة جالون من البنزين أراها كثيرة لماذا لا تكون جالونين فقط ، لماذا لا نستخدم السيارات العامة و نركب البسكليت .. وعلينا ان نقتصد فى كل شىء .. من يأكل ثلاثة وجبات يأكل وجبتين و من يأكل وجبتين يأكل وجبه واحدة ومن يأكل وجبة واحدة يأكل نصف وجبه ..ولماذا نشترى المعلبات الغذائية والصلصة نحن شعب لم يتعود على الصلصلة يا جماعة نحن نأكل الويكة ولانشرب الإسبرايت .. لماذا لا نشرب ماء الكسرة . " ...

.. يقول هذا الكلام لقيادته المركزية وصوت جماهير انتفاضة رجب ، الذين " تجمعّوا فغيّروا و تفرّقُوا ولم يُعْرفُوا " ، يملأ أجواء الخرطوم ويخالط دخان الحرائق و رائحة غاز تفريق المظاهرات ... وبين ذلك كله يشق طريقه للمطا ر مغادراً للبلاد سليماً متجهاً لواشنطن الأمريكية ناسياً عبارته التى شنفت الآذان ....

أو اســقط دونها شهيداً " وخطابه فى مقتل الإمام الهادى [2] ....

" فوالله قد شهدت بنات آوى تقف فى وجه السباع دفاعاً عن بيوتها وصغارها ، ولم أرى قائداً أو رئيساً يهرب من رجاله ساعة القتال " ....

ولم يذكره بالرجوع و الثبات حتى كلمات قادة مسيرة ... الردع الهزيلة " ليتك كنت معنا يا سيادة الرئيس " ...

حتى لحظاته الأخيرة كانت تغيب عنه حقيقة إنه لا يستند على قاعدة شعبيــة ، و إنــه ربط مصالح البلاد بجهات خارجية و يؤمن بأنه القائد المنقـذ

---

(١) خطاب نميرى امام القيادة المركزية بمجلس الشعب بام درمان ١٩٨٥/٣/٢٦

(٢) قال (ص) " كذب المنجمون ولو صدقوا " ... و يستمر هبوط العملة السودانية أمام الدولار فهل كان النميرى منجماً أم يعلم جيداً فعلته التى فعل فخرج من المدينة خائفاً يترغب ..

(٣) فى خطابه ١٩٧٠/٤/١م .

والمخلص للوطن ، وإنه أمل الأمة ولا يدرى أن أمة تعلق آمالها برجل واحد هى أمة بلا أمل . . . لقد فعلت به كلمات أمين الاتحاد الاشتراكي [1] "

بان الأمر لا يتعدى رد فعل للأخوان المسلمين " وحديث مساعده [2] أمام مسيرة الردع " سنحطمهم كالعقارب " ، كما فعلت بالشاه كلمات خادمه العجوز عندما أرسله للمدينة لمعرفة مايدور ... ايام الثورة الإيرانية . . . .

" نعم يوجد يا صاحب الجلالة بعض الناس يصيحون فى الشوارع ، لكنه من الواضح انهم شيوعيون مأجورون ليتظاهروا . "

... ولم يستيقن الشاه حقيقة الأمر إلا ضحى الغد عندما أخذه طياره الخاص بهيلاكوبتر في جولة حول المدينة ، وسأل الشاه الطيار " هل كل الناس يتظاهرون ضدى " وصمت الطيار ، ورجع الشاه وتوجه للخروج بطائرته من ايران الثورة . . .

" وأنا شخصياً كرئيس للدولة أقابل من أشاء ويستطيع كل من يشاء مقابلتي واستشهد باضراب الاطباء والذى امتد لأسبوعين أو اكثر ، فحين طلبت نقابتهم مقابلتي فتحت لهم الباب وبعد جلسة قصيرة معى اقتنعوا وخرجوا ودعوا زملاؤهم للعودة للعمل ، ونحن نتمسك بمبدأ عدم الاستسلام للضغوط مهما كانت . " [3] . . . .

" الحقيقة اننى فى تاريخ السودان كله اكاد اكون القيادة التى اتصلت وحتى الآن وعلي مدى ١٥ عام .. الأوائل لم اعاصرهم ، بعضهم قيادة اتصلت لمدة طويلة وبعضهم قيادة اتصلت لمدة اقصر ... إلا انهم جميعا يقودون اجزاء من السودان وليس كل السودان ...

ولهذا تنتفى عنهم صفة الرمز الذى تتوحد به الأمة . " [4] . . .

(ان الجواد عينه فراره .) . . . .

تحدث نميرى لبرنامج الوجه الآخر [5] . . . . .

---

(١) اللواء محمد عبد القادر (٢) د. أبو ساق . . .

(٣) نميرى التضامن ١٩٨٤/٥/٢٦ .

(٤) الوطن العربى ابريل ١٩٨٥م ، أجرى الحديث قبيل سفر نميرى لواشنطن نبيل مغربى

(٥) اذاعة صوت العرب ٢٣ صفر ١٤٠٥هـ

" من ضمن الأشياء التى قمت بها وقد تكون اضرت بمن لهم صلة شخصية بى وحتى لا يقول الناس اننى تحيزت لحلتى أو أهلى أو أخي فقد اخبرتهم إنهم آخر من يستفيد من هذه الثورة .. وفعلاً لم يستفيدوا من هذه الثورة ومن ضمنهم شقيقى الأكبر . "

ومن قبل كان لشاه إيران شقيق أكبر ، الأمير محمود رضا والذى ركز على المعادن والشركات ، وأسس مؤسسة بهلوى بدعوى إنها مؤسسة خيرية ١٩٥٨، فصارت امبراطورية مستقلة داخل ايران ، بلغت ممتلكاتها عام ١٩٧٩م ثلاثة بليون دولار ... فهل كان مصطفى نميرى وجمعيه ود نميرى محاولة للمثلّ ؟ ! فقد جاء بهاء الدين تماماً كوزير مالية الشاه الذى يرعى مصالحه المالية الخاصة . . . . وهل كان قصر ود نميرى سيكون مثيلاً لقصر برسوبوليس الشاة واحتفال العرش الطاؤوسى الشهير ؟ !.(١)

(من جعل نفسه عظماً أكلته الكلاب .) ......

ولم تقف جهود القيادة المايوية فى تحطيم السودان عند حدود تبديد امكانياته واهدار طاقاته وموارده الكامنة ، بل تعدت ذلك لتدمير اجياله فى ظهور الغيب وبين صلب وترائب آبائهم ، وذلك بجريمة دفن النفايات الذرية لتفعل بالأجيال اكثر مما فعلته هورشيما ونجازاكى فى اليابان . . .

" السيد ف/ج/ جاتى أحد رجالات الصناعة فى المانيا وصل الخرطوم فى ١٩٨٥/١/١٩ على طائرة الخطوط السويسرية من أجل الحصول على استخدام موقع فى السودان لدفن مخلفات المواد النووية الآتية من الولايات المتحدة والمانيا الغربية والنمسا والسويد وصرح جاتى بعد لقائه بالرئيس نميرى فى ٢٠ يناير قائلاً ان موافقه الرئيس نميرى على خطة التخلص من النفايات النووية لم تاخذ منه سوى نصف ساعة فقط بينما هو فشل فى الحصول على موافقة عدد من حكومات أوربية على مشروعات مماثلة استغرقت منه عشر سنوات . ويكون ذلك نظير أربعة بلايين دولار أمريكي (٢) ، والموقع فى مثلث تحيط به ثلاثة أودية هى وادى هور ووادى مجرور ووادى

(١) احتفال شاه ايران فى اكتوبر ١٩٧٢ بمرور ٢٥٠٠ عام على الحكم الملكى .. استمر الاحتفال ثلاثة ايام بحضور ٨٦ من ملوك وامراء ورؤساء الدول بتكلفة بلغت ١٢٠ مليون دولار

(٢) الاتحاد ١٩٨٥/٢/٢م

سندى وكلها تقع فى اقليم دارفور ، وقد استلم خطاب الموافقة من رئاسة الجمهورية بتوقيع الوزير محمد الحسن أحمد الحاج [1] فى يوم ١٩٨٥/١/٢٢م " [2] . . . .

وبالمثل يتبع آثار قدم القيادة المصرية وفق ما حدث من السادات أثناء اجازته ١٩٨٧ عند لقائه المستشار النمسارى برونوكرايسكى فى شلوس فوشل قرب سازبورج . . . .

" كانت النمسا تخطط لإنشاء المفاعل النووى ، وكان انشاء المفاعل النووى يلقى معارضة من قطاعات واسعة من جماهيرها ضمن كل الحملة المعادية للانشاء النووى التى تجتاح الغرب وكان معارضوها يركزون على نقطة هامة ، وهى الخطر الناشىء عن النفايات الذرية وقضية تخزينها .. وكان المستشار النمساوى يقول أن الخبراء يرون ان افضل مكان لتخزين هذه النفايات هى مناجم الملح القديمة تحت الأرض ، ومن سوء الحظ ان النمسا ليس فيها ما تنطبق عليه هذه المواصفات ، وتبرع السادات على الفور داعياً كرايسكى الى تخزين نفايات النمسا النووية فى مصر فهو يعرف ان هناك مناجم قديمة للملح فى صحاريها الشرقية . " [3] . . . .

و" كشف فاروق الباز فى حديثه لمجلة العربى إنه احبط محاولة نمساوية عام ١٩٨٠ بدفن النفايات النووية النمساوية فى المنطقة الصحراوية بين القاهرة والسويس بعد ان اقنع السادات برفض العرض النمساوى لأن دفن النفايات النووية يؤدى الى تلوث المياة الجوفيه ويؤدى الى وقوع الزلزال فى الدول التى تسمح بدفن هذه النفايات . " [4] . . .

ونجت صحارى مصر بفضل العالم الباز ، ولآن البرلمان والمعارضة فى النمسا ضد الانشاء النووى كانت أقوى من خطط مستشار النمسا للبناء النووى . . .

وفدت الانتفاضة السودان بالرغم من توقيع أحد علمائه لخطاب الموافقة لبدء الدمار النووى لباطن أرضه ... وما كان من المرجىّ ان يصبح مجلس

---

(١) وزير شئون رئاسة الجمهورية وأمين عام المجلس الأعلى للاقتصاد القومى . .

(٢) الاتحاد أول مايو /١٩٨٥م

(٣) خريف الغضب ص ٣٨٧/٣٨٦ هيكل . . .

(٤) الدكتور فاروق الباز / عالم الفضاء المصرى ، الاتحاد (دبى) ١٩٨٥/١٠/٦م نقلاً عن مجلة الوطن العربى . . .

شعب ضرير ، ولجنة حزب كفيف أصم ان يصيحا باسم الجياع

... (لا أحب دمى فى طست ذهب) ....

(احفظ ما فى الوعاء بَشَدّ الوكاء) ......

و بالرغم من أن مايو كانت فى أغلب محاولاتها الإصلاحية حلوبة تُثْمِلْ ولا تُصَرِّحْ ، و بات قائدها كثير التلون يُسقَى من كل يد بكأس ، باحثاً عن الحل تحت كل كوكب ، إلا انها دائماً كانت ترجع بقرنى حمار تذرف عيناها أجر من دمع المقالات ... اوما ن لاحت بارقة حَلّ أو قَرْضٍ إلا وجاءها القائد ناشراً أذنيه يعلن الكبرياء و قناعته الخنوع (أنفٌ فى السماء و إستٌ فى الأرض) ..

حتى قصد الشرع ، و أعلنه ...

و (كانت بيضة الديك .) [1] ......

كيف العودة للاسلام [2] ....

" هنا لابد من وقفة استأذن فيها لأقول اننى اعترف بداية اننى لست خير من يمكن ان يجاوب على هذا السؤال فانا لا أملك إلا فطرة المسلم المؤمن بغير زيادة ، لم تواتينى فرصة ولم تتوفر لي قدرة لاتعمق فى شئون دينى ، هنالك من هو خير منى ألف مرة تبصراً و علماً و معرفة بالإسلام ، وما أنا فى رحاب الدين إلا على مشارف شواطئه ، اتطلع إليه باليقين والإيمان و التسليم و القناعة و الاقتناع بانه زاد للانسان فى الدنيا و الآخرة ، اما بعمقه و اتساعه أما فقهه و تشريعه ، أما نظمه و احكامه ، فأنا اعرف واعترف بقصورى ، فتلك ساحة اختص بها الله من عباده العلماء " ..

و يقول ايضاً [3] وهو يقر بان الناس فى السودان على دينهم ولكن كيف يمكن اقامة المجتمع الاسلامى الأصيل ؟ ! ....

" هل يملك الراعى ان يقرر ، ان يامر فى العشية فتنحسر استار ليل الغربة قبل أن يطل الصباح ؟ و هل إذا فعل هل يفعل بالناس أم يفعل للناس ؟

---

(١) يزعمون ان الديك يبيض مرة واحدة (و كانت مرة أصاب فيها نميرى القرار .)

(٢) النهج الاسلامى - لماذا ؟ نميرى ص ٤٠٢ .

(٣) النهج الاسلامى - لماذا .. ص ٤٣١/٤٣٢ ....

. . . بداهـة إنه لا يستطيع إلا بالناس . . .

. . . ثم اننا في ليل الغربة لا نتطلع الى فجر يعود فيه الاسلام ، الى الناس متى نفرضه بارادة الراعي ، وانما نريد ان يعود الناس الى الاسلام ، وهنا فذلك موكول بإرادتهم . . .

. . . إن الاسلام الذى لا يعرف ولا يقر ولاية الراعى أدعاءً بحق التفويض الإلهى انما أوكل أمر الراعي الى الناس ، هم يبايعونه إذا شاءوا ، وهم يستردون بيعتهم إذا ظنوا حقاً أو ظلماً إنه لا يقضى فيهم بما يرونه خيراً . . .

. . . فسلطة الراعى اذاً موصولة بارادة الرعية ، فإذا أرغمها على ما لم تتهيأ له فإنها قد ترضخ عن غير قناعة أو تنهى ولايته عليها . . .

ثم اننا لو مضينا على طريق ارغام الناس على اتباع قيم دينهم ، فأى الثمرات نجنى ! ! ذلك اننا إذا ملكنا على الناس ظاهرهم فإننا لا نملك على الناس باطنهم ، فإذا أرغموا على غير قناعة ، فإننا لن نضىء فى ليل الغربة إلا ضياء النفاق . .

ثم اننا إذا ارغمنا الناس على الالتزام بما نحب لهم وارتضوا ذلك بغير قناعة .. فمن ذا الذى يستطيع ان يصد عنهم ما يدور حولهم من مغريات الضلال . . .

ثم لعَلّ الذين يذهبون هذا المذهب - مذهب الإرغام - يرون بالتشدد والتأثيم والتخويف ، بما يعنى أن لا ننشد في الناس قناعة الملتزم وإنما ننتزع من الناس روع الملزم . . .

وهذا طريق لا يتعارض وحسب علي نبل الغاية بل هو يتعارض وفى الأساس مع الاسلام والقرآن ونهج الرسول جميعاً . . . ويذهب الإسلام فى تحقيق الحصانة للناس ضد الترويع والتخويف والتأثيم الى ما يصل الى حد انزال العقاب فى الدنيا والآخرة بمن يأخذ الناس بالظن ، بل انه احاط قرن بعض الظن بالاثم وحدد لقرائن اثباته من البراهين ما يضر وجوده إلا لو كان هو اليقين . .

ان إنحسار ليل الغربة الطويل والعودة بالأمة الى دينها ، ليس ما يظنه البعض مجرد اعلان قيام الدولة ووضع دستور اسلامى وسن قوانين اسلامية ، فما أيسر على الراعى ان يعلنه وعلى الرعية أن تتقبله ، ولكن هل يعنى

ذلك انحسار ليل الغربة الطويل ! ؟ . " . . . . .

يبدو النميرى بين سطور النهج الاسلامى السابقة فى ثوب من يجهل أمور و متطلبات الأمارة الشرعية و يكتفى بالعبادة دون مرحلة التفقه و الأجتهاد ، و يؤمن بالتربية و التدرج فى بناء المجتمع المسلم حتى بيعة الرضا ، و يصل لمرحلة التشريع و التقنين بارتقاء درجة المسلم الملتزم لا الملزم بالإرغام و التخويف و مواد القوانين ويرى ان فى ذلك أصل الاسلام و دعوة القرآن و غاية السنة . . .

وجاء خطاب ولايتـه الثانيـة . . .

" عندما اشعر بأننى أعجبتنى نفسى و اغتررت بربى ، و قبحت سيرتى ، و ساءت تصرفاتى ، و ذلك شؤم تدبير الشيطان و سوء خداعة و سعيه الخفى فى هلاكى ... و إذا شاهدت تقصيرى و عدم القيام بما يجب على من حق ربى و حق من استرعيتهم من عباده ، و توليت أمرهم من خلقه فإننى اعاهدكم الله ان أترك الولاية راضياً مختاراً و أرجع الى الله سبحانه و تعالى مستغفراً لذنوبى معترفاً بالإقتراف و التقصير و عازماً على التوبة الى الله تعالى ." . . .

وتلـوح الولايـة الثالثـة فى الأفق وتسـأل الشرق الاوسط [1] ، النميرى

" انتم مقدمون إن شاء الله على الدخول فى الولاية الثالثة من عهدكم ما هى الأولـويات التى ستقدمونـها .. ما هو شعـاركم لـهـا " . . .

ويجيب نـمـيرى ولا يذكر الشريعة فى برنامجـه . . .

" أهم شىء عندنا هو العامل الإقتصادى ، مواصلة الخطة التنموية ثم الحياة الإجتماعية ، وقواتنا المسلحة ثم الشئ الرابع هو السياسة الخارجية ، التكامل مع مصر ، و سلام في المنطقة ، التعاون مع كل الاشقاء و الاصدقاء فى المنطقة و محاولة بناء تضامن عربى و تضامن أفريقى . " . . .

مما يؤكد بأن الشريعة لم تكن من أولويات الحكم عند النميرى وهو يفكر فى الولاية الثالثة . . . . .

بيد أنه قد فعل ما لم تفعله القيادة المصرية . . . .

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٨٣/٢/٢٠

كان السادات يلقب نفسه بالرئيس المؤمن و لا يرقى بالشرع لمستوى الدولة و الحكم . . .

" كان السادات كل يوم على شاشة التلفزيون يتمتم بشفتيه دعاء ويركع على ركبتيه صلاة ، وتسيل جفونه ورعاً و تبتلاً . "[1] . . . .

و أعلن نميرى قوانين الشريعة فى خريف ١٩٨٣ م [2] . . . .

" لن نتراجع عن الشريعة مهما اشتدت الضغوط و المؤامرات الدولية علينا " [3] . . .

و لما سالته الشرق الاوسط [4] عن ما هو دافعـه الشخصى غير الدافـع الدينى و الإيمانى لاتخاذ قرار الشريعة . . .

" نميرى .. الدافع الشخصى موجود .. أنا من الاشياء التى يمكن يلاحظونها في أنا لا احنث بالوعد و لا أميل للنكوص عن أى عهد .. ما أقوله أمشى به . " . . .

و تمت مبايعته إماماً .. فقال عن مبايعته كإمام للمسلمين [4] فى السودان . . .

" لقد بويعت كرئيس للجمهورية و هذا شىء عادى و عهد يقوم به كل المواطنين فى مناسبات كثيرة .. أما في هذه المناسبة فكانت المبايعة بعد اعلان الشريعة الاسلامية لهذا اتخذت اتجاهاً خاصاً ... لم ابايع كإمام وانما بويعت كرئيس للجمهورية .. أما مسألة الامامة فتأتى من بين مهامى ... فأنا زعيم السودان و انا أمام المؤمنين فى السودان ، وانا قائد المواطنين فى السودان . " . . .

(عند النطاح يُـغلب الكبش الأجَمُّ .) . . . . . .

و بدأت تطبيقات قوانين الشريعة ، و بدأت تساوى بين الناس فى العقوبات ...

---

(١) خريف الغضب ص - ٤٤٥ - هيكل (٢، ٣) الشرق الاوسط ١٩٨٣/١٢/١٠ م . .

(٤) أعلن نميرى القوانين ١٩٨٣/٩/٢٣ ، و أطلق فى ٨٣/٩/٣٠ م ١٣.٠٠٠ سجين كان متحدثهم فى حفل الإطلاق بكوبر الواثق صباح الخير ، وظهر خطأ القرار عندما كان المتحدث أول من رجع لجريمة البغى وحوكم و صار أول من شنق وصلب بكوبر . . .

(٥) آخر ساعة ١٩٨٤/٧/٤م .

وجرد النميرى عضو مجلس قيادته سابقاً من وسام ابن السودان البار ..
" فيما يتعلق بمأمون عوض ابو زيد فان التهمة الموجهة له كانت تواجده في بيت مشبوه، يضم عدداً من النساء والرجال ضبطوا فى اوضاع مخالفة للآداب مع وجود كميات كبيرة من الخمور والمخدرات .. وقبل ان يمثل أمام المحكمة هرب بدون جواز سفر للندن ..
وسنطالب الحكومة البريطانية باعادته لمحاكمته " [1] ..
وتحدث نميري عن قانون الطوارئ وتطبيق الشريعة في خطابه للعيد الخامس عشر للثورة وقال مرتجلاً [2] ....
" كل ذلك يعد الاسلام الحنيف ولكن الاسلام له طوارئ، فعندما نرى المجتمع قد فسد أو انحرف انحرافاً شديداً نعلن الطوارئ، ندخل البيوت نفتش الناس في كل مكان، من يشرب في الخفى ومن يزنى، كل بيت نفتشه وندخله، والاسلام أمرنا أيضاً بذلك، لأن بالرغم من ان الاسلام هو الدين الذى ذكرته لكم ولكن يجب ان نقوى الدين الاسلامى أولاً بتصحيح انفسنا، والآن نحن فى طور التصحيح [3]، سنقبض السائق الشارب والراش والمرتشي، والذى يخفى بضائع التموين فى المخزن والذي يهرب الأقمشة و كل هؤلاء الناس، نحن كقائد مسلم لهذه الأمة سنتخذ لهم الاجراءات و سنحاكمهم ونبترهم من المجتمع الاسلامى، وسنستمر في نشر الأسماء فى الجرايد وسنستمر نجلد على حسب الحدود [4] ونقطع الأيادى الى ان يكون المجتمع المسلم الصحيح . " ...

وبالرغم من اخطاء التطبيق فى قوانين ١٩٨٣م إلا إنها ادخلت الأمن لنفوس المواطنين باتخاذها بعض الإجراءات للمحافظه على حقوق المواطن وماله وعرضه واغلقت مواخير وحانات سكر،

---

(١) نميرى لمجلة الحودات- عفاف زين ..
(٢) التضامن ١٩٨٤/٦/١٦م
(٣) قارن بين هذا والنهج الإسلامي، وستبحث حتماً عمن كتب ...
(٤) شكل المجلس الاسلامى العالمي لجنة لدراسة القوانين الاسلامية بالسودان فبراير١٩٨٧م وجاء فى تقريرها ان جملة جميع حالات القطع (١٢) منها (٢) قطع من خلاف، وان جميع الحدود التى طبقت (الخمر، السرقه، الحرابة، الردة، الزنا، البغى ،القذف) (٨٢) حالة حسب الاحصاءات الرسمية الصادرة من ديوان النائب العام. ..

ورفعت غيرها من علامات الفضيلة ... كما انها عزلت وزراء عندما تدخلوا في الحكم و عاقبت شقيق كبير الأمن عمر محمد الطيب وجلدت الوزير الإقليمى بدارفور ، ووصلت العقوبة خلفاء الختمية وأحفاد الإمام المهدى كما طالت رقاب الصغار ....

و لما طالب د. المكاشفى برفع الحصانة عن النائب العام عندما رفع مذكرته لرئيس الجمهورية حتى تتم محاكمته بدأت القطيعة بين النظام ومؤيديه ، من الحركة الاسلامية ....

عندئذ وجد الخصوم فرصة للهجوم كجانب من الصراع داخل تنظيمات مايو بين القدامى و القادمين ....

" و حدث ما توقعناه من طلاق بين الثورة و الأخوان المسلمين .. ولم يكن هتكاً لحجب الغيب ، ولا فضاً للفائف العدم ، ولكنه توقع مصدره معرفتنا بتاريخ و أساليب عمل التنظيمات العقائدية ، و لأننا نعرف ان من سل سيف البغي قتل به .. و لاننا ظللنا نرقب من يحملون على الكتوف العصى و الفؤوس و يتربصون على حوافى الطريق ...

تلك الفئة التى تعودت أن تلبس لكل حال لبوسها من أولئك الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ." [1] ...

كما وجد الاعلام الغربى ضالته ، فقد نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية ابريل ١٩٨٥ م مقابلة مع نميرى تحت عنوان بهلوان السودان [2] ....

- يقال إنك بقيت طويلاً فى الحكم لأنك تقوم بالتوازن بين القوى بشكل بارع و تغير اسلوبك كلما وجدت ان ذلك أمر ضرورى ؟

" عندما اصبحت قائداً للثورة إعتقد اليساريون اننى ذلك الجندى الذى لا يعلم شيئاً عن السياسة .. لقد مرت الأن ١٦ سنة منذ ان توليت السلطة ... فأنا اشبه تماماً بطالب يعمل بجد و يحب دخول الإمتحان .. فأنا يومياً أقرأ فى مكتبى و أعد نفسى لحل المشاكل . " ...

---

(١) د. اسماعيل الحاج موسى - (سيناريو) الايام ١٤٠٥/٦/٢٦ هـ

(٢) الاهرام الإقتصادى ١٩٨٥/٤/١٥ م ، عن اليزابيث كولتون ، نيوزويك أول ابريل ١٩٨٥ م

- لقد ذكرت أخيراً انك ستصبح المفسر الوحيد للشريعة الاسلامية ؟ . . .

" نعم .. فالاسلام يقول إنه إذا ما اختار المسلمون حاكمهم فعلى الجميع طاعة هذا الحاكم .. لذا فإنه اذا أتى أى شخص من رعيتى وظن إنه بإمكانه تفسير القوانين فهنا اقول له :- لا .. هذا لا يجوز . " . . . .

(بيدىْ لا بيديك عَمْــــروُ .) . . . .

" إن الثــــورة التى لا يحميــها إلا جهاز الأمن لا تســتحق اسم الثورة " [1] . . .

يقول عمر محمد الطيب . . . . [2]

" عرف المواطنون المعنى الحقيقى للأمن ، فهو أمن المواطن قبل كل شىء فصار لديهم الحس الأمنى وأحب ان أعلن بصراحة وأمانة بأن معظم إنتصارات الجهاز التى حققها كان للشعب [3] دوره الحقيقى والفعال فى ذلك

وأعقبه كمال حسن أحمد نائب رئيس الجهاز . . . .

" إن جهاز أمن الدولة يمثل خط الدفاع الأول عن الثورة و الوطن والقائد و الذى يقدم الشهداء قرباناً لهذا الوطن الحبيب ليسعده و يشرفه ان تلتقى عناصره اليوم مع قائد المسيرة وأمل الأمة وحادى الركب ليؤكدوا له من جديد ولاءهم المطلق لثورة مايو و ليعبروا له عن فرحتهم و عرفانهم بالتقدير الذى طوق به عنقَ ابنٍ بَارٍ من ابناء هذا الشعب نذر نفسه فداءً للثورة والوطن . . . فكان وفياً وكان أبياً وعفاً وصادقاً . . . . "

(حاميــها حراميــها) . . . .

أدانت محكمة الفلاشا عمر محمد الطيب و حوكم سجناً ، وكان قبل رجب له كل شأن و أىُ شأن مع الفلاشا ، .....

---

(١) نميرى ١٩٧٣/٩/٢٤ م.

(٢) رئيس جهاز الأمن فى حفل تكريم نميرى له بكوبر ١٩٨١/٦/٢ م .

(٣) اشارة للعددية الكبيرة من المتعاونين و العاملين مع الجهاز و الذين وجدت اسماؤهم بعد الانتفاضة بالجهاز . . .

ينكر وجودها ويدير شئونها [1] ....

" هذه العملية من الأساس يستحيل ان تكون تمت عبر أرضنا ومطاراتنا وبعلم من أجهزة أمننا ... نحن على استعداد لأن نموت جوعاً ولا نتقبل دولاراً واحداً من اسرائيل لا بصدد تسهيل عملية موسى ولا بغيرها مما يمس التزام السودان القومي العربي ... خلال العام الماضي طبق السودان الشريعة الاسلامية وهذا سبب في حد ذاته للاتهامات التي تثار، وكذلك ضد السياسة المعتدلة التي يتبعها السودان ... نحن في كل يوم نكتشف مؤامرة في صورة مختلفه مرة للتخريب ومرة للإغتيال أو تسلل لاثارة النعرات أو بث الفتن القبلية وتوزيع بعض الأسلحة عليها .. وما يقال عن دور السودان فيما يسمى عملية موسى ليس سوى حلقة في هذا المسلسل ... يستحيل ان تكون عمليات النقل قد تمت من مطاراتنا المعروفة في جوبا في كسلا والخرطوم، اللهم إلا إذا حطت طائرات معينه في اماكن غير معلومة لدينا .. في احيان كثيرة تاتينا معلومات بأن طائرة ما قد حطت في جهات معينة ... سماء السودان واسعة واراضينا شاسعة ونحن نؤكد كحكومة إنه لا ضلع لنا في كل ما يقال حول الدور السوداني في عملية نقل الفلاشا ... [2] "

ولما سئل : هل يسمح السودان للاثيوبيين بالسفر لاسرائيل اذا طلبوا ذلك ؟!

" قد لا يعلنون عن رغبتهم في الذهاب الى مكان محدد .. ولو فعل أحدهم وقال أنا أرغب في الذهاب الي تلابيب لمنعناه بشدة ووقفنا في وجه سفره ومنعناه من مغادرة أراضينا ....

---

(١) جاء في كتاب (عن طريق التضليل والمخادعة) ....BY WAY OF DECEPTION.... والذى تحدث فيه مؤلفه فكتور اوستر عن نشاط وممارسات جهاز الأمن الاسرائيلى (الموساد) : بأن الجزء الأول من عملية ترحيل الفلاشا (OPERATION MOSES) تم بعد أن اقنع أنور السادات بطلب من " بيجن " النميرى ، واستمر ترحيلهم حتى اغتيال السادات في ١٩٨١ : .. اما الجزء الثانى فقد تم وباشراف عمر محمد الطيب تحت ستار الاغاثة الدولية بعد أن وافق نميرى على ذلك بطلب من نائب الرئيس الأمريكى (بوش) بعد ان التزم اليهود باكمال العملية في سرية تامة .. وكان وزير الخارجية أنذاك (هاشم عثمان) يعلم بذلك وقد حاول عمر إلصاقها باثيوبيا عندما انكشف أمرها في اجتماعه بالدبلوماسيين العرب والأفارقة يومئذ بالخرطوم ....

(٢) عمر محمد الطيب - الحوادث ١٩٨٥/٢/٨ م . والإتحاد ١٤٠٥/٥/٩ هـ

.. نحن لا نتعامل مع اسرائيل ولا نقيم معها علاقات دبلوماسية . " [١] . . .

وتبادره الصحفية . . .

(وزير الخارجية المصرى عصمت عبد المجيد يقول إنها تمت من السودان ... وهنالك شركة نقل بلجيكية تنقل الفلاشا من الخرطوم عبر مطارات أوربية ؟)

وتأتي اجابته [٢] . . . .

" تصريحات الشركة البلجيكية الناقلة يمكن ان يكون المتحدث باسمها شخص مشبوه وينفذ رغبات جهات متآمرة على السودان ... نحن لا نعلم أى شيء عن عمليات النقل التى أدعت الشركة المذكورة القيام بها ، ولم تتم عمليات ترحيل من غير علمنا .. اللهم إلا إذا كانت فى مكان سرى لا نعرف به .. لكن من مطار الخرطوم وبواسطة طائرات كبيرة تستوعب الأعداد الكبرى فهذا ما ننفيه جملة وتفصيلاً . " [٢] . . . .

(شر أيام الدِّيك يوم تُغسل رجلاه .) . . . .

وكان شر أيام نميرى يوم ان حطت الطائرة التى اقلته من واشنطن لمطار القاهرة ، عندما اخطره الرئيس مبارك بحقيقة الوضع فى السودان ، واخذته سيارة عادية وبلا صفير لتقف رجلاه ... عن السير فى درب السياسة الطويل ، من غير هدى وبلا دليل ، ليكتوى بنار نزع الملك ويظل فى المقاعد الخلفية يحلم بالعودة ويتجرع المستحيل . . .

وتأتى كلمات شمال الوادى . . . .

سألت الأيام السودانية [٣] ، الرئيس مبارك . . .

(من المؤكد أن التغيير الذى حدث فى السودان كان لابد ان يصيب هذه العلاقة بالاهتزاز ، لأن النظام البائد فى السودان كان يعطى انطباعاً - صدقاً أو كذباً - بأنه يعيش تحت حماية مصرية ! !) . . .

---

(١) عمر محمد الطيب - الحوادث ١٩٨٥/٢/٨ م . والإتحاد ١٤٠٥/٥/٩ هـ .

(٢) تمت عمليات النقل لبعض الفلاشا من مطار العزازة بالقضارف وباشراف ضباط الأمن ومعرفة رئيس الجهاز: ويبلغ العدد الكلى لليهود الفلاشا الاثيوبين ١٦ ألف نسمة .. لقى من وصل اسرائيل منهم معاملة سيئة بسبب لونهم الأسود، وبمطالبة الحاخام الأكبر بان تجرى لهم عملية التحول نحو اليهودية (عملية الاهتداء)، فزاد التشكيك فى عقيدتهم وعقده لونهم الاسود من شعورهم بالاضهاد مما أدى لإنتحار بعضهم، لذا فقد قررت اسرائيل إكمال عملية الاهتداء قبل انتقالهم لاسرائيل بواسطة رجال دين إرسلوا لاثيوبيا قبل استئناف عملية التهجير . . . .

(٣) محجوب محمد صالح ٢١ /ربيع أول /١٤٠٥ هـ .

وأجاب الرئيس المصرى ...

" نحن نتعامل مع حكومة قائمة فى السودان ، ونتعامل معها مدركين إنه لا يحق لنا ان نتدخل فى شئونها الداخلية وان الشعب السودانى هو الذى يحل مشاكله ويقرر نوع الحكومة التى يريد ، وما كانت الحكومة القائمة آنذاك تستشيرنا فيما تتخذ من خطوات ، ومن ناحيتنا كنا ندرك اننا لا نستطيع ان نفرض رأينا على حكومة أخرى واقصى ما كان متاحاً لنا هو ان نقدم النصح الأخوى ...

وأود ان أؤكد اننا في ذلك لم نقصر أبداً ... وقد ظللت أقدم النصح لنميرى فى اسوان وفى الأسكندرية وفى كل لقاءاتنا ، وظللت أحذره من مساره السياسى الذى يجد مقاومة من الشعب السودانى ، وليس ذلك فحسب بل أرسلت له عدداً من المسئولين من الوزراء أنبهه لذلك ، ولكنه لم يستمع لنصحنا ، وما كان فى مقدورنا ان نفعل اكثر من ذلك . " ....

ويظل ....

(جلد الخنزير لا يندبغ)

ليأتى عليه الحريق ... وهو يغازل مشكلة الجنوب بقراره بتكوين اللجنة القومية للسلام برئاسة سر الختم الخليفة ـ ويجعل من مهامها " اعداد صيغ الاتفاق النهائى القانونية والدستورية ، وتقديم المقترحات الواجب ادخالها على الدستور . " [1] ...

ويدركه الصباح وهو يحاول احتواء الختمية والاتحاديين بتكوين لجنة قومية لتخليد ذكرى سيادة السيد على الميرغنى وقادة الحركة الوطنية برئاسة الفريق أول سوار الذهب ويجعل من ضمن مهامها " جمع المذكرات والوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية وقادتها للاستفادة منها في تسجيل تاريخ السودان الحديث واثراء مصادره ، وطبع سفر يحوى مناقب ومذكرات سيادة السيد على الميرغنى ودوره فى الحركة الوطنية " [2]

---

(١) الصحافة ١٩٨٥/٣/١٤م " قرار جمهورى "

(٢) الصحافة ١٩٨٥/٣/١٤م " قرار جمهورى "

(الباب السادس)

فـقـهـاء السلطـان و جماعة الوسـط الضـائع

كان سَـنْـداناً فصار مِطْرَقـة ...

قال بعض الحكماء :-

" الذى يحدث للملوك التيه في انفسهم ، والإعجاب بآرائهم ، كثرة ما يسمعونه من ثناء الناس عليهم ، ولو أنهم أنصفوهم لأبصروا الحق ، ولم يخف عليهم شيء من أنفسهم " ......

ركن النميرى للحكم بعد الانقلاب الشيوعي عام عام ١٩٧١م معتمداً داخلياً على مؤسسات نظامه ...

" إننا لا نريد من مجلسكم هذا ان يكون حارق بخور ، أو مادحاً متهالكاً لا لرئيس الجمهورية ولا لجهازه التنفيذى ... كما لا نريد له ان يكون قادحاً مطففاً لمآثر الناس يغمطهم أشياءهم . " (١) ...

" الذى أريد ان اقوله وأوضحه ، اننى وكما تعلمون لست زاهداً فى المديح فحسب ، بل اعتقد مخلصاً اننى لا استحقه ... إن ما أريده واطلبه منكم جميعاً ان أسمع وبالصوت العالى ، نقداً بناءً لمنجزاتى وممارساتى لو شابها الخطأ أو تجاوزها الصواب . " (٢) ....

وصحبه أولاً في مسيرته هذه ، جماعة من العلماء والمنظرين والمفكرين والأدباء ... مهنيون واداريون وفنيون ومتخصصون ، وسياسيون ... هم من صنَعَ مؤسساته ...

ولما ذهب هؤلاء موتاً وابتعاداً وابعاداً ورفقة صامتة ، صحبه جماعة من نعنى بالوسط الضائع ... يبتغون عرض الحياة الدنيا بطلب المنفعة الذاتية والسلطة والمكانة في نفس القائد .. ولما صالح وشهد المعركة بين القادمين والقدامى صحبه جماعة القانون والتقنين والتشريع ...

---

(١) جعفر نميرى فى افتتاح مجلس الشعب القومى ١٢/١٠/١٩٧٢م .

(٢) نميرى في لقاء المكاشفه يونيو ١٩٧٥م .

... مصممو قوانين الشريعة ....

فمن منهم ذكره بحديث الرسول (ص) ...

" ما من والٍ إلا وله بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوا خبالاً فمن وقى شرها فقد وقى ، وهو الي من يغلب عليه منها . " ...

ومن منهم قال لنميرى كما قال طاؤوس لسليمان بن عبد الملك :-

" هل تدرك من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، من اشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه . " .....

وهل يعقل أن يفعل نميرى كما فعل سليمان عندما استلقى على سريره وما زال باكياً حتى قام جلساؤه ؟! ....

ومن منهم توج علمه ورفع هامته وانتصر لسلطان العلماء كما فعل الإمام مالك بن أنس ، امام دار الهجرة ، عندما طلب منه الخليفه هارون الرشيد أن ينتقل الى قصره ليقرأ موطأه على ولديه الأمين والمامون ، فقال :-

" أعز الله أمير المؤمنين ، ان هذا العلم منكم خرج فان أعززتموه عزّ وان اذللتموه ذل ، والعلم يؤتى ولا يأتى " ..

فقال هارون الرشيد " صدقت " وأمر ولديه ان يخرجا الى المسجد ليستمعا موطأ مالك وشرحه مع الناس .. وزاد امام دار الهجرة مشترطاً " على ان لا يتخطيا رقاب الناس ، ويجلسا حيث ينتهى بهما المجلس " ... فحضرا على هذا الشرط ....

" لقد استسمنت ذا ورم " ...

وضع د. جعفر بخيت بصماته في الصفحة الأولى من دفتر مايو ... الحكم المحلي واللا مركزى والإدارة وحاكمية التنظيم ودستور ١٩٧٣ الذى وضع كل السلطات فى يد رئيس الجمهورية ... وأدّى دوره تدريجياً " وقفزاً بالعمود " ....

" إلا ان المسودة الضافية المتكاملة فقد أعدها د. جعفر بخيت وأسهم معه فيها بدر الدين سليمان وشخصى . " [1] ...

ووصف د. بخيت نميرى أمامه بأنه ...

" تجمع فيه روح بعانخى وتهراقا والمهدى ورث الشلك وبادى أبو

(١) د. منصور خالد - النفق المظلم - دستور ٧٣م .

شلوخ " [1] . . . .
ويصفه من خلفه . . . .
" هذا صنم صنعناه بأيدينا ولن يذله إلا رب العباد . " [2] . . .
وتأتى ذكرى الأربعين لوفاته [3] ... فيقول نميرى فى تأبينه :-
" لقد عرفنا فيه نحن زملاؤه فى الاتحاد الاشتراكى السودانى ثباتاً على المبدأ لا يتزعزع ، وصموداً فى الموقع لا يعرف التردد أو النكوص و التزاماً صادقاً فى تحمل المسئولية وأداء الواجب وعشق العمل والتصوف و التبتل فى رحابه تجويداً ، خلقاً وإبداعاً . . .
لقد عرفت فيه موطن ثقتى الأمين وذخر نصحيتى الصادق ، ويمينى التى لا تلين .. لقد عرفت فى الصديق الراحل ولمست فى مواقفه وممارساته انبل وأكرم مثل وسجايا شعبنا من صدق الكلمة والوعد وصفاء النفس و طهرها ووفاء القلب وشجاعة الرأى ، وقد زانه فى كل سعيه وشاح من نبل القصد والأدب والتهذيب وعفة اللسان الذى كان برداً وسلاماً على من خالفوه الرأى وجادلوه فيه قبل الذين نهلوا من نبعه وساروا علي نهجه . "
كان نميرى يتلو ما يكتبه له كتاب الخطابات الرئاسية السياسية [4] .. كان (مثل ابنة الجبل مهما يَقُلْ تَقُلْ) . . . .

وجاء دور الأديب عمر الحاج موسى . . .

و " لَيِّنُ الكلام قيدُ القلوب " . . . . . .

" أهلى لا ينسون هم كالصاغة أعلم الناس بخير الذهب ... هم كالنسابة أعلم الناس بجيد النسب . . .
وأحبك أهلك سيدى الرئيس لأنك كرمت القرآن ، وأمرت مساعديك ومعاونيك ان يكفوا عن لعب الورق وشرب العرقى واستباحة الجمال ... وأحبوك لأنك تصلى معهم الأوقات الخمس اماماً لهم فى جماعة تكفي سهوها ويدخر لنا أجرها ..

---

(1) ١٩٧٥م . . . .   (2) جعفر بخيت لأبى بكر الوقيع (د. منصور خالد النفق المظلم)
(3) ١٩٧٦/٥/٦م : " من أقوال د. بخيت " الدولة لا تتعبد ولا تصوم ولا تصلى
(4) عمر الحاج موسى ، منصور خالد ، مهدى مصطفى الهادى ، جعفر بخيت بدر الدين سليمان ، أبو بكر عثمان ثم محمد محجوب سليمان وآخرون . . . .

أحبك أهلك سيدى الرئيس ، لأنك فقير جئت من أب و من أم من عامة الناس ، و احتفظت بنقائك لا دار ولا عقار لا متاع ولا أنعام . " [١]

وختم حديثه ، ترنيمة الوداع الأخيرة بقاعة الصداقة [٢] . . .

" سيدى الرئيس : الأمر ليس بيدك و الخيار ليس لك فالرأى رأى الشعب السودانى .. وعاش الشعب السودانى اللطيف الخبير الجبار المتكبر .. و شكراً جزيلاً . " . . .

وما كان له بعد ذلك من قول إلا نعى الرئيس . . .

" كان حتى آخر لحظة كما عودنا الى جانبنا ، وراء المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى تنظيماً وتخطيطاً .. وتابع أعماله بعواطفه وفكره وجهده حتى سقط شهيداً فى ساحته . " . . . . ومن سابق الدهر عثر . . .

" الـرأويـــة أحــــد الشانهين . " . . . . .

د. منصور خالد فى مايو [٣] كان وزيراً للشباب و الرياضة و الشئون الاجتماعية وكانت أول مهمة أوكلت إليه " هى التعبير عن السياسات والمبادىء التى أعلنها النظام منذ مولد الثورة " . وهو أول من أنشأ كتائب الشباب و سن المهرجانات الشبابية بالمساعدة الكورية ، وهو فى بحثه عن فلسفة" خاصة" بمايو دعى للملتقى الفكرى بالخرطوم [٤] . . .

." ومهما يكن من أمر فإن ثورة مايو نفسها لم تكن ثورة ايديولوجية ولم تكن لقادتها التزامات ايديولوجية بعينها سوى الوطنية الايجابية وبما أنها طرحت شعار التلاقح الفكرى .... ، فبمثل هذا التلاقح الفكرى وحده نستطيع تكوين فلسفة أصيلة خاصة بنا بدلاً من السعى وراء حوانيت الايديولوجيات لإبتياع المعلبات الفكرية . " . . . .

ثم كان وزيراً للخارجية و التربية و التعليم و أحد مستشارى الرئيس ، وهو عضو اللجنة التأسيسية للاتحاد الاشتراكى وعضو لجنتة المركزية ومكتبه السياسى ، و مساعد للأمين العام للفكر و المنهجية و الدعوة و عمل رئيساً لمجلس إدارة الصحافة . . .

---

(١) من كلمته فى ترشيح و انتخاب نميرى رئيساً للاتحاد الاشتراكى

(٢) المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى ١٩٧٧/٢/١م .

(٣) عرف منصور قربى صانعى القرار و السلطة فى الخمسينات بعمله سكرتيراً لعبد الله خليل رئيس وزراء حكومه السيدين عن حزب الأمه . . .

(٤) ١٥-٢٢ مارس ١٩٧٠م .

" وكان د. منصور يردد إنه مع الديمقراطية ، ولكن تعدد الأحزاب مستحيل في بلد ثلاثة أرباع أهله أميون ، يعيشون دون المستوى المقبول انسانياً ويخضعون لسيطرة القبيلة التى ينتمون إليها .. وكان يرى ان الحاكم لابد ان يعتمد على حزب واحد ، أو تنظيم سياسى واحد يشكل من دعامتين ! الدعامة الأولى وهى " الصفوة " من رجال البلد ، والدعامة الثانية هى العقيدة السياسية التى تنبثق من تراثهم .. وهو يرى ان تحقيق مثل هذا التنظيم السياسى الديمقراطى لا يمكن ان يتم عن طريق قرار برلماني لأن " القول بأن برلمان السودان قد قرر ما قرر استجابه لنداء الجماهير قول يجب ان ينظر إليه بحذر ولا أريد ان أقول مع القائلين ان الذين اجتمعوا إنما همج هائج ورعاع منتشرة " ثم يدافع عن رأيه " اننا نتحدث اليوم عن الديمقراطية وحكم الشعب والاشتراكية والتنمية .. وكل هذه الأشياء غيبيات عند الرجل الريفي ولا يمكن ان يستجب لها ويتفاعل معها ، مالم تكن هنالك توعية . ". . .(1)

وقد سئل د. منصور عن مخاطبته الصفوة على وجه التحديد (2) ... فأجاب ...

" لعلك تقصد كتاباً كان ميلاده فى الستينيات وفيه حرصت على ان أوكد حقيقة هامة .. ذلك إنه فى مجتمع العالم الثالث نعتبر الصفوة هم اكبر وكلاء التغيير ، فالصفوة هى التي تملك ان تترجم بلغة العصر أحاسيس الجماهير . " .. ولما قال له السائل : ولكنك (تعزل) الطبقات الكادحة وهى من جسد الشعب وهيكله !! .. قال ...

" الطبقة الكادحة فى المجتمعات التى ليست كمجتمعات أوربا المتقدمة حيث ان هذه الطبقات لها من الوعى السياسى ومن تراث النضال السياسى ، ما يجعلها ليست فقط قادرة على التغيير بل ومدركة لمحتوى هذا التغيير وأهدافه . " . . .

ويؤيد حل مايو لمشكلة الجنوب ويدافع عنه ، ولكنه لم يفصح عن الأشياء الأساسية التى بدأ يقبلها الجنوبيون وماكان الحديث عنها بممكن من قبل الاتفاقية . . . .

" تريدنى ان أقدم تقييماً لتجربة الحكم فى الجنوب .. وهذا هو التقييم

١- فى ظنى ان هذه التجربة رائدة وفريدة .. رائدة كأسلوب للعمل السلمى

(1) جريدة الاتحاد ١٤٠٥٨١ هـ فتحى غانم .

(2) صباح الخير ١٩٧٧/٦/٢م مفيد فوزى .

لمشكلة مستعصية وحل فريد من ناحية الصيغة . .

٢- هذه التجربة تدرسها أحدى مؤسسات جامعة لندن ، فهم يدرسون هنالك مشكلة الجنوب كنموذج ، وشرح اسلوب المفاوضات و الإعداد له .. و كيفية الوصول الى صيغة معينة . .

٣- الجانب الأخر من تقييم التجربة هو " السرعة " التى تمت بها ، إذا اخذنا فى الاعتبار إنه فى خلال سبعة عشر عاماً من الصراع الذى كان قائماً ، و خلق قدراً كبيراً من عدم الثقة ، فبعد توقيع الاتفاق سقطت الحساسيات وذابت وكان الإطار الذى انتهى بأن الأخوة فى الجنوب بدأوا يتقبلون أشياء أساسية بالنسبة لنا ، بل ما كنا نستطيع الحديث عنها قبل عقد الاتفاق . "(١) . . .

ويصف د. منصور اسلوب نميرى لازالة شكوك لاقو عند الاتفاقية . . .

" بيد أن اسلوب الرئيس نميرى فى معالجة هذه الشكوك كان اسلوب السياسى الماهر . "

ويدافع عن نظام مايو عملاً و أمناً . . . .

" و فى الجانب الآخر لابد ان يدرك المخاصمون و الناقدون بأن النقد الأمين لا يقبل التحامل الظالم الذى ينكر حقائق الحياة خلال تسعة اعوام من العمل المشهود كقرآن الفجر ... فالنقد الأمين لا يبيح ان يغمط الناس اشياءهم كما لا يبيح الاسراف الطافح فى تهويل الأحداث بصورة تحتقر العقل والمنطق ، كأن نرى فى التذمر النقابى المحدود ايذاناً بثورة شعبية ، ونرى فى اجراءات الحماية المشروعة لكيان الدولة و حقوق العباد مظهراً للفاشية ... ويكاد من يسمع لمثل هذا الهذر يظن اننا نعيش فى اكبر دول العالم قهراً مع اننا نعلم علم اليقين ان هنالك ما يعصم أجهزة امننا القومية من الانحراف نحو القهر ، و الذى يعصمها قبل القانون و الدستور ، انما هو شرع عشائرى . و شرعنا العشائرى هذا يحسب تعطيل الارحام اثماً ، و يلجم المغالين فى هذه (٢) الأجهزة بل يحملهم على تقليم أظافر العداء بالحلم لا بالقهر ، و الحلم عشيرة كما يقولون . " . . . .

---

(١) د. منصور خالد - صباح الخير ١٩٧٧/٦/٢م .

(٢) د. منصور خالد - الصحافة ١٢ /١٩٧٨/٤ . . . .

وفجاة ياتي د. منصور وحاله هاتفاً ....

(قد كان ذلك مرة فاليوم لا) ....

ويجيبه الماضى ....

(ما ذنبى .. يداك أوكتا وفوك نفخ) ....

فيدافع د. منصور فى صفحات كتبه ...

" وحقيقة الأمر ان هذا النظام إن استطاع خلال اعوامه التسعة [1] ان يسور عديد المشاكل وخطيرها ويتجاوزها ، فإنما فعل هذا بالمجابهة الشجاعة لا بالمخاتلة وبالمراجعة الجريئة والمسئولة لا بخداع النفس . "[2] ....

ويتحدث عن اسلوب النميرى فى الحديث والخطاب ...

" وبهذه الروح كانت خطاباته لزملائه ومساعديه خالية من القدح والاساءة لأن كُتّاب الدولة آنذاك كانوا يتمتعون بقدر من الوازع الأخلاقى والفكرى . " [3] ......

و" وكنا وسنظل بالحس والوجدان اصحاب حق فى التباهى بهذا الإنجاز .. إنجاز مايو فى عشر سنوات ، كما كنا وسنظل ذوو مسئولية عن بعض هذا الإخفاق وسيبقى هذا الإلتزام الفكرى والوجدانى بالنظام الذى وفر لنا فرص الأداء الكبير بكل انجازه واخفاقه ، حقيقة لن يضعفها شعور بالإحباط أو غيظ من كل الأخطاء التى ترتكب باسم الأهداف النبيلة التى نهضنا من أجلها . " [4] ....

اين هذا الإنجاز من ....

- نتيجة انتخابات الولاية الثانية للرئيس ، ٩٩/١٪ ... [5]
- و" أى معلم أو طالب لا ينخرط فى التنظيم لابد أن يحسب فى عداد غير الملتزمين بالثورة مهما انجز وجود من أجل العلم ومن أجل الوطن . " ... [6] ...

---

(١) اعفى د. منصور فى ١٩٧٨/٧/٢٩م .   (٢) لا خير فينا ص ١٢/

(٣) لا خير فينا ... ص ١٣٣ .

(٤) لا خير فينا ... ص ١٦٢ .

(٥) اعلنها محمد الباقر احمد ١٩٧٧/٤/٢١م .

(٦) فرع الطلاب جامعة الخرطوم فى مناقشة قوانين التعليم العالى الأربعاء ١٩٧٥/١١/١٢م

– و" إن أساس الإختيار و الانتماء لمواقع العمل المختلفة لابد أن يكون فى المقام الأول الالتزام السياسى و دونما تحديد لما نعنيه بالالتزام السياسى[1] و" برئت قائبة من قوب . " ....

(عندما يترك الوزير أو الكبير منصبه مغالاً أو مطروداً أو مبعداً فإن كثيراً مما يكتب لا ينظر اليه بارتياح حتى عندما يقول الحقيقة لأن الكاتب فى هذه الحالة صاحب موقفين متباعدين متناقضين .. الأول موقفه وهو يؤيد ويصف مادام فى الحكم و الثانى موقف المعارض الذى يتمادى فى اللّدد فى الخصومة لأنه أبعد من منصبه ، و من سوء الحظ أن كثيرين فى العالم العربى من النوع الأخير .)[2] ...

و" ولعله من أبشع مظاهر عدم المسئولية ان يتحدث المسئولون بعيداً فى الونسة و يصمتون قريباً داخل الأجهزة ، أن يلوذوا بالصمت و يكتفوا بالمسايرة فى مواقع المسئولية ثم يستاسدوا ويستنسروا ويصولوا باللسان والقلم عندما يبتعدون أو يبعدون ، و الأمثلة كثيرة ، أو عندما يخلون للاصدقاء والأصفياء من خلف الحاكم و الأمثلة كثيرة ....

فهاجس السلطة عند المثقف كثيراً ما يضع هذا المثقف فى تناقض مع ذاته و مع مجتمعه ، و فى معركة بين ماضيه و حاضره و في صراع بين افكاره و مطامحه ، و هى الظاهرة التى استوقفتنى و تطرقت إليها كثيراً فى كتابات سابقة لأنها ظاهرة متفشية فى وسط كثير من مثقفى العالم الثالث .. و خصوصاً فى العالم العربى .. فكثير من المثقفين الذين يرتقون أعلى المواقع ويتحملون أكبر المسئوليات و اخطرها يشغلون بمظاهر السلطان و ظواهر السلطة ، و عندما يكونون بعيدين عن مواقع و مقاعد الحكم يضعون على رؤوسهم عمامة الاستاذية و يعتلون المنابر و يتفننون فى اساليب النقد و الهجوم ويسوقون ألوان النصح والإتهام و يبرعون فى تلقين دروس المسئولية . "[3] ...

---

(١) تعميم مجلس الوزراء للقيادات و الأجهزة التنفيذية ...

(٢) جريدة الجمهورية ١٤٠٥/٥/٢٣هـ (من القلب) محسن محمد .

(٣) د. اسماعيل الحاج موسى – التضامن ١٩٨٤/١١/٤٢م العدد (٨٥) فى دهاليز السلطة – مذكرات لم تكتمل (لم تفلح الثورة فى محاربة النفاق و الرياء السياسى الذى نما واستفحل فى عهدها)

" كل شاة تناط برجليها " ....

فى كتابه السودان و النفق المظلم يبحث د. منصور خالد عن مبررات لما تركه عمله و فعله من اثر لمايو ، وهو الذى قدت سيور مايو من أديمه ، وجاءت عصارتها من عوده ، ولا يفوت على فطنه القارئ ان يتحسس بين السطور كيف كان النميرى قبل ان يصنع منه الفقهاء صنماً . . .

" من الجلى الذى لا خفاء فيه أن نميرى ١٩٧٤م كان يدرك قدر نفسه و يعترف باقدار غيره مما زاد من تقدير الكثيرين منا له ، و اعجابنا به وما بلغ به التيه مبلغاً يجعله يدعى لنفسه مالا يفعله [١]

" ذلك هو نميرى عام ١٩٧٤م بشر مثل الناس جميعاً يتعلم من الآخرين يخطئ و يعترف بالخطأ و يسأل العارفين النصح و المشورة و ينتقى معاونيه حسب علمهم من ذوى الهمة و المطمح و مخبورى التجارب .... وفوق كل هذا لا يدعى بحال إنه ملك السودان الفيلسوف . . " [٢] . . . .

و التاريخ الذى يحدده د. منصور خالد لبداية تحول النميرى هو ليس السنوات التسع أو العشر التى مرت منذ ١٩٦٩م وحتى ١٩٧٨م ، سنوات مصاحبته لمايو ... و ما تلك بكبيرة أو عسيرة على مقدرات د. منصور التبريرية فقد حوت مقدمة الكتاب أن جعفر نميرى و لمرات عديدة حاول التهرب من المسئولية فى لقاءات المجابهة بين الأجهزة السياسية و التشريعية والتنفيذية . . .

" إلا أن الحاكم الفرد ظل يتصرف كأن العالم كله لا عقل له .. ولن يجنح الى مثل هذا إلا حاكم ذهبت عنه كل مذاهب الحشمة و الحياء . " [٣] . .

بالأمس القريب يصف د. منصور نميرى بانه بطل السلام فى الجنوب .. و إنه زعيم التجديد .. و داعية التطور العلمى .. ..

و عند الفراق صار النميرى سياسياً حربائياً . يفعل ما فعل بإسم الدين ، الدين عنده مزيج من النفعية السياسية و التخبط الروحانى ، و يمارسه إرهاباً

---

(١) النفق المظلم ص ١٠٤

(٢) النفق المظلم ص ١٠٥

باسم الدين . . . . و يؤيد متحفظاً بان شيئاً ما قد طرأ على قوى نميرى العقلية كما هو فى نظر الأغلبية ، بينما القلة فى دهشة من أمرها . . .

" و بالرغم من هذا فإن تحليل شخصية الرئيس نميرى ليست الأمر السهل ... فنميرى ليس هو فقط قائداً يعانى من جنون العظمة ، فلو كان هذا لهان الأمر .. إن لشخصية الرئيس نميرى وجوهاً خمسة لا تجمع بينها رابطة أو وشيجة بل تعمل كل منها بمعزل عن الأخرى .. فنميرى زعيم حالم طامح سعى أو يظن إنه يسعى لبناء السودان على صورته .. و نميرى رجل استبدادى لا يطيق ان يرى قيداً يحد من سلطانه حتى وان كان هذا القيد هو القانون الذى وضعه هو أو مهره بتوقعيه .. و نميرى رجل خرافى تذهب به الخرافة مذاهب بعيدة ترفضها العقلانية ولا يبلغها أى رجل بلغ الحد الأدنى من الإستنارة .. و نميرى رجل منتقم يسعي ما وسعه الأمر الى إذلال خصومه أو من يخيل إليه انهم خصومه مما افقده أدنى درجات الوفاء حتى لرفاق سلاحه ، من حمله منهم الى سدة الحكم ، و من وقف منهم يدافع عنه بالسيف الراعف حتى الممات ، و من انهضه من تحت نعال الموت ... و نميرى مع كل مظاهر شجاعته ، رجل يخشى المجابهة و يفر عند أول لقاء مما يفسر الكثير من مواقفه المتناقضة مع خصومه بل و يفسر غلوائه فى الاستفزاز والاستعداء ساعياً دوماً للطعن وحده ، و النزال فى أرض خاليه يختارها هو وميقات يحدده هو .. وفى قول الأحنف بن قيس " اسرع الناس الى الفتنة أقل الناس حياءً من الفرار " و نميرى فوق كل هذا ومع كل ما اعتلاه من منصب و أتيح له من فرص لتقليم النتوآت فى شخصيته ما زال يعانى من خصيصة هامة من خصائصه الا وهى " البلطجة " ، وهى بلطجة تشهدها حتى فى تعامله مع الأبعدين ناهيك عن الأقربين . . " (١) . . . . .

" ولا شك فى ان جعفر نميرى رجل لطيف المعشر ذو قوة واسعة على كسب الناس دوماً بارتدائه عباءة الرجل البسيط مما يترك انطباعاً حسناً عند من يتلقاه لأول مرة ، و كثيراً ما تظاهر نميرى بمظهر الرجل المظلوم ، والمغلوب على أمره ، وهذه كلها مظاهر ، فالرجل كله مظهر دون مخبر ، وشكل دون محتوى ... و يتصف نميرى بشخصية قلقة تكره الوحدة و يفسر هذا حرصه الدائم على احاطة نفسه بالصحاب من أصحاب الهموم الدنيوية ، وممن هم أقل ضعفاً منه حتى يحيطهم بحمايته ورعايته ، ولم يعرف عن الرجل

---

(١) د. منصور .. النفق المظلم ص ٨/٩

حرصاً على القراءة ، فالقراءة رياضة وجدانية ، إلا إنه بالرغم من ذلك أصبح مؤلفاً على أخريات أيامه . " . . . [1]

و الأمر متروك لك أيضاً أيها القارىء الكريم .. و لمقدرة ذاكرتك على استرجاع و تذكر حوادث الأزمان ، و الربط و التوفيق بين المواقف المتباينة ، لشخصية واحدة ... و حسن استنتاجك فى محكمة التاريخ ووحدة الزمن .... ثم حدد لنفسك مختاراً . . . .

من هو المصاب بداء النسيان .. القارىء أم من نَظّرَ وحَدّدَ وبَرّرَ كل السياسات و الاتجاهات الرئيسية لحكم الفرد المستبد و بناه و تركيبه ، حتى اذا ما رأى النعش المايوي ، بدأ مصفقاً مُهلّلاً مبشراً بعهد آت [2] معتقداً ذكاءه وغباء الآخرين . . .

ظل د. منصور إبناً مطيعاً باراً بمايو .. مارس فيها حياته السياسية والإدارية و التنفيذية و الفكرية على أعلى مستويات الدولة و محافلها الداخلية والخارجية ... نظر كثيراً و ساهم في اصدار قرارات عدة سكت عن بعضها و أيد الآخر ... هو مع مايو يؤيد دكتاتورية التنظيم الفرد ؛ وهو ضدها مع التمرد قومي يرى اشتراكية الموارد و علمانية الحكم و احقية العنصر الأفريقى فى حكم السودان (سيحكم السودان من ليس بمسلم و لا عربى) . . . .

" ليس هنالك صيغة مقدسة ، ولكن صيغة الحزب الواحد أو التنظيم الواحد لا يصلح ، كما أن صيغة التمثيل النسبى لا تصلح .. التعددية هى الصيغة التى تتيح لكل القوى الوطنية فرص التمثيل وحقوق التعبير عن الرأى حيث يبقى الحسم للرأى الغالب أو قرار الأغلبية ، و إذا كان من واجب الاقليات ان تنصاع بروح الديمقراطية لرأى الأغلبية ، فإنه يكون بالمقابل من واجب الأغلبية ان تحترم و تعتبر رأى الأقلية أو الأقليات .... و أنا لا أذيع سراً اذا قلت ان اكبر تجمع وطنى خارج السودان وهو تجمع المغتربين فى دول الخليج لعب دوراً هاماً قبل الثورة (رجب) حيث هيأ لها و كان لدوره انعكاسه وتأثيره داخل السودان .. وهذا التجمع هو الذى وضع الميثاق الذى قبله السودانيون جميعاً . " . . . . . [3]

---

(1) د. منصور .. النفق المظلم ص ٢١ . (3) د. منصور خالد - الصحافة ١٨/٥/١٩٨٥م

(2) انضم منصور خالد لحركة التمرد فى ١٩٨٤م لأسباب يحدد أهمها بكونها " أعتمدت فى نضالها لتحقيق مشروعها السياسى المزج بين الجانب السياسى الشعبى و الجانب العسكرى " - الأهالى المصرية .. وعمل من بعد فى صفها فنياً خبيرا و مستشاراً سياسياً لقائدها " قرنق " . .

" السكوت أخو الرضا " ....

وبقيت شهادة الرئيس وسجلات أمنه ومخابراته ...

ذكر العميد الهادي بشرى، المسئول عن تصفية وحصر ممتلكات جهاز أمن الدولة المايوية بعد الانتفاضة، في مقابلة مع القسم السياسي لجريدة الصحافة، عندما سألته :-

(وانت الذى دخلت مطبخ النظام ووقفت على طباخته وأوصافها والسموم الموضوعة فى بعضها فإلى أى مدى تلمس صدق ما كتبه منصور خالد ؟ !)

" العميد يجيب :- ... بصراحة قد لمست الصدق فى بعضها كما تأكدت إنه فى كثير من الأحيان كان يكذب، ومن خلال المستندات تأكدت من كذبه هو وامثاله من اعلام بعض الأحزاب ومن العاملين فيها الآن. "....[1]

وعندما سألت نفس الصحيفة نميرى حول ما يراه فى سلسلة المقالات التى يكتبها د. منصور خالد هذه الأيام[2] ... أجاب النميرى رئيساً ......

" اننى اتابعها كقارىء واحتفظ بحق المقارنة بين ما هو مطروح وبين أسلوب المشاركة وحصيلة المشاركة لكاتب المقالات حينما تعاون معنا منذ تفجير الثورة وحتى شهور قليلة مضت. " ....

ترى ماذا سيقول النميرى طريداً لو تهيأت له مقدرة الكتابة وجمع شتات الذكريات، وأيام مسرة الرئاسة وكتب عمن كان حوله من رجال ؟ ! [3]

إن ما فعله منصور خالد من موقف تجاه مايو ورجالها ليس غريب على تاريخ الكتابات السياسية فى العالم العربى فالامثلة كثيرة .. فمن قبل أدار محمد حسنين هيكل انتخابات استفتاء الرئيس أنور السادات للرئاسة وكانت نتيجته ٩٠,٠٤٪ من أصوات الذين اشتركوا فى الاقتراع لصالح السادات ....

" ولقد أدرنا الحملة الإنتخابية لأنور السادات للأستفتاء على رئاسة الجمهورية على أساس إنه كان الرجل الذى اختاره جمال عبد الناصر لهذا المنصب بنفسه حين أحس باحتمال خطر على حياته ؛ وحين توج السادات

---

(١) الصحافة ١٩٨٦/٢/١٣م (د. منصور خالد كذب كثيراً وفق مستندات الامن).

(٢) الصحافة ١٩٨٠/٢/٢٣م بخيته أمين ...

(٣) بالرغم من المحاولة المتكررة للتيقن من حقيقة ما كتبه جعفر نميرى منفياً بمصر عن (رجال كانوا تحت حذائى) ومخالفة واقتراح كاتبه ومستشاره الصحفى محمد محجوب سليمان بتغيير الاسم ليصير (رجال كانوا من حولى) إلا اننى لم اقف على جلية الأمر السماعى النقل ... ويظل ذلك همس مجالس فقط ...

بعد أعلان نتيجة الاستفتاء الذى لم يكن هنالك من ينافسه فيه . " [1] . . . .

و أجرى السادات استفتاء آخر بعد مظاهرات ١٩٧٧م كانت نتيجته ٩٩,٤٣٪ [2] . . . .

و عنها كتب هيكل منتقداً . . . . . .

" وأصبح السادات في اخريات أيامه يصدق كل ما يقدم إليه من نتائج استفتاءات و يصر على ان اكثر من ٩٩٪ من المصريين يؤيدون سياسته و ان لا أحد يعارض سوى قلائل من الأراذل و المنحرفين ، ولم يكن على استعداد على الإطلاق لأن يعرف ان كل استمارات الإستفتاءات تملأ في الريف بواسطة الإدارة و بدون ما حاجة الى شكليات عملية الاقتراع بما فيها عد الأصوات .. " [3] . . . . . .

و أحسبك توافقني على أن فارق النتيجتين (٠,٣٦٪) لا يكفي لإشعال ثورة هيكل على السادات ، ولا أن يكون قناة تتسع لسريان لعنات خريفه الغاضب . . . .

وخلفوا من بعدهم خلفاً ينشدون . . . . . .

" إني لأرجو منك شيئاً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل "

جمعت مايو ، كحاطب ليلٍ ، العالم المستنير ، و الجاهل و المغرور ، ولكلٍ طريقته في حرق البخور ... وتساوى في صفوفها الإدارى ذو الخبرة والمهنى ذو الكفاية ، و رهط من سماسرة الأسواق و رجرجة الطرقات ... ومن كُلٍ تجد من أجاد مسح حذاء الأمير و أدمن لعق خف السلطان ، واحترف كَيْ جوخ القائد ... و منهم ذو القدرة على فهم وادراك و تحليل ما يدور ، ولكنه يضع على عينيه غشاوة لأن النفس جُبِلَتْ بحب الذات و الجرى وراء المزايا الشخصية الوفيرة حول الحاكم . . . .

أرادتهم مايو فى البداية للمشورة ، لأنه بها يكسب الحاكم ثقة أمته ، وتزيد ثقته فيها، ولأنه بها تزداد الأمة وعياً و مشاركة فى تدبير السياسة ... وبها يزيد عقل الحاكم و تتفتح بصيرته ، فيتقن تدبير الأمور و يبتعد عن دائرة الإستبداد ... وضَلَّ الجمعان .. فقد أوهموها بالمشورة لأنهم فقدوا الإخلاص لها بعد ان لم يجدوه فيها ، وبعد أن تدثر المستشيرُ والمستشار بالهوى والغرض ، وبعد أن بات مستحيلاً أن

---

(١) هيكل – خريف الغضب ص ١٠٠

(٢) نتيجة انتخابات النميرى للولاية الثالثة فى ١٩٨٣/٥/٣م كما أعلنها عمد محمد الطيب ٩٩,٦٪ . .

(٣) هيكل – خريف الغضب ص ٣٧١ ، ٣٧٢ . . .

يتواضع الأمير ، وأنْ يبارح نفسه الإعجاب والبطر ... وفضل هؤلاء العيش بلا فكرٍ تحت مظلة الحاكم ومراقبته واستبداده ... يعتقدون ان مايو هى جوهرةً عقد التاريخ . منها يبدأ تاريخ السودان وبها سينتهى ، فهى المنقذة أبداً بإذن الله . وسيتم تنصيب قائدها رئيساً مدى الحياة ، بقناعة التوحيد المطلق بين شخص الحاكم والمواطن (الرئيس القائد) ،واتباع المثل فى مصر الشقيقة حيث ربطت رئاسة السادات بالإيمان (الرئيس المؤمن) ، وليكون النميرى (الرئيس المؤمن والقائد الملهم جعفر المنصور الرائد الذى لا يكذب أهله .) ....

وكثر المهرجون من ذوى الثقة والولاء السياسى الذين لم يتدربوا على سياسة أو إدارة .. وغيرهم من الوصوليين و " الهتافة " ، على قمة التنظيم ومؤسساته وحكومته ودولته ... ونادوا هاتفين باهمية القيادة المركزية الوطنية القوية التى تجمع وتوحد حولها الناس ، وصاحوا بنميرى أنه ذلك الرجل ، أوليسوا هم كالنسابة والصاغة يعلمون جيد النسب والذهب ؟ ! .. ولما طالب بالجماهير ، أرادوها جماهير تأييد تهتف بالتصفيق والتصديق ، وتحت جلبة التصفيق تسمع كلمات الرئيس وتصدق ما يقول ...

وشهد شاهد منهم ...

" مع اننى اشهد لنميرى رحابة صدره إلا أن الذين من حوله هم الذين شجعوه بالصمت لا بالإفصاح .. والذين احاطوا به لم يعينوه بالإشاره لمواطن الأخطاء بل زينوا الأخطاء بأنها مزايا . "

(أدب المرء خير من ذهبه) ...

بعضهم يحب الغموض وحتى يكون أرضاً واطئة تشرب ماءها وماء غيرها ، ويفوز بالأمارة ولو على الحجارة ، يعرف ويحفظ جيداً الحديث النبوى (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) .... لشىء فى نفس يعقوب فقد سألت يوماً أحد محررى وكالة السودان للأنباء (سونا) عن ملفات د. بهاء الدين ومستشار الرئيس الصحفى محمد محجوب سليمان لأنى لم أجدها

بالرغم من وفرة كل ملفاة قادة مايو ... ضحك وقال وراء ذلك سر عميق ... وواصل :-

" عندما فكرت الوكالة فى طريقة لتوفير المعلومات للبحث و التاريخ وتسهيل الحصول على ما يتطلبه التحرير من معلومات عن قادة البلاد و سرعة تناولها ، أعدت سونا استمارات ووزعتها على كل الوحدات و المؤسسات والوزارات الحكومية و رئاسة الجمهورية ، و أعيدت كل الإستمارات ماعدا خاصة المستشار الصحفى للرئيس ولم يعرف السبب ... و عندما فتحت استمارة بهاء الدين وجد مكتوباً عليها " أريد أن أكون غامضاً . "[1] .. و سيستبين السَفَرَ اكثر من يقرأ كتب الرئيس عن التوجه الاسلامي و يرجّع لمقدمات القرارات الجمهورية لتقديم انواط الجدارة و ميداليات التكريم و الترفيع للوظائف و التعيين .. سيرى عجباً و ستجول به الأفكار و تتعب مآقيه بحثاً و يلتوى عنقه تلفتاً بحثاً عن مجتمع الأمانة و الكفاءة و الكفاية و الأداء و الاتقان فلا يجده إلا فى خيال من كتب أو رفع القرار و الخبر ، و شكر ذوى النهى والأمر و أرجع الفضل فى ذلك كله لهم ... و عشاق الغموض هؤلاء ، كغيرهم من مثقفى مايو ، لم يكتفوا بمسح حذاء السلطة وهى تسير فحسب ، ولكنهم حاولوا اجراء جراحات تجميل لقبيح وجهها ... يجمعون المواطنين حول موائد السلطة ولا يعبرون عن رأيهم فيها .. و يتزعمون الحملات التعبوية لإكمال هالة السلطة ، و يتقيأون ما يرضى طموح الحاكم من فطير المعلومات و الرإى ... و لأن شخصياتهم مسلوبة الإرادة ، إختياراً و خوفاً و غرضاً ، لم يصنعوا رأياً عاماً قوياً للنظام ـــــ بل يلتمسون فى ذلك الأعذار و يضعون العراقيل أمام تكوينه بادعاء وجوده . . .

وجاءت كلمات الوسط ......

" لعل ابرز ماركزت عليه الجمهورية الرئاسية بهدف بناء الشخصية السودانية المتكاملة هو نصف المجتمع الذى ظل مشلولاً و مقعداً و سلبياً فيما مضى من عهود وقد أكد الرئيس جعفر نميرى ان المرأة ليست نصف المجتمع فحسب و إنما هى كل المجتمع و إنها صانعة لأجياله و مورثه قيم الثورة فيها

---

(١) التبعة على الراوى ، محرر الوكالة ، لأنى لم اتطلع على الإستمارة .. ولما كان الأمر يتعلق ببهاء الدين وقد شهدت محاكمته تلفزيونياً لم استبعد الواقعة فذكرتها ...

. . . ومن هنا منحت ثورة مايو ، برعاية شخصية من الرئيس القائد نميرى ، المرأة السودانية قدراً من المساواة لم يتحقق حتى فى اعرق الدول و اكثرها تقدماً وهذه شهادة من الأمم المتحدة للمرأة و الثورة السودانية فى عام المرأة العالمى . " [1] . . .

(بنان كف ليس فيها ساعد) . . . .

" و كانت لحظة العمل الثورى التى طال شوق هذا الشعب المسلم إليها ، سيدى الرئيس ... يوم انطلقت فى استجابة لنداء الله تعلن الثورة الاسلامية .. وهو ايمان وجد طريقه الى حنايا قلبك و استقر فى اعماق ضميرك ، وصار محور حياتك و هدف نضالك و غاية ثورتك حتى ملكت ذمام الأمر بيدك وعزمت و توكلت على الله و فجرتها ثورة اسلامية عارمة عدت فيها بهذا الشعب الى منابعه الحضارية و اصوله الثقافية ، وجذوره الدينيه ليبنى حاضره و يخطط مستقبله على كتاب الله و سنة رسوله ، طريقاً واحداً مستقيماً هو طريق الحق و العدل و الفضيلة ليس فيه إنحناء أو إلتواء أو إعوجاج وليس فيه ضلالة أو شعوذة أو شائبة . " [2] . . . .

و يمنح السيد عز الدين السيد وسام ابن السودان البار [3] ليأتى دور الهيئات . . .

" قررت هيئات مجالس الشعب تكريم السيد عز الدين السيد تكريماً رفيعاً يليق بفخامة الانجاز وروعته على ان يكون هذا التكريم على المستوى القومى و باشتراك جميع هيئات مجالس الشعب و نزولاً على رغبته قد روعى ان يكون التكريم فى قالب مبتكر وجديد وذلك بأن توجه الأموال التى جمعت لإنشـــاء دار للبرلمانيين على ان تقـــدم هـــذه الدار هدية

---

(١) د. فاطمة عبد المحمود ، شغلت وزارة الشئون الإجتماعية (مايو) . راجع " عشواء مايو وحاطب الليل " . . . .

(٢) عزالدين السيد ١٩٨٣/١١/٧ . الجلسة الافتتاحية لدورة الانعقاد الثالثة لمجلس الشعب القومى . .

(٣) في ١٩٨٣/١١/٨

للرئيس القائد نيابة عن هيئات مجالس الشعب و قواعدها للتعبير عن شكرهم العميق و امتنانهم العميق للقائد لتفضله بتكريم البرلمانية السودانية فى شخص عز الدين و انعامه عليه بأرفع وسام سودانى (وسام ابن السودان البار) [1] . . .

و يتم مهرجان تكريم البرلمانية السودانية [2] ، و يتقدم ابن السودان البار ليُرجِعَ الفضل من قبل ومن بعد لقائد المسيرة ، وينسى المؤسسات . . .

" منذ اندلاع هذه الثورة و نحن مع قائدها نمنحه سندنا الأكيد وتأييدنا المطلق وولاؤنا الصادق نلتف من حوله نسير الى جانبه نحميه و نؤيده لنضمن للسودان القيادة الوطنية المخلصة الأمينة على حاضره و الحفيظه على مستقبله الحامية لاستقلاله و العاملة على بنائه و تقدمه . .

انتم تحتفلون بالقائد المنصور جعفر المنصور الذى قاد الشعب و الوطن وسط أقسى الظروف و أصعب الامتحانات ، وقد منح من طاقته و فكره ما جعل كل هذا ممكناً بعد ان كان مستحيلاً . " . . . . . .

و لاعجب فى ذلك ، فقد قدمه قبل الوسام و التكريم قائلاً . . .

" ياسيادة الرئيس ، يا زعيم الأمة ، يا ناصر الدعوة ، ويا قائد الصحوة .. الأمة كلها مشدودة اليك هذه اللحظات لتسمع صوتها فى صوتك و تشهد عزيمتها فى عزيمتك فهلا تفضلت بمخاطبة شعبك عبر مجلس الشعب ." . . . . .

و (**يأتيك كل غدٍ بما فيه**) . . . .

كان تقييم اللواء م محمد عبد القادر لطلائع انتفاضة الشارع السودانى فى ابريل ١٩٨٥م . . . .

" إن الأمر مرتبط ارتباطاً وثيقاً باعتقال السلطة لبعض قيادات الأخوان المسلمين ، و رد فعل طبيعى من انصار المعتقلين . " [3] . . . .

و بالرغم من ان فى كلمات الأمين الأشتراكى معنى غير مراد لا يغيب عن عقلية المحلل السياسى لأسباب السقوط المايوى الموضوعية ، وهو ان اعتقال الحركة الاسلامية و مفاصلتها لنميرى أبعدت عنه آخر خط

(١) الايام ١٩٨٣/١١/١٢ م

(٢) مهرجان تكريم عز الدين السيد بمنطقة الخرطوم - الايام ١٩٨٣/١١/٢٣م

(٣) محمد عبد القادر ، آخر أمناء الإتحاد الاشتراكي السودانى فى جريدة الاتحاد ١٤٠٥/٧/١١هـ يقول عن مظاهرات رجب . .

دفاع ، وعرّت سنده الشعبى و أزللت هيبته من أمام الخصوم ، و بذلك جمعت المصائب المصابين ووحدت صف مظاهراتهم وهتافاتهم ... ، إلا أن حديث الأمين الاشتراكي تفوح منه رائحة تصغير حجم المنقضين بتأطير أهدافهم داخل ردود الفعل المحدودة .. و ابعاد غرض التغيير الوطنى المنشود .... و يؤكد ذلك قول أحد مساعديه فى مسيرة الردع المايوى المعلومة ، " سوف نصطادهم كالأرانب و ندوس على رؤوسهم كالعقارب " [١] ....

و ماكان لمحمد عبد القادر غير الدفاع عن مايو و تأليه قائدها وهى الأم التي فرشت له و أنامته وهى (أم سقتك الغَيْلَ من غير حَبَلْ) [٢] ... وعاد يقول ...

" التحية لك يا أخي الرئيس و انت تحمل الأمانة في يقين المؤمنين ، و تتحمل مسئولية البناء في صبر القانتين .. إن شعبك الذى أحبك فأدمن حبك يا أخى الرئيس ما برح يتحرق شوقاً لسماع صوتك صوت الحق صوت القوة . " [٣] ....

" لقد أديت الأمانة يا سيدى الرئيس ، ولا غرو فانت من الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، فانجزت العهد وأوفيت بالوعد فى كل ما التزمت به عملاً بقوله تعالى :- " وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولاً " ...

فقد جعل الله نور الإخلاص في قلبك ووهبك من القوة طاقات سمت بهمتك وعلت بعزمك .. فلا إثر ولا انانية .. ولا رياء ولا نفاق .. ولكن طهر وصفاء .. وكمال ونقاء ، بل بلغت الذروة من السمو و الرفعة ...

فالحب لم يضلك عن الحق فتميل عنه .. و البغض لم يدفعك الى الباطل فتتردى فيه .. عطاؤك فى الله طمعاً فى رحمته و رغبه فى رضائـه . " [٤] ....

(أمرَ مبكياتك لا أمرَ مضحكاتك .) ....

تقدم الرشيد الطاهر بكر بمذكرته لرئيس الجمهورية [٥] ، و بحكم علاقتة

---

(١) أبو ساق .. (٢) يضرب لمن يدنيك ثم يجفيك ثم يقصيك من غير ذنب .
(٣) محمد عبد القادر يقدم نميرى فى عيد الجمهورية الثالث عشر ١٧ محرم ١٤٠٥هـ .
(٤) محمد عبد القادر يقدم نميرى لوسام الإنجاز السياسى ٦ محرم ١٤٠٥هـ .
(٥) مذكرة النائب العام لنميرى فى ١٢/٢/١٩٨٥م

ومعرفته السابقة لتنظيم الأخوان المسلمين وقيادته للحركة الاسلامية [٢]، وهو خائف يترقب (عسى البارقة لا تخلف) ، وقد اعتبر الاسلاميون تلك المذكرة استعداء للسلطة عليهم ، وحدث ما توقعوه . . .

بدأ الرشيد مذكرته بآية الأحزاب " اذا جاءكم فاسق بنبأ . " وبقوله (ص) " من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح أو يمسى ناصحاً لله ورسوله ولكتابه وامامه ولعامة المسلمين فليس منهم ." ، وختمها قائلاً . . .

" إن امانة المسئولية وشرف العهد يلزمنى أن أضع الأمر كما أراه وان أقول وللحق إننى أرى تحت الرماد وميض نار ولكننى اثق الثقة كلها إنك ستعالج الأمر وتضع الأمور فى نصابها قبل فوات الأوان . " [٣] . . .

و (**من نجا براسه فقد ربح**) . . . .

بعد مذكرته التى عهد فيها بصفته نائباً عاماً إلى تشخيص ما يجوز اعتباره انحرافات لمسار تطبيق قوانين الشريعة الاسلامية .. وتعرض فيها لاسباب خلافه مع رئيس الجهاز القضائى فى الخرطوم ووزير الدولة للشئون الجنائية .. تم تعيين الرشيد الطاهر نائباً لرئيس الجمهورية للشئون السياسية والقانونية إلا ان رياح التغيير الرجبية لم تتركه يهدأ فى منصبه وينعم بخير تحذيره . . .

ثم لقيه تحت ظل شجرة اليقطين رجلان ...وثالثهم إمرأة . . .

(**اتبع الفرس لجامها ، والناقة زمامها**) . . . .

وجاء ثلاثتهم بما يحسنون ، ولعلهم يدركون تماماً (إذا زَلّ العالمَ زَلّ بزلته عالَمْ) ... فكيف كان اللقاء . . . .

تجد الاجابة موجزة فى حديث الشيخ النيل أبو قرون لجريدة المدينة عندما سألته عن ظروف تشكيل اللجنة القانونية وكيفية بداية علاقته بالرئيس نميرى وحوذه على ثقته . . . .

بالسلطة ، كنت فى منبر القضاء ، وهو في منبر المحاماة ، كنا نتحدث ونبحث فى النواحي الفقهية ومسألة تطبيق القوانين الإسلامية وكيفية إحلالها محل

---

(٢) مرشد عام للأخوان المسلمين ١٩٥٦ .

(٣) التضامن العدد ١٠٢ ١٩٨٥/٣/٢٣ م .

القوانين الوضعية ، وقد كان أن التقيت بالأخ الرئيس في مناسبة دينية بعد ان طرح برنامجه السياسي الشامل للولاية الثالثة و كان من أهم البرنامج العدالة الناجزة و تناقشنا ولا زلت أقول أن السيد الرئيس بصير برعيته ، و اخبرته ان لى اخاً كريماً يعمل فى سلك المحاماة وهو الاستاذ عوض الجيد فوافق السيد الرئيس على ان نعمل سوياً لإنجاز ما طرحه من برنامج العدالة الناجزة ، و عندها كان التدني في العمل بالقوانين الوضعيه في المحاكم قد وصل درجة فقد الناس معها (العدل و هيبة القضاء) .. و بدأنا العمل في هذه الظروف والتحقت بنا الأخت بدرية سليمان رئيسة إدارة التشريع برئاسة الجمهورية . .

اللجنة القانوينة في مجملها لجنة ثلاثية .. وقد قمنا بحمد الله بانجاز كل القوانين الشرعية و الإسلامية التى جاوزت العشرين قانوناً في اقل من عام ، وقد شملت كافة مناحي الحياة من إقتصاد ومعاملات و اجراءات ..." [1]. . . .

و لما طلبت الجريدة مزيداً من التفصيل في كيفية اختيار اللجنة ، واصل أبو قرون

" لقد كان رئيس الجمهورية حريصاً على ان يقوم بهذا العمل اناس لا علاقة لهم بفئة منظمة أو حزب سياسي أو تنظيم معين حتى يكون العمل خالصاً لله . بعيداً عن المصالح الفئوية و الاتجاهات السياسية و الصيغة الفكرية المعينة و التحزب الفقهي . " . . .

و يلقى حديث عوض الجيد لمجلة الصياد [2] ظلالاً أخرى . . .

" أخي الرئيس القائد الإمام كان ينتظر في ظل شجرة اليقطين ... حتى إذا رآنا تقدم معانقاً في أدب العلماء و شوق القائد لجنوده و شد على أيدينا و مضى نحو النور لا يلوى على أحد كما مضى

---

(١) المدينة ١٤٠٥/٤/٢٦هـ .

(٢) عوض الجيد ، مجلة الصياد ١٩ يونيو ١٩٨٤م .

لوط عليه السلام حين أوصاه الله تعالى (ولا يلتفت منكم أحد) ، وكما مضى على كرم الله وجهه حين سار لفتح خيبر فأوصاه المصطفى بقوله (سر ولا تتلفت) " . .

ويبقى تفصيل نجد بعضه في خطاب عوض الجيد بأبي قرون . . . .

" السيد الرئيس القائد ، امام هذه الأمه للهدى بنور الله ، وراعي هذه الأمة بحمد الله ، رافع الراية وحامل لواء الدين ، داعية الدعاة في أرض الدعاة . . . .

السادة مشايخ الطرق الصوفية ... القائمون ، الصائمون والواقفون خلف إمامكم وقوفكم للصلاة . . .

من هذه البقعة المباركة انطلق أول شعاع من نور الهداية الى شرع الله في السابع والعشرين من رجب الذى بين جمادى وشعبان ١٤٠٣هـ حين زار الرئيس القائد هذه البقعة المباركة فازدادت بزيارته بركة على بركتها ، وفي ليلة الإسراء والمعراج العظيم رفع الى السماء قرار عبدٍ من عباده الصالحين بالعودة الى شرع الله ، وانتظر نميرى تنفيذ القرار انتظار المؤمنين الموقنين . . .

وفي يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين من شوال ١٤٠٣هـ أطلع القائد على مسودة القوانين الإسلامية ووافق على خطة إصدارها ، وفي يوم السبت المبارك السابع والعشرين من شوال ١٤٠٣هـ أصدر القائد أمره للعمل وفق برنامج محدود ومسطور على ان يصدر قانون على الأقل كل أسبوع يعلن يوم الخميس من كل أسبوع لأنه يوم ترفع الاعمال لله وتعرض فيه على رسول (ص) . "[1] . . . .

و(أتى عليهم ذو أتى) . . . .

وهم من حوله .. رهط يُفسد ويُزيِّن سوء الأمير . . .

وآخر يمدح القيادة بالإلهام . . .

وغيرهم يملأ جيبه وجيب النظام . . .

---

(١) عوض الجيد ، الوزير برئاسة الجمهورية في ليلة النصف من شعبان بقرية ابى قرون . . .

وعصبة توشح جيد الإمام . . .

وبينهم يسير النميرى ما أن يبنى قصراً إلا ويهدم بعده مصراً ... ويتصيدهم كالحرباء (لا يترك الساق إلا ممسكاً ساقاً) ؛ والكل ساهياً عن نفسه ، ناسياً لغيره ، مطيعاً لسلطانه يتوسطهم دخان المباخر والتعاويذ حتى إذا ما طارت شرارة وأحرقت لباس الامام وتركته عارياً طريداً .. وضاعت المناصب والصفات الرسمية فكروا فى تأمين الذات والتى ربما تكون قد شاركت في مختلف العهود والحكومات ، والتى ربما تكون قد تلوثت فى عهد واحد مرتين واكثر - وشرعوا فى تفصيل قميص جديد . .

ومضت مايو وشيّعوها بدموع التماسيح ... ، . . .

" دستور ١٩٧٢ لم يترك لهذه المؤسسات والأجهزة ان تعمل ، ولم يترك لها حرية الحركة ، ولم يتح لها فرصة ممارسة صلاحياتها . . .

هذه المشكلة لم تجابه التنظيم الواحد بل جابهت المؤسسات السياسية التى تعتمد التعددية .. فالقرارات يصيغها اشخاص بعينهم (بتطبخ فى الصوالين والدهاليز) .. مشكلتنا اننا نخلق المؤسسات ونتخذ القرارات بعيداً عنها ، وهذا بدوره يؤدى الى ذبول تلك المؤسسات "[١] . . .

و" لا يستطيع أحد يتوخى الأمانة والصدق ان ينكر العديد من الانجازات فى مجالات الصناعة والزراعة والخدمات والبنيات الأساسية التى تحققت فى ظل سلطة التحالف أو التى انعتق خلالها شعبنا من سطوة وسيطرة قوى التحالف التقليدية . . .

كما ان الصدق يتطلب فى ذات الوقت الإعتراف بأن مبدأ تفويض السلطات والصلاحيات القانونية الفردية فوق سلطات وصلاحيات المؤسسات والأجهزة كان سبباً فى تجاوز المبادىء الديمقراطية السليمة والتقليل من شأن المشاركة الشعبية عن طريق المؤسسات في مجالات الحركة السياسية والتشريعية والتنفيذية ، كما أن العشوائية فى إختيار القيادات غير المؤهلة وغير المؤمنة بتوجهات النظام ومبادئه أدت الى الكثير من الخلل والارتباك وتقويض سلطة التحالف من داخله ، كما ان الكثير

---

(١) د. اسماعيل الحاج موسى ، السودان ١٩٩٠/٢/١٠م - طبيخ الصوالين والدهاليز (تعاون مع النظام وشارك فى عدد كبير من اللجان والمنظمات وشارك فى الوزارة ، وعين أميناً للجنة الإعلام بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ١٩٧٨) . .

من الصعوبات الإقتصادية و الازمات المعيشية و اختراق جدار الوحدة الوطنية ، كان مرده ما قامت به القوى الطائفية و الحزبية ضد سلطة التحالف .. " [١] . . . . . .

" حركة مايو من المتبع الى الجفاف ومن ديمقراطية الصفوة الى الدكتاتورية المقنعة . .

استفاد جعفر نميرى الى أبعد الحدود من اللعب بهذه المراكز و برز فى اذكاء نار الغيرة و التنافس فيها ومن خلال الممارسة امتزجت الاستفادة بالإحتقار ... جعفر نميرى الذى عرفناه كزميل دراسة فى المرحلة الثانوية وكزميل عمل فى بداية مايو كان بسيطاً ومتواضعاً وأميناً وطيب المعشر .. طغت الروح العسكرية على روحه الرياضية ، كان ذلك واضحاً فى معاملته حتى لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة و أحياناً حتى اثناء الجلسات الإجتماعية الخاصة . " [٢] . . .

وكان قدره أن جاءت زفة السلطان ، مواكباً و طبولاً ، أوهاماً و احلاماً (لظلوط) بعيداً عن حبله [٣] . .

وتنادوا من حوله هاتفين " المعارضة فالعودة " . . . . . .

وفى غفلة السلطان . .

نام عصام ساعة الرحيل ...

---

(١) الاستاذ كامل محجوب ، السودان الحديث ١٩/٤/١٩٩٠م . (كان أحد القيادات المايوية العليا) . .

(٢) الشرق الأوسط ١٥/٦/٨٥م – على التوم – وزير الزراعة السابق (مايو) " السودان الدروس و الحذر و الأمل "

(٣) حدث ان قال نميرى (أن قدمى لن تطأ أرض مصر) ، ورد عليه السادات (أن أرض مصر أطهر) ، ويسخر منهما القدر سرعة فى التكامل ، ويشاء الله أن تكون أرض الكنانة هى ملاذه ومنفاه . . . . .



الأستاذ بابكر عوض الله

(رئيس أول وزارة مايوية)



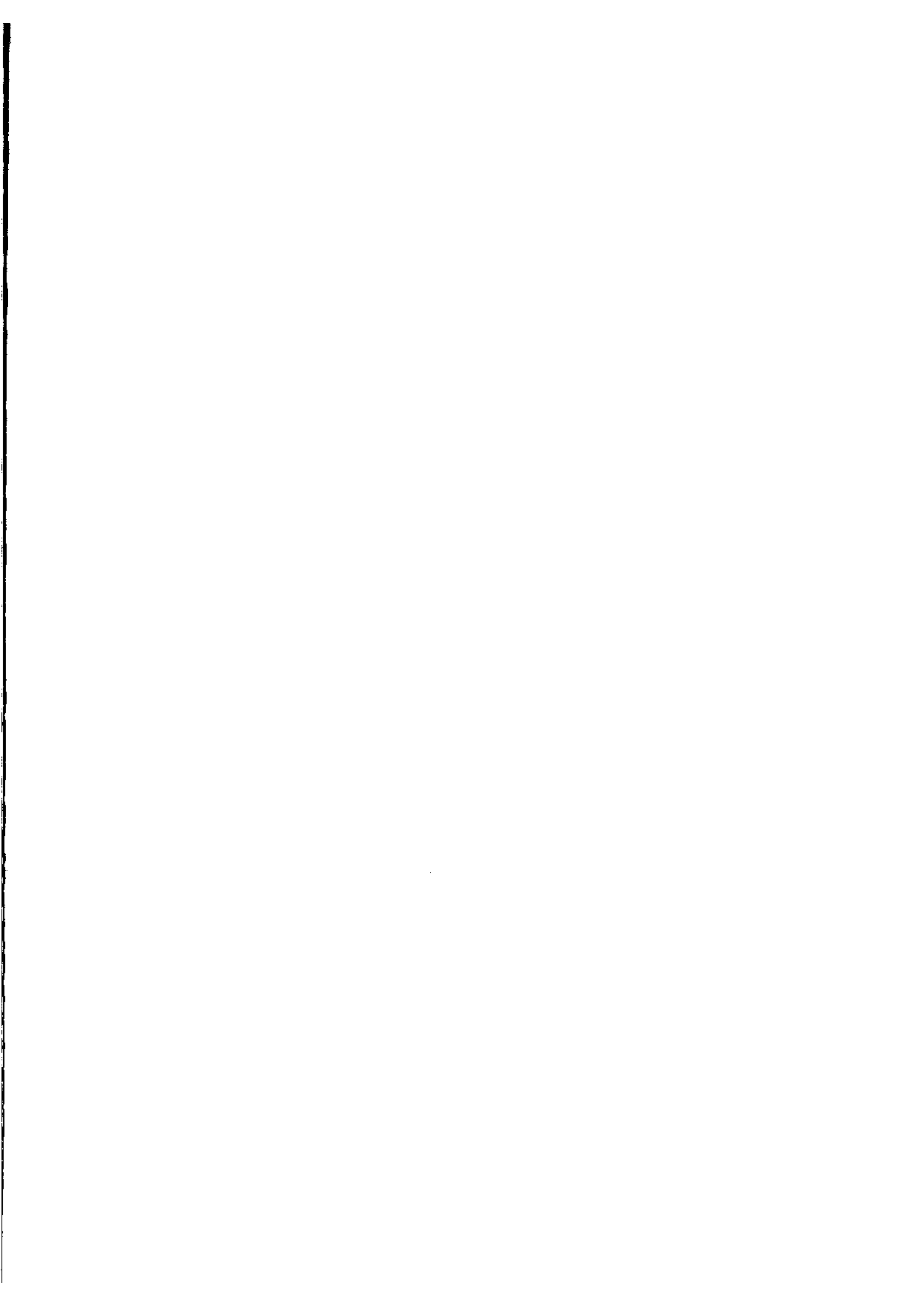
الدكتور منصور خالد



الدكتور جعفر محمد على بخيت

" لو كان لى ان اختار بين حكومة بلا صحف ،
وصحافة بلا حكومة ، لأخترت الأمر الثانى . "

توماس جوفرسون
الرئيس رقم (٣) الولايات المتحدة



الباب السابع

صحائف و أسفار و إعلام

.. قول ... وقول ......

يقول الكاتب توفيق الحكيم صاحب " عودة الوعى " فى رسـالته للكاتب محمد حسنين هيكل صاحب (خريف الغضب) ...

" الصحافى مكانه الأرض وسط تضاريسها وتخومها ودروبها ، ينتخب ويتقصى وينقب ويحلل ويقارن ويستخلص .. " ...

أى بمعنى آخر ان حياة الصحافة بحث عن الحقيقة فى خضم الحوادث ... واختلف الرأى وتشعب حول رسالة الصحافة ، واختلاف الرأى عند من يدرك ويعلم أدب المخالفة والإختلاف لا يفسد للود قضية ، بل يصلح للمودة والبناء قضايا ، فهى تبقى الأمور بأهل الرأى دائماً وتبعد عن ساحتها أشرارهم ...

يقولون الصحافة موجه ورائد اجتماعى لابد ان يعبر عن وجهة بلاده الفكرية ...

ويقولون لابد لكل صحافة من هوية ومعتقد وفلسفة وأيديولوجية تسبح داخل إطارها حتى صحافة الرياضة والاعلان والدعاية التجارية وصحافة الإثارة ...

وينادى آخرون بصحافة السلطة ، ليكون من يُحَسِّنْ السلبيات ويمدح المخطىء ويملأ مائدة القارىء ويخل توازن ذاكرته بما تريده السلطة وترضاه ، ويحجب المعلومات عن رأس الهرم ويحافظ على الفجوة بين الحاكم وقاعدة المحكومين .. فتنعم السلطة عليه بالألقاب والمال ، وتكريم انواط الجدارة والأوسمة والشهادات التقديرية وحفلات الشرف وتسحب حريته وتسيطر عليه بمواد القانون ...

وتوجد فى عالم اليوم صحافة خبرية صرفه ، وصحافة الحديث والتعليق والتأويل والتفسير .. وبالرغم من نجاح هذه النوع من الصحافة فى تجسيد الوقائع وتمكينها من الالتصاق بذهن القارىء إلا إنها تجعله يعيش بعيداً عن عالم علامات الإستفهام والشك المنهجى اللازم للوقوف على مصداقية الخبر ، وخلق القارىء المشارك .... لا القارىء المتلقى .. بل يجب أن

تجعله عضواً صالحا فى مؤتمر الرأى العام الذى توجهه الصحافة و يوجهها دون السيطرة و بكل المسئولية الإجتماعية و بعيداً عن سيطرة السلطة ، ومصادرة حرية الرأى ... فتقل الفجوة بين المؤسسات الاعلامية و الجمهور والسلطة ولا يتسع خرقها على راتقه . . .

.. و بعض القول يذهب فى الرياح . . .

" رئيس تحرير أحد الصحف فى مقالته الافتتاحية يقول .. إنه معى فيما قلت و فيما سأقول ، وفيما قررت و فيما سأقرر .. ما أريد ان أقوله أيها الأخوة ...

إن ما يطربنى ليس كلمات المديح و الإطراء ، إن ما أريده واطلبه منكم جميعاً ان اسمع و بالصوت العالى نقداً بناءً لمنجزاتى وممارساتى و لو شابها الخطأ أو تجاوزت الصواب ... ان اسمع من يقول لى هنا اخطأت ، هناك جانبك التوفيق ، ذلك اننى أعلم إن المديح من الممكن ان يتحول الى ستار امام عيونى ، ضجيجاً قد يحول بينى و بين سماع كلمة صدق مخلصة و شجاعة لا تخشى فى الحق لومة لائم . "[1] . . . .

كتب صحفى سودانى عن نميرى [2] . . .

" حين تلتقى به فإنك للحظات تعايش الحيرة وانت تبحث عن أسلوب الحوار . . . موقعه يفرض المقدمات بحثاً عن الشكل المناسب ... مظهره بقامته المديدة ، صوته العميق ، صبره الطويل ، مستمعاً مصغياً ، محللاً مستزيداً ، يغرى بألف سؤال و سؤال . . .

جوهره .. فأنت معه لا ترى فيه إلا نفسك مكرراً لمئات المرات لنماذج عايشتها فى قرى السودان و مدنه . .

الوضوح و البساطة

الصراحة و المباشرة

الإقتحام فوراً الى لب الحديث ، تعالياً على المقدمات اصراراً على النتائج

---

(١) نميرى فى رده على خطاب رائد مجلس الشعب فى حفل تكريم نميرى بمناسبة العيد السادس للثورة ..

(٢) كمال بشير

لا يندفع حماسه لما يعرف ، لا يتردد حرجاً أمام مالا تعيه ذاكرته ، أو ما يخرج عن نطاق إهتمامه ،

أو ما يقع بتفاصيله في اختصاصات غيره . " . . .

. . . و تُقَطَّعُ اعناق الرجال المطامع . . . . .

خاطب جعفر نميرى الجمعية العمومية للصحافيين السودانيين [١] . . . . .

" إن الصحافة وهى سلطة تحكم لا يمكن ان تقوم بدورها وهى تـ مباخر الإشادة بالنجوم اللامعة ، دون ملاحظة موضوعية للسلبيات و المعوقات والنواقص . . .

ان الصحافة تنطلق من غير توجيه إلا من التزامها .. إذ ينبغى ان تلقى مسئولية توجيه الصحافة على الالتزام وحده دون رقابه من خارجها ، ولا توجيه إلا من وعى محرريها .. و مراجع الالتزام هى - ميثاق العمل الوطنى مرجع ، و الدستور مرجع و مسار تحركنا المطروح المرسوم بالممارسة وليس بالكلمات مرجع .. " [٢] . . . .

و هكذا و بعد سنوات من تأميم الصحف [٣] تتأتى مايو لتلقى بها فى البحر مكتوفة و تحذرها من ان تبتل بالماء ، فهل أدرك صحفيّوها معنى القول (لا تَقْعَنَّ البحر إلا سابحاً) ، .... وعلقت الصحافة فى اليوم التالى . . .

" فالرئيس وهو يسوق العتاب قد وضع يده بالحرص على مواضع الداء ، والرئيس وشو يسوق التوجيه قد أشار بالحكمة الشجاعة الى الدواء) . . . .

إذاً فلن يبقى ولم يبق شيء بعد معرفة الداء و توضيح الدواء ليقوم به الصحفى و الرأى .... وكل إمرىءٍ يحتطب بحبله . . .

(رُبَّ قَولٍ أشدُّ من صَولٍ) . . . . .

تقول قرارت نقابة الصحافيين السودانيين [٤] كما جاء من بيانهم الختامى حول القضايا الداخلية .. .. وبعد أن اجيزت كالعادة كلمة النائب الأول لرئيس الجمهورية كوثيقة أساسية للمؤتمر . . .

- (١) " يؤكد الصحفيون السودانيون انتماءهم العضوى للاتحاد الاشتراكي السوداني و يعلنون تمسكهم الثابت بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة كصيغة

---

(١) ١٩٧٦/٤/١٧م (٢) الأيام ١٩٧٩/٤/٢م (الصحافة بين المطرقة والسندان) . .

(٣) أممت الصحف فى مايو ١٩٧١ . .

(٤) ٢٧ /اكتوبر/١٩٧٧م .

وحيدة ينصهرون خلالها وهم فى ميدان العمل الوطنى العام . . . .

(١) يؤكد الصحفيون السودانيون موقفهم فى تمسكهم بالملكية العامة للصحف ، يملكها الشعب و يرسم سياستها يديرها و يطورها عبر التنظيم السياسى - الاتحاد الاشتراكي السوداني - حتى تصبح الصحيفة كغيرها من القوى الإجتماعية حامية لمكاسب الشعب ، وحتى يصبح الصحفى هو قطب الرحى الذى يلعب دوراً إيجابياً من أجل خدمة الجماهير " . . .

و أخرجوا ميثاق الشرف الصحفى [٢] . . .

ويسير من بعد حاديهم فى قافلة السلطة . . . .

" الحرية لا تتجزأ إذا استيقنا انها موجودة فى الحياة العامة ، فهى متوفرة فى كل مجال ، وما هو مطروح من مواثيق الثورة و التجربة يؤكد ذلك . . تجربتى الشخصية تؤكد لى ان لا رقابة مفروضة على قلمى ، وان كنت بالصدق كله أقول ان هناك بعض التدخل يمكن ان نجد له المبررات الكافية المقنعة فى الإطار الكبير لسياسة البلد التى ارتضيناها . " [٣] . . . . . .

و من تحية لجعفر نميرى من شمال الوادى . . . . .

" ما أعذب ما قاله لى صديق عربى مسئول يشغل منصباً حساساً فى دولة خليجية ، يجانب حكامها اليوم التوفيق فى الحسابات ، .. نحن نغبط الشعب العربى فى وادى النيل ... نتمنى لو يكون حكامنا على مستوى حاكم مصر السادات .. وحاكم السودان نميرى . " [٤] . . . .

و تنقل الصحافة المايوية عن الصحافة الخارجية مالا يفيد معرفة و ثقافة المواطن و تنسى ان تفعل المثل بحكيم الرأى و صحيح الخبر . . .

* بما تحلم يا سيادة الرئيس للسودان و بما تحلم لنفسك ؟ !

- أحلم للسودان بالرخاء و الثروة و اتمنى أن أرى الذهب يتدفق على أرضه لمصلحته و مصلحة جيرانه .. أما ما أحلم به لنفسى فهو ان يواصل السودان بعدى تدعيم ما وفقنى الله الى غرسه فى أرضه ، الوحدة بين طوائفه و قبائله و الإحساس بالانتماء إليه و الحلم الواحد بمستقبله الواحد ... أمنيتى الوحيدة ان يعيش هذا الحلم بعدى ويتحقق مالم يتحقق منه بعد . . .

نحن نسأل عن حلمك الشخصى يا سيادة الرئيس وهذا الذى تقول

---

(١) ١٩٧٧/١٠/٢٧م . (٢) النجيب نور الدين - الصحافة التى نريد ! ! الايام ١٩٧٩/٤/٤م

(٣) مجلة الوادى يوليو ١٩٧٩م .

حلم سياسي ! ! . .

- حقاً لم الاحظ ذلك . .

(وضحكنا و ضحكت حرم الرئيس .. و جاملنا الرئيس فضحك أيضاً) [١] . . . .

(اليوم خمرُ وغداً أمرُ) . . . . .

" و تواصل الصحف المايوية خداع و مخادعة الجماهير . . . .

" مبروك لقارىء الأيام و موزعي الأيام ، صحيفة بلا مرتجع و زيادة في الطبعة " [٢] . . . . .

" ادراكاً من داري الأيام و الصحافة لطبيعة المرحلة التاريخية التي تعايشها بلادنا بكل ما يصاحبها من جهد وطني مكثف ، وشمول حضاري مطرد ، و استشعاراً بدورهما الاعلامي في ملاحقة الاحداث و توصيل الحقيقة أول بأول لجماهير الشعب ، في وقت أصبح فيه تلاحق الأحداث على مدار الساعة و اداء لواجبهما على تطوير خدماتهما للقارىء السوداني و تجويدها .. فقد تقرر الغاء العطلة الأسبوعية لكل وتصدر الصحيفتان طوال الأسبوع " [٣] . . . .

" مبروك لقارىء الأيام ، المطبوعة الأولى في العالم العربي باستثناء صحافة مصر القومية ، اكثر من مليون نسخة طرحتها الأيام خلال عشرة أيام . " [٤] . . . . .

و " و الإلتصاق الحميم بين الرئيس جعفر محمد نميري و شعبه هو الذي جعله قائداً للأمة ، و التكاشف المستمر هو الذي جعل القائد ملتصقاً بأمته . . و الوضوح في المكاشفة هو الذي جعل الإلتصاق بينهم حميماً .... حقائق لا نطرحها مجردة للتصديق و القبول ... انما نطرحها للتأمُّلْ ، فهي سيرة يكون النظر فيها عبرة و دروساً يجب ان لا يفوت عابراً . " [٥] . . . . .

" لماذ هو . . . .؟

نذر عمره للسودان وطن يتوحد ، و أمة تتحد ، عملاق يلقى على غيره ظلال الأمان ... فهو لا يكتفي بدراسة واحدة حول موضوع واحد ، و إنما ينبغي ان تتعدد امامه الدراسات ليحلل و يقارن ليقرر . . .

---

(١) الأيام ١٠/٥/١٩٨١ عن مجلة الشرقية عدد مايو ١٩٨١م . ** (٢) الايام ٢٩/٧/١٩٨٤

(٣) الايام ١٥/٨/١٩٨٤م . . (٤) الايام ٣٠/٨/١٩٨٤م

(٥) الصحافة ٦/١٠/١٩٨٣ - النهج الاسلامي كيف ؟ !

وهو على سبيل المثال لا يقرأ الخبر الواحد منسوباً للمصدر الواحد إنمّا يقرأه منسوباً لمصادر تتعدد . . .

وهو فى كل الحالات يتحمل مسئولية القرار الصعب نيابة عن غيره[1] .

هكذا تهتم صحافة مايو بالكم فى التوزيع و العدد فى أيام عمل الأسبوع ، و تغنى ما يطرب السلطان و مادرت ان موقف النظام برفضه السماح بتداول و توزيع بعض المجلات و الجرائد العربية هو الذى يضطر القارىء السودانى لابتياع الصحف المحلية أحياناً [2] . . . علماً بأن المجلات والجرائد العربية و الأجنبية تجد رواجاً اكثر من الداخلية لدى القارىء السودانى . . .

و بالرغم من صدور قانون الصحافة عام ١٩٧٣ إلا إنه لم يصدر قانون أو لائحة تنظم علاقة الصحف بالاتحاد الاشتراكي أو وزارة الاعلام و الثقافة وإنما يعلن عن هذه العلاقة مجازاً مما جعل صحف مايو أبواق نظام عجز هو نفسه ان يحدد علاقة تنظيمه باجهزته التنفيذية ، و باتت الصحف [3] معزولة عن آمال و آلام الشارع الحقيقية مما زاد الفجوة بين المؤسسات الاعلامية و الجمهور .. يلاحقها سوط الرقابة داخلياً بالحذف و الاضافة للأخبار و المقالات ، و يطاردها مقص الرقيب ... [4] و يختار الصحفى الرضوخ أو الفصل التعسفى .... ولك ان تحدد قرار صحافى تجدده الدولة دورياً بموجب رخصه أو بطاقة عن طريق لجنة قيد الصحفيين .. كيف يشغل مثل هذا نفسه بنوع حريه التعبير بصرف النظر عن مداها ... و ما يضيره ، وهو يطارد لقمة عيشه و يمارس عمله بلا كفاية أو دراية ، أن يلاحق مقص الرقيب ويمنع الدخول والتوزيع ويمارس المصادرة من أماكن التوزيع للصحافة الخارجية ؟ ! ..

و يختلف الناس فى تناولهم لصحافة التوزيع المليونى فالبعض يقرأها وهو لها منكر .. و آخر يأخذها بمصداقية لا يتبادر إليها الظن أو الشك فيما يقال و يكتب .. وغيره يصدق حيناً بادخال بعض الحقائق فى الحديث امعاناً فى

---

(١) الأيام ١٩٨٢/٦/١٨ م - المحرر السياسى للأيام يتحدث عن نميرى .

(٢) هنالك الاعلانات الداخلية و التجارية و المناسبات الإجتماعية و التى لا تحملها الصحافة الأجنبية .

(٣) صحافة ، أيام ، قوات مسلحة ، جرائد فنية و رياضية . .

(٤) لم تقف أصابع الرقيب تمزيقاً للصفحات أو منعاً من التوزيع ، فى أيام أزمة الخليج و غزو الكويت و خاصة الصحف المصرية و المجلات العربية .

الكذب ، ويكذب ثانية لمعرفة الواقع الذى يجافي تماماً ما يسوقونه من أدلة واحاديث وتصريحات .... وويل لعالم أمر من جاهله ... إن علم . . . .

ودارت صحافة مايو وصحافيوها كالحلقة المفرغة لا تدرى اين طرفاها ، خارج محاور الصحافة ومسئوليتها يتفرجون بفعلهم من بعيد ، وما أهون الحرب على النّظّارة . . . .

وذهب النميرى بعيداً ، قريباً في مصر ... فقد سالته الصحافة المصرية من قبل [1] . . . .

* عندما تكون على سفر خارج السودان .. ما هى أحب بلاد الدنيا الى قلبك ؟! . . .

- " أحب بلاد الدنيا الى قلبى مصر ... هناك تجيش العواطف ... تحتدم الذكريات . "

وضمته مصر وقد ترك من ورائه أكبر دليل على هوان صحافة وعجز رئيس ، قوله عن الصحافة السودانية . . . " إنه لا يقرأ منها إلا صفحة الرياضة " . . .

(هذا الميتَ لا يساوى هذا البكاء) . . . . .

" ولم تمضى ثلاثة أيام حتى خرج الشعب السودانى كله الى قصر الإتحاد الاشتراكي السودانى يعلن التأييد للقائد على خطوته التى لم تخرج كابوس الإرهاب الذي تتفسر الصعوبة تحت وطاته إنما لتعلن ان القرار وحد الأمة السودانية التى لم تجتمع كلمتها فى ا لتاريخ الحديث إلا فى ثلاثه مناسبات ، توحدت على الإستقلال ، وعلى وقف التسلط الشيوعى واليوم على وقف تسلط الأخوان المسلمين ، والأخير اطلق عليه الناس اسم يوم القيامة . " [2] . . . .

واختلفت الأهواء . . . .

(لو قلت تمرة لقال جمرة .) . . . .

" ما حدث في السودان يوم السبت الماضى ٣/٩ والمتمثل بانتقال جماعة الأخوان المسلمين تسميتهم الرسمية هى - جبهة الميثاق - من موقع

---

(١) مرسى الشافعى - روز اليوسف ١٩٧٧/٦/٦م . . .

(٢) محمود أبو العزائم - " يوم القيامة فى الخرطوم " وادى النيل ١٤٠٥هـ

الشريك في الحكم الى موقع المتهم من قبل النظام بالتخطيط لإغتيال رئيس الدولة و اسقاط النظام يبدو كما لو انه عودة الوعى السودانى القومى أو أنه فى حالة صحوة فى الاتجاه القومى لم تأتى نتيجة عدم انسجام بين أهل الحكم و انما بعدما وجد الرئيس جعفر نميرى ان مشكلة الأخوان المسلمين هي في بعض جوانبها مثل مشكلة الشيوعيين ، أى انهم لا يقنعون بالقليل الذى اعطى لهم وانما يريدون وضع اليد على الحكم و امتلاك السلطة وليس فقط مجرد المشاركة فيها ، و اتخاذ القرار وليس فقط مجرد الإطلاع عليه قبل صدوره " [1] . . . .

ولما سقط جعفر نميرى جاء مؤسس ورئيس تحرير و مدير مجلة التضامن الأسبوعية ليعلن أن جعفر نميرى كان فيهم مرجواً ، و يصفه بأنه فارس ترجل عن فرسه [2] . . مما جعل مدير مكتب صحيفة الجزيرة السعودية في لندن يرد عليه [3]. . . .

" عجبت غاية العجب إذ تبعث بالتحية لرئيس السودان السابق جعفر نميرى مع تقديرى الشديد لسابق معرفتك به ، و التحية التى أعنيها تمثلت فى وصفك له بفارس يترجل عن فرسه ! !

ايها الصديق لم يترجل جعفر نميرى عن فرسه بل سقط رضوخاً لثورة شعبية أدرك انك لا تجهلها ! ! . " . . . .

و يتحدث الصحفيون حول قانون الصحافة بعد مايو . . . .

" إن سن رئيس التحرير يجب ان تكون ٤٠ سنة وفترة ممارسته ١٨ سنة لأن فترة الممارسة اذا جاءت أقل من هذه يكون الصحفى قد قضاها تحت رحمة الصحافة الموجهة التي افتقدت أبسط مقومات الحرية فى عهد الطغيان المايوى ولم يكن قد استفاد تجربة صحفية حقة مبرأة من عيوب التبعية . " [4]. . . .

و عند بعض الصحفيين طبع يغلب التطبع فى الكتابة و دائماً حالهم ... (فى القمر ضياء و الشمس أضوأ منه .) . . . . .

---

(١) فؤاد مطر - التضامن السبت ١٦/٣/١٩٨٥م . . .

(٢) التضامن فؤاد مطر - (فى حدقات العيون) العدد ١٠٥.

(٣) عثمان العمير التضامن العدد ١٠٦ .

(٤) زين العابدين أبو حاج - الصحافة ٧/٩/١٤٠٥هـ حول قانون الصحافة . .

" وكان الرئيس سوار الذهب كعادته واثقاً من نفسه يدلي باحاديثه وتعليقاته وتصريحاته في هدوء وتؤدة واطمئنان وصوته الهادى وحنجرته القوية وشارات التقوى والورع والإيمان كانت خير سند لصدق روايته . . .

والرئيس الجزولي أديب أريب ينتقي الألفاظ ويردد الامثال السائرة ، واشعار الفحول من الشعراء الى جانب النكتة والملحة والقفشة التى تعقبها ابتسامة هادئة وادعة . . . ما أغنى الرئيسين عن المدح والثناء فنحن نعلم ان ذلك لن يزيدهما إلا تواضعاً فقد انتهت الى غير رجعة عهود الملق والتطبيل التى تخلق الطغاة والمتجبرين . " [1] . . . .

(العلم في الصدور لا في السطور) . . . . . .

وجاء ركب الشعراء والأدباء والكتاب الى بلاط الأمير باعذب الشعر واكذبه كالبردة الجعفرية [2] ، من خارج الحدود ومن داخله .. هم عليه يد واحدة ... يكتبون عنه ، ويكتبون له .. وتلتقى الكتابتان امام مسامع الجمهور ، شعب الثورة أراد أم لم يرد .. كيف لا وقد تفجرت الثورة من أجله رضى أم أبى ، خضع أم تمرد ، أيد أم عارض ، ، بإسمه يكتب الجميع ... أدباء وكتّاب .... من قبل كتاب أوربا الشرقية زينوا وجه الحكم الاشتراكى الشيوعى [3] ، بشروا بالثورة ، وأيدوها وزينوا وجهها أمام جماهيرها وأمام من تبعهم فى التنظير والتطبيق ، ولذلك ضيعوا الشعب والحكم وأنفسهم بالانجازات الوهمية والجنة الموعودة .. وكانت صرخة قورباتشوف الشهيرة من روسيا فاقتلعت السلطات وهدت سور برلين ... ولكنها لم تطعم الأفواه وإن أطلقت مركبات الفضاء وكذلك فعل كتاب مايو فى االداخل والخارج . . . فما استطاعت

---

(١) الصحافة ٢٦ ذو القعدة ١٤٠٥هـ - كلمة الصحافة على حامد رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة (مع الرئيسين ،صحبهما لحضور مؤتمرالقمة العربى الطارىء بالمغرب أغسطس ١٩٨٥)

(٢) الشاعر كمال بشير

(٣) حدث أن تزامن موعد افتتاح عرض المسرح القومى البريطانى لمسرحيه الكاتب الأمريكى آرثر ملير " البوتقة " ، والتى ينتقد فيها المكارثية ، مع موعد غداء أعد له بواسطة البيت الأبيض بطلب من غورباتشوف ... ففضل الكاتب الأمريكى حضور افتتاح مسرحيته عن الغداء مع بوش و قورباتشوف .....حدث ذلك اثناء قمة واشنطن بين الزعيمين فى يونيو ١٩٩٠م ، والتى دارت محادثاتها على الاتفاق التجارى لأن موسكو تبحث عن مخرج من أزمتها الإقتصادية بينما ركزت واشنطن على أهمية احترام موسكو للحريات العامة حتى تسهل عملية هجرة اليهود السوفيت لاسرائيل . . . .

الدولة التي صنعوا أن تملأ بطنا ًلجائع ولا أن ترتاد الفضاء . . . . . .

" ان ثورة مايو ليس انقلاباً عسكرياً ، ولا هي نقلاً للسلطة من المدنيين الى ضباط الجيش المنضوين تحت لواء الضباط الأحرار فحسب ، بل هي تحول جذرى فى السلطة السياسية و الإقتصادية فى السودان ... ولذلك فهى ثورة على الماضى و بداية لعهد جديد من التاريخ السياسى و التنمية الإقتصادية للسودان . "[١] . . . .

" وانه لمن دواعى السرور ان نلتقى فى هذا المهرجان العظيم مفكرين وادباء مبدعين ، و ما كان ذلك إلا بفضل الأديب المثقف الملهم الاخ عمر الحاج موسى ابن الثورة العظيمة بقيادة البطل جعفر محمد نميرى الذى مكن للأدب و الفكر ان يشق طريقه فى حرية تامة وسط هذا الزخم من متناقضات الحياة " [٢] . . . .

و يمضى الهتاف . . .

" فلسفة عملاقة هى مايو . . . .
و نظام فريد هو جعفر . . . .
جعفر الواقع و الغموض . . . .
جعفر الحقيقة و الخيال . . . .
جعفر الرجل و التحدى . . . .

جعفر هجين الوادى ، بذرة الشمال ، تربة الجزيرة و طلع تستظل به البلاد من اقصاها الى أقصاها من وهج الخلاف و من حرارة الإختلاف . . .

نظام رائع هو مايو ، و فلسفة فريدة هى جعفر . . . .

الرجل فى مقياس التاريخ بحجم الرسالة ، و الرجل فى وزن الانسانية بمقدار الدهشة ... انبلج لنا وسط الأعاصير رباناً أميناً فعبر بوابة التاريخ ليرينا صعوبة الرسالة [٣] . . .

" هو كتاب اكتشاف أصالة وعودة إليها بعد غيبة ، ولم تكن العودة بالنسبة إليه صدمه نفسية معينة ، ولكنها كانت معاناة تجارب وهذا هو التدين

---

(١) محمد عمر بشير – تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ١٩٠٠/١٩٦٩، ص ٢٩٢ .

(٢) د. مختار عجوبة – الاربعاء ١٩٧٥/١/٨م. المجلس القومى للأداب و الفنون (اصول القصة الحديثة فى السودان) .

(٣) " الوعد المظفر فى انجازات جعفر " مصطفى أحمد نورى ١٩٨٤/٢/٢٠م

الحقيقي ... ولكن ارى فى هذا الكتاب ايمان القلب قبل ايمان القلم .. تفرد هذا الكتاب إنه قصة تجربة دينية وليس تحليلاً قد يكون أخذ من أصول الثقافة الاسلامية ، و انه مثال لحاكم لم يطقه الحكم ولم تفتنه السلطة عن ما بدأ به من التدين بل زادته ديناً و اعادته الى اصالته و ذكرته بعد غفلته . " [1] . . . . . .

و تغيرت نغمة الخطاب ، وجلس أمام الناى كاتبان و رئيسان ... عربى وأفريقى . . . .

" ان الرئيس نميرى وضع فى مؤلفه خلاصة فكره وتجاربه لخدمة وطنه و امته الإسلامية ، بالإضافة الى انه يعكس بصدق ايمان سيادته الراسخ بالله و شريعته و ثقته بالنفس و أمله في المستقبل لكافة شعوب الأمة الأسلامية . " [2] . . . .

" أنا لا أهنئك باسم بلادى ، ولا باسم غرب أفريقيا فحسب ، بل أهنئك كمؤرخ افريقى يؤمن بأن وحدة أفريقيا لا يمكن تحقيقها قبل توحيد أجزائها .. ولسوف يدون اسمك في سجل التاريخ كواحد من أبطال هذه القارة . " [3] . . . .

و كتب عنه من شمال وادى النيل اثنان .... الرجل و التحدى ... و رحلة في منابع مايو ... عادل رضا ؛ و جلال كشك . . . .

جاء فى " الرجل و التحدى " ...

و عندما أعلن النميرى مرة تنحيه عن رئاسة الجمهورية ورئاسة الاتحاد الاشتراكي في حادثة زيادة أسعار السكر الشهيرة و عندما أعلن ان نائبه محمد الباقر بحكم الدستور سيخلفه [4] . . . .

" **للحظات** . . .

بدأ وكأن الحياة قد توقفت فجأة فى القاعة الفسيحة التي كانت لثوان مضت تضج بحرارة حوار استمر و تواصل لمدة خمسة ساعات . . .

---

(١) بشير محمد سعيد - النهج الاسلامى لماذا - ندوة الصحافة ١٩٨١/١٢/١٤م .

(٢) رسالة لنميرى من السادات ١٩٨١/٢/٢٢م

(٣) الرئيس السنغالى ليوبولد سنقور يخاطب نميرى - قمة الرباط . .

(٤) الرجل و التحدى - عادل رضا ص ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧ .

وفجاة . . .

تداخلت الأصوات

هتافات ليست سوى اسمه مكرراً ومكرراً ومكرراً ... صرخات نساء، بكاء رجال، تزاحم حوله حيث مكانه فى المنصه، وهو تزاحم كان يمثل خطراً حقيقياً على حياته، ذلك أن الدائرة التى احاطت به، كانت من الكثافة بحيث أصبح التنفس فى مركزها يكاد يكون مستحيلاً، وبذل بعض من تمالك وعيه جهوداً اسطورية حتى يخرجوا به من القاعة، الى خارجها، الى مكتبه بالدور الثانى بمبنى الاتحاد الاشتراكي . . .

المشهد فى الخارج كان عصيباً . . .

الهتافات، الصراخ، البكاء، حالات إغماء .. ترنح لأسماء لامعة، ذهول لقيادات تنفيذية وسياسية كبيرة، اصوات واصوات تردد بما يشبه الجنون .. نميرى . . . نميرى . . .

وهو وحده غارق فى الصمت .. اللواء الباقر بصوته الجهورى يوجه الحديث له

قلت : اننى اتسلم المهام منك . . .

اقول لك : لست أنا الرجل ... لست أنا الرجل ... اذا كان هذا قرارك، فهو قرارى أيضاً، فلنبحث عمن يقبل . . .

يتعالى الصراخ والهتاف واصوات البكاء فى الخارج، ورغم ان الاجتماع لم يكن مذاعاً، وقراره بالتنحى لم يمض عليه سوى دقائق فجموع الزاحفين من خارج الاتحاد الاشتراكي الى داخله جرياً لاهثاً كانت لا تنقطع . .

لم يسأل القادمون عن الأسباب، عن الظروف، عن الملابسات. كان الخبر، والذى لخصه كل من أجاب الى كل من سأل .. قدم استقالته ... وكان هذا يكفى، لان ينضم القادم الى موكب الهتاف والصراخ . والبكاء والإغماء كذلك . . .

الحوار فى غرفة مكتبه بالاتحاد الاشتراكي لم يعد حتى حواراً . تداخلت الأصوات فى الخارج مع الأصوات في الداخل، ثم غطت الثانية على الأولى، وكأن جدران غرفته قد تهاوت، وضاعت الحواجز، واصبحت الغرفة ومدخلها والسلم المؤدى إليها والساحة الممتدة أمامها كتلة جماهيرية متصلة

فى لحظه من لحظات الإلهام .. قفز الرائد أبو القاسم ابراهيم عبر نافذة فى غرفة مكتب الرئيس نميرى بالاتحاد الاشتراكي حيث دار حول

الساحة الممتدة أمام مدخل الغرفة ، وبعيداً عن الزحام الهائل أمامها ، وأعلن ان الرئيس تراجع عن قرار الاستقالة ، وانه باق فى موقعه ، قائداً للثورة قائداً للأمة . . .

لم يلتفت للهتاف المتصاعد حماس ملتهب . . .

عاد الى الغرفة من ذات النافذة التى خرج منها ، تقدم بصعوبة حيث يجلس الرئيس ... قال له : قلت لهم ما يجب ان تقوله ، هم فى انتظارك ، لا تتحدث إليهم ... فقط دعهم يشاهدونك ... بدفعه شارك فيها الكل ، تحرك الرئيس نميرى من مقعده ، وبدفعات أقوى شاركت فيها الجماهير المحتشدة داخل الغرفة وخارجها ، وجد نفسه وسط الجماهير ، لوح بذراعيه . .

انفجر الحماس من حوله ، وانفجرت الدموع من عينيه . " . . . .

إنه مشهد سنمائى درامى من رئيس ومرؤوس ، وحولهم تهتف مواكب النفاق ، وما كل ما يعلم يُقال . . . .

ويقول كشك فى رحلته فى منابع مايو ، متحدثاً عن ثورة الامام المهدى مقارناً لها بمايو . . .

" وكما هو الحال فى كل محاولات تفسير التاريخ فإن هذه التحليلات تتأثر بالموقف التاريخى والسياسى للمفسر . وليس تحليلنا هذا هو الاستثناء للقاعدة ، فإننا نفسر الثورة الوطنية الأولى من مفاهيم ثورة مايو . . [1] وبنفس المنطق وبنفس الشجاعة التى قال بها المهدى عن الأئمة والصحابة والتابعين المجمع علىٰ رسوخ علمهم فى الدين و التأويل والفهم لو ادركوا ثورته لانضموا إليها [2] ، واتبعوا قيادته ، لابد ان نقول أن المهدى لو ادرك ثورة مايو لاتبع قيادتها [3] . . . "

ويقول عن نميرى . . .

" وجدت جعفر نميرى حاكماً لا يعرف الحقد [4] ... ونميرى يحكى باخلاقيات القرآن [5] . . . . ثم رأيت قيادة مايو لا تطعم الجماهير بالشعارات ولا تلعب على المتناقضات أو تستجدى هذه المتناقضات ، بل تحتفظ باستقلاليتها دائماً وتؤمن ان السند الحقيقى هو الشعب ، وان بناء القوة

---

(١) جلال كشك رحلة فى منابع مايو ص ٦٥ .

(٢) يقول المهدى (نحن رجال وهم رجال ولو ادركونا لاتبعونا) . .

(٣) ص ١٠٩ . (٤) ص ٢٣ (٥) ص ٣٢ .

الذاتية هو الضمانة الوحيدة لحماية هذه الاستقلالية ، بل ولاستمرار وجودها وذاتها . " [١] . . . .

ويقول كشك عن احداث الغزو الليبي في يوليو ١٩٧٦م . . .

" إنها مجرد حادثه على الطريق ، بعض الأوابد و الضباع و الكلاب الضالة و قطاع الطرق يحاولون اعتراض طريق القافلة ، تكفى نظرة تكفى نهرة .. أو قد يحسن الإحتياط بسوط طويل ، و ربما بندقية ... ولكن القافلة يجب ان تسير .. وهى تسير .. نميرى يفعل ذلك عن وعى كامل بأن هدف كل هذه المؤامرات هو منع السودان من عبور صراط التنمية .. " [٢] . . .

وبعد أن سقطت مايو تحدث عنها كل من محمد حسنين هيكل و أنيس منصور . . .

" اعتقد ان السودان كان معرضاً لحكم من أقسى انواع الحكم فى الدنيا ... وهذا ليس رأياً لى أقدمه اليوم بعد ان سقط حكم نميرى ، بل ان لى رأياً فى الرجل يعود الى أيامه الأولى فى الحكم ... لم اكن مقتنعاً به ، .. أول مرة قابلته كنا في الطائرة التى أقلت الوفد المصرى برئاسة جمال عبد الناصر و الوفد السودانى برئاسة نميرى الى مؤتمر قمة الرباط فى ديسمبر " كانون أول " عام ١٩٦٩ و يومها و نحن على متنى الطائرة روى الرجل حكاية، على إنها من مآثره بعد الثورة و خلاصتها انه كان يحضر مباراة كرة قدم لفريقين ، سودانيين و كانت النتيجة هدفين مقابل صفر لصالح آحد الفريقين ، وظلت كذلك الى ما قبل انتهاء المباراة بقليل فاضطر هو كقائد الثورة ان ينزل الى أرض الملعب و يسجل هدفين للفريق المغلوب حفاظاً على معنوياته أمام الجماهير ... ما ان سمعت هذه الحكاية يقولها الرجل بنفسه حتى ادركت كم هو ضيق الأفق ، وقد قلت هذا للرئيس عبد الناصر الذى ، رغم ذلك ، طلب منى ان أجامله و ان تهتم " الاهرام " بالسودان واخباره .. ولكن ما قصدته هو اننى لم اقتنع بالرجل منذ البداية ، وعلى أى حال لا اظن انه هو ايضاً اقتنع بى بمعنى اننا كنا على طرفى نقيض تماماً ... ما يعنينى ان الرجل بضيق الأفق عنده لم يفهم السودان ... وانتهى به الحال ان أوصله الى حالة مأساوية فعلاً . " [٣] . . . .

---

(١) جلال كشك رحلة فى منابع مايو ص ٣٤/٢٣ .

(٢) جلال كشك رحلة فى منابع مايو ص ٤١٩ .

(٣) محمد حسنين هيكل - التضامن ١١/٥/١٩٨٥م - العدد ١٠٩ .

" الشعب السودانى يقول بانه حاول القضاء على نميرى ١٦ مرة فى ١٦ عام ويقول كثيرون .. ان مصر هى التى انقذته .. ويقول آخرون : بل إنه كان على استعداد لهذا اليوم فله جهاز أمن قوى ضخم .. هذا الجهاز يحكم الشعب ويسلط عليه أجهزة الدولة .. والناس يتلفتون حولهم ... وكان الرئيس نميرى يجد لذة كبيرة في ذلك .. فمن عادته إنه اذا استدعى أحد الوزراء ان يفاجئه بانه يعرف اخباره وخاصة مع فلان أو فلانة ... ثم يضحك سعيداً بذلك .. كذلك كان يفعل الرئيس عبد الناصر وهى عادة قديمة ابتدعها المستشار النمساوى مترنيخ فى القرن التاسع عشر عندما جعل الغانيات وسيلة للضغط الجيد لمعرفة اسرار خصومه السياسيين .. وقد استخدم هذا السلاح نفسه ضد الرئيس نميرى .. والفضل يرجع الى المليونير خاشوقجى وكانت المرة الأولى التى اسمع فيها أشياء تمس اخلاقيات الرئيس نميرى سمعتها من الرئيس السادات .. قال والله ما عندى مانع ابعث بالبترول والسكر .. ولكن الى اين يذهب كل ذلك .. بل الى اين ذهب البترول السعودى والبترول العراقى الذى أرسلوه الى ميناء سواكن .. ان جعفر نميرى قد أحاط نفسه بكل اشكال الفساد .. ثم اننى لا استطيع أن أواجهه بذلك [1] . . .

ومصر تعرف الكثير عن الذى يحدث فى السودان فى السنوات الأخيرة ولكنها لا تستطيع ان تلفت نظر الرئيس نميرى .. فنحن نعرف الحساسية السودانية على كل المستويات لكل ما يقال وما يجىء من مصر فلو أن أحداً نبه الى ذلك لكان تدخلاً فى السياسة ، وان أحد سكت فمعنى ذلك اننا نوافقه على ما هو عليه .. فنحن فى مصر نخشى ان نقترب كثيراً ونخشى ان نبتعد كثيراً ولذلك فموقفنا صعب ... اننا نقف فى الوسط بين الإقتراب والإبتعاد ... بين العناق والمصافحة باليد ... بين قول الحق الذى لا يترك لأحد صديقاً وبين اللامبالاة التى لم تترك لأحد عدواً ... ولذلك آثرنا الملاحظة والمتابعة والصمت والتوقع .. فالشعب السودانى هو الذى زرع نميرى وهو وحده الذي يقتلعه ، هو الذي أقام نميرى وهو الذى يسقطه ! ! وهو الذى جعله صنماً وعليه ان يهدمه وان يعلق الفاس فى كتفه .. ورغم كل ذلك فقد

---

(١) (أى يطلب رئيس مصرى أن تجامل الصحافة المصرية رئيس السودان رغم عدم كفايته حتى تصل البلاد الماساة بعد ١٦ عاماً) . . . . .

حذره الرئيس حسنى مبارك كثيراً وطويلاً ! ! [1] . . . . .

وتحدث فؤاد مطر [2] عن طبيعة العلاقات المصرية السودانية ، وتقييمها الدولي في معرض حديثه عن (الهراوى الخارج على رغبة الحل العربى) [3] .

" وعدم مشاركة الرئيس الهراوى في القمة الاستثنائية كانت الإختبار الأول لتاكيد عدم امتلاكه أى نسبة من الاستقلالية فى اتخاذ القرار ، وكانت أيضاً تاكيد لواقع يريد الحكم السورى تثبيته فهو مثل الواقع الذي كانت عليه العلاقة المصرية - السودانية . وعلى مدى عشرين سنة كانت تتعامل مع السودان على انه امتداد لها ، وإن على من يريد ان يتصل بالسودان ان يسال مصر ; بمعنى ان يتم الاتصال خلال الحكم المصرى - كما ان دول العالم اعتادت على ذلك وراحت تنظر الى السودان من خلال مصر وتتعامل معه على هذا الأساس . .

وبدلاً من ان تنتبه مصر الى ذلك وتعيد النظر فى موقفها هذا وتلغى هذا الإنطباع السائد عنها فإنها بالغت فى نظرتها تلك . وكان يبدو ذلك واضحاً فى المؤتمرات العربية والدولية حيث كان هذا الحاكم أو ذاك يبحث مع الحاكم المصرى أموراً تتعلق بشئون السودان وكما لو ان حاكم مصر هو حاكم مصر والسودان تماماً مثل ما هى حال سوريا ولبنان منذ خمس عشرة سنة .

ومن المؤكد انه لو أعادت مصر النظر فى هذا الموقف لما كانت وصلت المشاعر السودانية السلبية الى حد ان السودانيين ، أو على وجه الدقة ، القسم الكبير منهم ، رأوا مع أواخر حكم الرئيس (الراحل) أنور السادات إنه لابد من تحقيق الاستقلال عن مصر وكانما الشقيقة الكبرى لهم دولة تستعمرهم .. وكل ذلك نتيجة الوصاية التى لم تكن شيئاً يذكر إمام الوصاية السورية على الحكم اللبنانى . " . . .

وهنا نلمس عقدة السيادة والاستعلاء المصرية وهاجس التفوق والسبق الحضارى والمدنى والتى نجدها على المستويين الشعبى والحكومى ..: كان السودان ليس إلا تابع لمصر ومكمل لأمنها ... وأن فارقاً حضارياً ومدنياً لابد أن يجسد ، وإن تظاهر الجانبان بغير ذلك ...

---

(١) انيس منصور - وادى النيل العدد ٤ شعبان ١٤٠٥ هـ .

(٢) التضامن ٤/٦/١٩٩٠م العدد ٣٧٣ . . .

(٣) تاخر الرئيس الياس الهراوى عن مؤتمر القمة العربى الإستثنائى ببغداد ٢٨/٥/١٩٩٠م .

والأمثل إنه ليس أبقى وأقوى لتلك العلاقة من أن تقوم على الندّية وحرية وفردية السيادة و القرار السياسى والمصلحة المشتركة وفق مصلحة الشعبين وبإرادتهما بعيداً عن القرارات الفوقية . . .

و عندئذ لا يمكن ان يستغرب طرف ما يراه البلد الآخر كما فعلت القيادة المصرية تجاه الموقف إلسودانى من رأى مخالف لما رأته فى الغزو العراقى للكويت و الوجود العسكرى الأجنبى بالبلاد العربية ... هذا على مستوى القيادة أما على المستوى الشعبى فَستكسِى كلمات صحافة البلدين الواقعية والندّية . . . بدلاً للاتهامات و الكلمات النابية و المؤذية . . . .

تحدث أحد الكتاب المصريين عن قضية الحدود الثنائية بين مصر والسودان [1] . . . .

" المقترح هو المقايضة ... يأخذ السودان ما يرغب فيه فى منطقة جبل علبة و حلايب و تعوض مصر بإمتداد حدودها الجنوبية على ضفتى نهر النيل حتى الجندل الثالث عند مروى و كريمة ولهذا لا يكون هنالك غالب ولا مغلوب ... إذ تتوحد منطقة النوبة المصرية و السودانية كجزء من الدولة المصرية ويمارس السودان سلطاته فى مناطق القبائل على شاطىء البحر الأحمر ، وله فى ذلك خبرات تفتقدها مصر التى تمارس الحكم تاريخياً فى مناطق الاستقرار الريفى و الحضرى ... كما تتوفر الامكانيات من خلال الموارد البشرية المصرية لمواجهة الفجوة السكانية التى نشأت فى منطقة النوبة بعد انشاء بحيرة السد العالى ... " . . . . .

و ذكر الكاتب أحمد بهاء الدين [2] إن السادات اعترف بأنه انقذ النميرى ثلاث مرات و كان فى حكم المنتهى . . .

(أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ...) . . . . . .

كان أدباء السودان و كتابه الأوائل و رعيل صحفييه و اعلامييه السابق يعرفون ان دورهم المنوط بهم أداؤه دور سهاد وصبر و ثورة لا تنطفىء ... توجهوا للقراءة الجادة و الكتابة الجادة ، بالرغم من غياب التقويم و التقييم الدقيق العادل لعملهم و التقدير الكامل له ، .... و ساروا بعيداً عن التجريح والإهانة و بكل أدب و أدب ، اغتنموا فرصة اعداد الذات قبل العطاء . . .

---

(١) مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٠١ يوليو ١٩٩٠م. مستقبل العلاقات المصرية السودانية – عبد الملك عودة . . .

(٢) المستقبل ١٨/٥/١٩٨٥م

ولكي يصقلوا الموهبة بالعلم بحثوا عنه بالهمة و العقل و الصبر و المثابرة و المهاجرة بحثاً بالأظافر ، و نحتاً على صخر الواقع ، بحثاً عن درر وجواهر الباطن ولم يكتفوا بغبار السطح .. فاحدثوا رقة و ابداعاً و خيالاً و معنى مبتكراً تجده عند فحولهم من الكتاب و الشعراء .. من كل منطيق مُفـوه ...

و حركوا الحياة الأدبية و الثقافية و الكتابة عنها بحروف تزهر و تحب ويمخالب تجرح فتدمي و تكره حسب مقتضى الخيال و متطلب المقال . . .

وجـاء حصادهم ، غثـه و سمينه ، يغلب عليه طابـع الجهد و القراءة ومجاهدة النفس و مغالبة الفكرة و التفكير ... ناتج يتداعى له سائر جسـد الكاتب بالمعاناة والإرهـاق بدقـة البحث وكثرة العـدو وراء المعرفـة و الإتقان و الاجادة ، و تجويد البناء و البيان والتبيين ... حتى إذا ما خرجت كانت ثمرة ناضجة طيبة تجذب الناس برائحتها الطيبة و تاسرهم عند قراءتها بصدق محتواها و تذهب بلبهم و تقضي وقتهم تجوالاً بين صفحاتها ... ... كان من يكتب و يتحدث يخجل من نفسه قبل ناقديه و يخاف لومها قبل سامعيه ان أخرج فطيراً صعب الازدراد ، أو نتناً تفوح منه رائحة التعفن والفساد ... فينزوى مكباً على وجهه يصحب القراءة و الإطلاع و ينشد الاستزادة محاولاً اعادة اختيار الطريق بإعادة صياغة ذاته ليصير فى قوله و حكمه ونقده حيياً خجولاً ، لأن الكاتب كلما زادت ثقافته زاد حياؤه واحتشامه.. ما أطول الدرب ... وما أعظم المسير ... و ما أعدل من ينقد ويدير ... لا يعرف المجاملة فإنها تفسد معيار المجامل فى التقييم و تفسد عالم الكتابة و النشر و التثقيف ، و تخدع من يكتب فلا توضح له حقيقة نفسه و مستواه فيركن للخمول ظاناً بانه قد اتقن و أجاد ... و تفسد معرفة من يقرأ بتقديم مادة لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ولا تستحق الحياة . . .

أولئك كانوا يبتعدون عن الإسفاف و الإسقاط و السقوط ، و غوغائية الكتابة و بيع الكلمات و المعانى و شرائها .. البقاء و الحياة عندهم للأصلح من الكلم و معناه ... صحبوا الكتاب من امهات الكتب و المجلات ... وهؤلاء جيل التسرع من المنبت و زبد التلقى من الثقافة التلفزيونية و ضعيف الجرائد والمجلات ... فهل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون . . . ذلك الجيل المشبع بالمعرفة الأصيلة منهم من مات بعلمه من غير ان يدوّن ... و من بقى منهم يسير به على درب سابقيه .. ما ان جالست أحدهم إلا و ادركت البوْن المعرفى الشاسع بين جيلين . . . . جيل متواضع بعلمه ، و جيل يمتلىء غـروراً

بجهله [1]. . . . . . .

يؤكد ما ذهبت إليه واقع العالم العربى وتقارير اليونسكو. [2] . . . .

" ان العرب سيواجهون أزمة ثقافية فى فترة السنوات القليلة القادمة بسبب قلة المؤلفين والمترجمين .. وإن العالم العربى الذى يبلغ تعداد سكانه اكثر من ١٢٥ مليون نسمة ينتج بحدود خمسة الف كتاب او ما يعادل ١٪ من انتاج الكتاب فى العالم .. هذا فى الوقت الذى تكون فيه نسبة العرب الى مجموع سكان العالم حوالى ٣,٥٪. " . . . .

ويقول صاحب وامين المكتبة الأكاديمية بالقاهرة [3] . . . .

" لابد من ان تهتم الحكومات بدعم كل ما يتعلق بصناعة ونشر الكتاب حتى يرتفع دخل العالم العربى من صناعة النشر ويصل ما وصل إليه فى أوروبا وأمريكا .. ففى امريكا وحدها ٢١ الف دار نشر بينما لا تتعدى دور النشر فى الدول العربية كلها ٥٠٠٠ دار منها ١٠٠ دار فقط مؤثره فى النشر وصناعته . . .

إن التطور التعليمى فى العشرين سنة الأخيرة فى كل البلاد العربية والطفرة الإقتصادية العالية لبعض الدول العربية وخاصة البترولية لم ينعكس بشكل كبير على حركة النشر التى لا تزال محدودة ولا تواكب هذه التطورات نتيجة لقصور الأدوات الثقافية بالإضافة الى الفوضى التى تميز حركة النشر على مستوى العالم العربى . " . . . . . .

ويبلغ الأمر ببعض اصحاب المطابع ودور النشر طبع كميات إضافية دون علم المؤلف لتدر فى حسابها الخاص ويتمنع بعضها ويرهق المؤلف فى الحصول على استحقاقاته والتى لا تتعدى ١٠-١٥٪ من سعر الكتاب، إذا استثنينا الاسماء اللامعة والتى يهتم بها الناشرون دون الموضوع ، الشيء الذى يضيع أعمال ذات قيمة أدبية وعلمية هامة لكتاب غير مشهورين . . .

---

(١) يجادل البعض بأن بعض وسائل الإعلام تساعد عن البعد على الكتابة كالتلفزيون ، ويرمونها بتزويدهم بداء الأجيال من سطحية المعرفة والفراغ الفكرى الثقافى ...كما أنه عند غياب مناخ حرية الكلمة ينشا التناقض بين السلطة والمثقف ، ويفقد المثقف دوره فى بناء المجتمع ...

(٢) مجلة العالم سبتمبر ١٩٩٠م . . .

تقرير اليونسكو (مستقبل الثقافة فى الوطن العربى) . .

(٣) أحمد امين - مجلة الشرق الأوسط العد ٢٢١ سبتمبر ١٩٩٠م . . .

(القولُ يَــنْـفُـذُ مـالا تنفذ الإبرُ .) ......

المادة الاعلامية تهدف لبناء و تنمية الفرد و المجتمع ، و ترفع من قيمته ... مسئوليتها التربية و التوجيه والتهذيب و الترفيه المهذب الذى لا يخدش الحياء ، و يصون الكرامة و المروءة .. و مهمتها بذر قيم الوفاء و الصبر والعفاف و الشجاعة و الحياء و النجدة بالطرق غير المباشرة كالقصص و الرأى و الأناشيد و الأشعار و التمثيل .. أو بالقدوة الحية و المثال الملموس ... ووسيلتها ان تلاحظ فى ذلك مستوى المجتمع فى تناول الموضوع و تقدير أهميته و هدفه ، وليس النزول لمستوى المجتمع تعبيراً و صياغة و كتابة .. لأن المرجو فى ذلك ان ترتفع به عند تناول العرض و تقديم الحل و المغذى ... و طريقتها تلمس رغبات الناس و التجاوب مع حياتهم و أحاسيسهم و مشاعرهم ، والاهتمام باخبارهم و اخبار غيرهم و معرفة أحوالهم وان يضيف كل ذلك الى حصيلة معرفتهم ... و أن تربط بين فكرهم وواقعهم العملى باستقراء و بسط دروس التاريخ وعبره ، ليستقيم التطبيق .. لأن المادة الاعلامية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالظروف السياسية و الإقتصادية فى المجتمع البشرى المعين ... فوجود سلطة فاسدة و اهتمام بتوافه الأمور وعوامل الإثارة و بعد عن قيم الخير والشرف ، ينتج وعياً إجتماعياً اعلامياً زائفاً منقوص التصور و فق قيم وأفكار سلطته .. إنه اعلام منفذ للسياسات وليس صانعاً لها ... لا يدرك ان الكلمة تربية و نماء وطنى ... فهى تحي انفساً و عقولاً ... إنه اعلام سلطة و نظام واجبه الدفاع و دفع الهجمات ... تضيع مجهوداته فى متابعة الأراجيف و الأقاويل و الاشاعات و محاولة ردها و تكذيبها ... يصف مناسبات السلطان ولقاءآته و يصوغ مبررات وجوده و يبالغ و يتفنن فى تمجيده ، لذا فلا يتوقع ان يكون صداه فى نفوس الناس و تاثيره على حياتهم الفكرية والثقافية و الإجتماعية إلا هباءً منثوراً ... وسط ضبابه و سرابه تعتيم إعلامى داخلى يحجب المعلومات عن المواطن ، الأمر الذى يلجىء للدوائر الخارجية للحصول على المعلومات فى دائرة اهتمامه ، حيث يجد الآخرون فرصة التقييم و تسميم المعلومات و أدخال الغرض فيها .. و يفقد المواطن ثقته فى مصادر إعلامه ويكون عنها فكرة مسبقة بعدم جدواها ، فلا يهتم عندئذ ببرامجها ولا يتابع كتاباتها .. و كذلك كان ثوب مايو الإعلامى كثير الثقوب .... و مثله اعلام الأحزاب واسع الخرق ... و سيكون ذلك حال كل اعلام لاحق لا يلتزم بحرية

الكلمة و صدق الخبر ، وحرية التلقى و ابداء الرأى ، و اتاحة المعلومات .. ثم يترك حرية اختيار المجلة و الجريدة الخارجية و الداخلية لفطنة القارىء وحكمته .. و ما تركت وسائل الاعلام الداخلية من قبل إلا لأن القارىء المستوعب قد وجدها عديمة أو محدودة التاثير على الرأى العام المحلى والعالمى فاعتبرها مصدراً أعلامياً غير موثوق به .. أى انه فقد ثقته فيها عندما فقدت مصداقيتها عند طرح التصور الواقعى للأحداث ... و ما كان ذلك إلا لأنها ، فقدت المبادرة الخبرية لضعف الأجهزة و الكوادر ولأنها أولاً و اخيراً تخطو و تتحرك بامر السياسة و الحكومة .. ..

إذا استطاعت السلطة أن تخلق اعلاماً حراً مرناً مقتدراً مواكباً للأحداث المحلية و العالمية ، جريئاً فى قول الحق و المواجهة ، مزوداً بالمعلومات الواقعية ، فإنها بذلك ستسحب البساط ممن يتذوق حلاوة المعارضة و الإختلاف بالإشارة الى ما تحمله طيات الصحف الخارجية حتى و ان كان مغلوطاً ... عندئذ فقط لن يجد الرقيب الإعلامى ميداناً لألوانه أو مسرحاً لمقصه . . .

(أغنى الصباح عن المصباح .) . . . .

كان الإعلام يهدم عقول مواطنيه ولا يطورها ، فهو يستخف و يستهون عقولهم ، و بذلك يحد من تفكيرهم ولا يطوره . .

نميرى يتوج كشافاً اعظماً بذكراه الخامسة [1] . . .

و توجه اتحاد الفروسية فارساً للفرسان [2] . . .

و تمنحه الدكتوراه الفخرية فى القانون جامعات الخرطوم و القاهرة وجامعة نيجيريا ... و تمنحه جامعة نباراسكا الدكتوراه الفخرية بتحقيق الاستقرار فى الجنوب ... بينما عوقب الاسكندر هيج وزير الخارجية الأمريكية فى عهد ريجان على عدم اتقانه اللغة الانجليزية بتدوين اسمه فى لوحة العار بكلية سانت مارى بولاية متشجان . . .

لم تكن وسائل الاعلام اداة فاعلة فى الاتصال بعالم المعرفة و العلم ، وإنما كانت ادوات تشويه و تفخيم و تضليل ... تخفى الاسباب الواضحة و تعلن غيرها ... (ما يدور فى السودان يقع فى كل مكان) ... و (إن حال السودان احسن بكثير مقارنة بمن هم فى وضع أسوأ .) ... و عملت على اهدار و افساد طاقة الوعى الاجتماعى فى المواطن ، و شوشت ادراكه لما حوله مما اورثه عدم التصدى للمشاركة فى بناء مجتمعه و تنميته ...

---

(١) ٧٧/١١/٢٦م

(٢) ٧٩/١/٣م

وجلس من يعادى الوعى و التغيير الاجتماعى (لتعارضه مع مصلحته الذاتية) فى قمة المسئولية ...

يقول شاهد الإتهام الرابع فى قضية الفلاشا ....

" عمر كلف معتمد اللاجئين السابق عبد الماجد بشير الأحمدى باصدار بيان صحفى يؤكد فيه ان تعامل السودان مع اللاجئين يتم بعيداً عن المعايير الدينية و المعتقدات التى يؤمن بها اللاجئون ، و ذلك بعد ان كشفت عملية الترحيل الأم (موسى) والتى تمت من مطار الخرطوم . " ....

و اكتسب الاعلام المايوى جرأة بلا نظير على التزييف و المغالطة والتطبيل ، و احتقار عقول المواطنين و تفكيرهم ... ، انت تذكر جيداً ، أيها القارىء ، فقرة المسابقة الشعرية فى البرنامج التلفزيونى السودانى (فرسان فى الميدان) و الذى يقدمه الاعلامى الاستاذ حمدى بدر الدين .... فما أن تُعيى أحد المشاركين قافية نونية إلا و ذكر " نحن من مايو وفى مايو بعثنا من جديد " ذلك القول الشعر ، لقد سمع المشاهدون ذلك عشرات المرات ، ولم تعترض لجنة التحكيم . و بعد أبريل اعيدت احدى حلقات البرنامج ، ولما جاء ذكر البيت ، إذا بالصورة دون الصوت غير ان ذلك لم تخطئه عين المشاهد و خبرته ... ، لقد سمع ذلك المشاهدون وادركوه بالفطنة ووعيه الآخرون بكثرة الترداد ... هكذا يعيش شعر المناسبات خميراً كان أم فطيراً ....

وقفت وسائل الإعلام سالبة ولم تتعرض لأى من التهم التى شملها خطاب نميرى (المجابهة مع السلبيات) [١] ، قبل ان يذكرها الخطاب ، وبالرغم من ان الخطاب قد فتح أمامها فرصة للحوار و النقاش إلا إنه لم يحظ بكثير اعتناء فى منابر الاعلام ، و اكتفت بقولها إنه كان نقاشاً حافلاً وجريئاً ؛ علماً بأن شمولية الخطاب قد عبر عنها د. منصور خالد بقوله

(لم يترك الخطاب زيادة لمستزيد) ....

هكذا وسائل الاعلام المايوية تتمنى ان تكون اعلاماً بما يقال فى المناسبات ولاتطمح ان تصير حقيقة وواقعاً عملياً ... فكيف لا يختل التوازن النفسى لجعفر نميرى و يصاب بجنون العظمة و الكبرياء ، كل كلمة منه تقرر

---

(١) خطاب نميرى امام الاجتماع المشترك للمكتب السياسى للاتحاد الاشتراكي و مجلس الوزراء فى منتصف اغسطس ١٩٧٩م .

والممنوع مرغوب و(ما كل ما يعلم يقال) . . . .

(مُغَوْزُعَلَقَ شَنْاً باليـاً) . . . .

إعلام هذا شانه من الهوان لن يترك بأزّ الاخرين قطاه لينام ليلاً أو نهاراً ... هل يستطيع عربسات التصدى لبرنامج البث الاروبى المباشر الذى لن يستاذن عند الدخول للمنازل ولن يطرق أبوابها ليؤذن له بالدخول أو يمنع !! ... بالبث المباشر تقلصت مساحة حرية الإختيار و التلقى الثقافى و الفكرى ، حيث تنتفى الهجرة و الأسفار و يتم الاستيعاب بالإغراء و الإكراه ... سيشاهد الإنسان الإرسال العالمى و يسمع البرامج المباشرة كما يشاهد البث المباشر للألومبيادات و مباريات كأس العالم لكرة القدم ولكن على مدار كل ساعات اليوم ... من ايجابياته إنه يمكن العالم النامى من معرفة ما يجرى فى العالم المتطور من تقدم و تغيرات ، ويعطى مساحة أكبر لمن لديه القدرة على المساهمة فى مواجهة حضارة الغرب أو التعرف عليها ... كما أنه يربط هذه المجتمعات النامية المتخلفة بمعطيات العصر الثقافية و التقنية و الفنية لتقف على تقدمه فى ميادين العلم و المعرفة و الثقافة ... ولكنه يعرض سيىء الإخلاقيات من اباحية وقيم مفتوحة ، و أنماط سلوكه و تعامله مع قضايا العيش ويتعرض لقضايا اللذة و الشهوة و الإباحية و الحس و العنف و المخدرات و تكون هذه اكثرية مادته الإعلامية . . .

تلك قضايا لا تواجه إلا بنضج الفكرة و الخطة و التربية الإعلامية وارتكازها على العلم و المعرفة و بذر الصدق و الحقيقة فى وسائل اعلامنا وتحسينها ، فمن العسير علينا يومئذ مواجهة البث المباشر بمنع الإرسال أو التشويش . . .

" إن المآرب و الأغراض المختلفة هي التي تؤدي الى سرقة الثورات ، وذلك في نظري ما جعل ثورات عديدة تسرق من أصحابها و يسير بها الشطار الى غاية أخرى ،، حتى قيل .. الثورات يرسمها المثاليون ، و ينفذها الفدائيون ، و يرثها المرتزقة ، ترى لو كان المثاليون والفدائيون على قلب رجل واحدٍ في الإيثار و التَجرُّدْ أكان يبقى للمرتزقة موضع قدم ؟ ! "

الشيخ محمد الغزالي
المسلمون ٢٦/ رمضان ١٤٠٥هـ .

الباب الثامن

من أين تؤكل الكتف

(أ) بذرة الأمل . . .

إن كانت كل أفعال السلطة في السودان تدفع بعجلة حركة المجتمع نحو دائرة اللامبالاة و حلقة الضياع ... فلماذا لم يستخدم المجتمع ، فى كل المراحل ، قوته الضاغطة لتثبيت تلك العجلة عن الدوران أو يغير إتجاهها ... ؟ لماذا يلبث هامداً صامتاً ، خائراً مكبوتاً ، خائفاً يتقلب و يستلذ العذاب ؟ ... ومن المسئول عن كل ذلك هل هي عوامل الطبيعة و جورها ... أم الخوف من قوة الجيش و الأمن و الحرس و ما تفعله من قهر وردع وما ينتج عنها من تبعية ؟ . . . .

بأى من أولئك ، أو لكل أولئك ، أو بفعل غيرها ، فقد كانت المحصلة النهائية ، أن شوّهت الشخصية السودانية .. مكرهة و مستحيية و راغبة ... وغدت فى كثير من حياتها ، ضمائر ميتة و ذمم خربة فاسدة .. وهنا يجب ان تدور معركة التغيير . . . .

و يبقى الأمل فى ان يحرث السودان و يزرع الله فى أرضه من يفكر فى اعادة بناء الذات السودانية ، فكرياً و سياسياً و اجتماعياً و اقتصادياً ، ويجعل من أوائل همومه ايقاف حلقة " الرقص الجماعى " السريع الإيقاع (افريقى - عربى) على انغام طبل السياسة بلا وعى .. وأن يعيد وعى المتفرجين ، و يبعدهم عن حلبة المصارعة البرجماتية [1] الاقتصادية الاجتماعية ، ويحرق أحزمة المصارعين مهما كانت ألوانها لتتغير المعادلة عن اعتبار أن أصل الصراع هو المنفعة الذاتية المادية ...

طلقة البداية وكلمة السر هى الآذان بالناس ، كل الناس للتربية .. الوطنية و البدنية و العسكرية .. ايماناً بالله و الوطن وقوة فى النفس تصدياً لصعوبات الحياة .. وتطلعاً للقدوة الصالحة من أجل الإنطلاق نحو المستقبل المشرق بنور العلم و المعرفة .. لتسكن غربة جيل باحث عن الولاء للوطن .. ويصبح ولاؤه قومياً اصيلاً ، لا ولاء انتماء و شعارات .... ولاء يحدوه الأمل و يصدقه العمل . . .

---

(١) إعتبار المنفعة . . .

وكم يجمل ويزان ان يصحب الإدراك التربوى الذى يربى عليه النشىء بُعْداً وجدانياً ليقوم حب الوطن على العقل والعاطفة معاً ...
وبُعْداً علمياً لإمتلاك مُكْنة التفكير والتحليل والتقييم فيشب الجيل مشبعاً بحب الأوطان عقلاً وديناً ويقيناً . . .
ومــن أجـل ذلك كان لـزاماً ان يخـرج اهـل المعرفـة واصحــاب البيـــان عن صمتهـم . . .
او عن رهبانيتهم . . .
او عن كهانتهـم . . .
ثم يتحملوا مسئوليتهم الثقافية الوطنية بحرية ومسئولية تعاملاً مع السلطة ، كتابة للتاريخ أو عرضاً للآراء . . .
وعلى الحاكم أن يخرج لجمعهم غير متدثر بثوب إعجاب أو احتجاب ليؤذن فيهم .. آلا ان الكلم والقول مع الحق وليس مع الحزب أو الطائفة أو النظام أو التنظيم .. وان خيال أدب الثورة والمقاومة والمرحلة وبناء تلال الوعد الكاذبة والأوهام لا يبنى وطناً ، بقدر ما تبنيه المشاركة الوطنية الفاعلة مجهوداً وبذلاً ... وان مسئوليتهم ، لا تقل عن حريتهم فى التقويم والتقييم ... صدقاً وجرأة ... استعداداً لتجربة التغيير والبناء ، لا ابداعاً فى أدب الولاء السياسى ... أدب السلطة والسلطان .... لأن من يفعل ذلك هو تماماً كمغنيّ بيوت الأفراح فى ليل الخرطوم المظلم ... يرددون حتى أذان الفجر كلمات وألحان وانغام من أجاد ومضى من المغنين والشعراء ... ويرفل الراقصون بجهلهم طرباً ، يعتبرونها من جديد الكلم ، وحديث ابداع الواعد والموهبة ، لأنهم يجهلون آداب قومهم وتاريخها .. فما أظلمهم لأنفسهم جميعاً ... لأن شعراء بلاط الأمس لم يتركوا للاحقيهم جديداً يقال . . .
ودليلنا ان أذكروا جميعاً أيام مربد العراق الخاليات ... ما أتعس البلاد يومئذ واشقاها وقد عرفت من خلال كلمات وأقوال ومعانى اغرار الأدباء والشعراء ، وقد ارسلوا زرافات ووحداناً ، وفق الولاء والقرابة والصداقة والوفاء ... وعادوا يحملون خيبتهم ولم يتركوا بعدهم بأودية الرشيد أثراً .. وما اسعدها وأبقى آثارها بالرافدين يوم ان حصد فحول ادبائنا أوشحـة الشرف ، وزانـوا سمعـة البـلاد عنـدما كان المـيزان هـو الكفايـة والدراية . . . .

(ب) طوق النجاة وقارب الخلاص . . . .

ان قدر المنقذ ورجل الخلاص . . . .

* ان يدرك ثقل الأمانة وحجم الدمار . . .

* وان يداوم على طلب الاستعانة بالله والالحاح بالدعاء لتفريج الضيق وسرعة المخرج وسعته ... لأن الامر بعد لا يتحمل معارضة التحطيم وتفريق الجهود ، علماً بأن الكثرة كيوم حنين لم تغن ولن تغن من الله شيئاً . . .

* وان لا يكف عن الدعاء (اللهم غيثاً طيباً عميماً نافعاً) . . ويهب رعاية لأبناء السودان ، زرعهم وضرعهم ، والخير فى باطن أرضهم .. ومن أجل ذلك فليتزود بالهداية لشروط النهضة وبناء الأمم . . .

* وان يحمل فى سفينته كل وطني متجرد غيور ، ويخشى عاقبة جمع البيض فى سلة واحدة وملاعبة البيض بالحجر ... لأن هنالك من يتعلق بالقطار بقلوب واجفة وعيون تترصد تتطلع للحظة تحكم فيها قبضتها بكيفية الدمار ... وأن فى الخارج من يحمل بيده الثقاب يحاول ان يشعل الحريق ... ويساعده داخلياً من يجثو على ركبتيه ينفخ بملء فيه محاولاً إذكاء نار الفتنة تحت الرماد ولا يكف عن ذلك بالرغم مما ينال عينيه ومنخريه بفعل الدخان ... لمثل هؤلاء يلزم الحيطة والحذر وتضييق الخناق ...

* ومن بعد عليه هزيمة النفس أمام غرور السلطة ، وعليه ان يضع فى بطنه حجراً ويشده بحزام من القناعة والزهد لأن قلب الكبير لا يزال شاباً فى حب الدنيا وطول الأمل، ولأن أمانى إبن آدم تتعلق بوادى الذهب الثالث إن نالت الواديين ..... وبعد ان يتأكد من ان الطريق لإتجاه واحد عليه أن يحرق سفن الرجوع عن الهدف ، وان يمزق راية الاستسلام ويحطم سارية الانتكاس ... ويسير مطمئناً بقارب (أن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله) ... وان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك .... وان الزاد فى كل الصبر وتعلم العوم والغوص ... لأن من الصعوبة التنفس تحت الماء عند القفز من على ظهر السفينة خشية الحريق . . .

(ج) سبعة معالم فى الطريق . . . . .

(١) إن المعرفة الحقيقة لنبض الشارع والوقوف على همـوم الناس وواقعهم المعيشى ، وتلبيـة ضروريات حيـاتهم اليومية وحـل أزماتها قبل مرحلة السخط والضجر والضيق هو سر دوام الثقة بين الشـعب والسلطـة ..

وأقرب وأقصر الطرق المؤدية الى استقرار الحكم الذى يؤدى حقوق المواطن، ليؤدى بدوره واجبات الدولة التي تحفظ أمنه وإستقراره، وتحترم عزمه وتحمل همومه ولا تعيش بعيداً عن واقعه ... لأن الهموم والمصاعب ترهقه، والكلام وحده لا يملأ فارغ بطنه ولا يسكت هتاف امعائه ... ومهما تحدث المنظرون والمفكرون الإجتماعيون عن الشعب السوداني بأنه دائماً يبحث عن حرية رأيه فهو يبحث، ويجهد اكبر، عن قوته وما يقيم به أود ابنائه لأنه (زىَ إبلَ الرّحيل شايلة السُقا وعطشانه)

(٢) إن السودان قطر زراعى متخلف، فى طريق الضياع، فلكى ينهض ويبتعد عن هاوية الدمار والتحطيم لابد له من اعمال للظروف البيئية المواتية، الملائمة للتنمية والانتاج، وتوفير الغذاء لنفسه أولاً ولغيره عائداً... وأن يعلم ابناء السودان، بأن لهم فى النيل الجارى نعمة يشتاط لها دولار البترول حسداً وان فى خريف الأمطار خير ما بعده خير .. وانه من الواجب استغلال كنوز بواطن الأرض من المعادن والبترول واستثمارها، بالرغم من صراع الامم العظمى بحثاً عن توازن قواها، ومن ثم عدالة توزيعها حتى لا يكون الإحساس بالظلم والحرمان ... لانه عندما يكون نصيب الأقل قدرة وانجازاً من الثروة والمكانة أعلى وأوفر من الاكثر قدرة وانجازاً تتسع هوة الفجوة الإقتصادية والإجتماعية بين الأمل والواقع، فيأتى الإحباط ويتبعه العنف والثورة ..... وان اعلان التسعيرة ليست هى الحل لانها توقف المنافسة الحرة والجودة وتقتل حافز النجاح عند المنتج ... وان حل الضائقة المعيشية يكمن فى الانتاج والوفرة والمنافسة الحرة والاصرار على محاربة الجشع والاحتكار والتخزين وفاحش الأرباح ... والتحكيم لقانون العرض والطلب تحت تضافر المجتمع وجسارة الدولة .. ومصداقيتها فى اعادة توزيع الاقطاعيات من الأرض الزراعية لمن يفلحها ويستصلحها، واعادة النظر فى إحتكار آلاف الأفدنة باسم الجمعيات التعاونية والشركات اسماً، والأفراد "حكراً" حول العاصمة وبقية أرض السودان .. وتفجير نهر المياه بباطن الصحراء واستخدام الآبار الجوفية العميقة وطرق الرى الحديثة كالأنابيب والرش المحورى الدائرى ... وهو النظام الأنسب للأرض الغير مستصلحة والأراضى الرملية .... فى كل اقاليم البلاد حيث المعاناة والهجرة والنزوح وجرف التربة .. ودمارها .... حتى لا يقضى زيف نقود المدينة وبريق حياتها على

استعداد النازحين والمشردين الفطرى للزراعة والرعى . . .

(٣) إن أهــل الســـودان كغيرهم من شعوب العالم يعانون سلبيات المذهبية والتطرف الفكرى والعنصــرى والتعصب للأصول ، ويتحملون تبعة فعـل بعضهم وقوله ممن جعل كسبه فى بناء الأوطان قعوداً بها عن بلوغ سامى أهــدافها ، وتثبيطــاً واحباطاً لأملها فى ان تنشد قيــم الكمال وتكمـل مقومات وجودها ..... ولن ينال ما يريد من ينتظر اختفاء آخر من يعتقد بالتفوق العنصرى (النظرة الفوقية والدونية وفق لون البشرة للفرد، وثُمرة عالمه) بـين المجتمعات ونظـرتها لبعضها البعض .. لأنـه مهما نصت على ذلك مواثيق الدول والمنظمات وحقوق الإنسان ، ومهما كتـب عنها الناقدون وروجت لذلك وسائل الإعلام ... فإن لها فجائيـة الظهور على السطح بعد اختفاء سلوكاً أو اعتقاداً لنظرة تاريخية خاطئة ، أو لسيطرة وهم ، أو لجهل أو اكمال مزاح ومداعبة ، أو اظهاراً لسخط وضجر وسرعة إنفعال كما هو حال النفس البشرية عند الغضب وفقد الأعصاب ... تلك ظواهر بشرية غير مهتدية نجدها فى العالم الغربى والشرقى معاً والدول المتحضرة والمتخلفة بمختلف أجناسها ، بين عناصر القطر الواحد ، وبين افراد القبيلة والعشيرة الواحدة ويمتد ذلك حتى بين الأسر والأفراد .... إن مــن ينتظر زوال هذه العيــوب تماماً ثم يبدأ تجميع مجتمع الشتات هـو فى طريق من يريد ازالة الفوارق تماماً بين طبقات المجتمع وجعل المساواة المطلقة بين الغنى والفقير ، ناســياً قدر الله فى خلقه ، وناسياً اختلاف كسب البشر وحب الإمتلاك الفــردى ، ودفع الناس بعضهم ببعض .. ولكن من الواجب ان لا نركــن إليها ادمـــاناً للتخدير الاجتماعى وامعـــاناً فى غيبة الوعى وتعاطى المنومات والمهدئـــات والمسكنات ، على أنها هنات هينات كفيل بها الفعل التدريجى للزمن ، اهمالاً وتهاونــاً ، ولكن لابد من مواجهة المجتمع لمن يفعلها ، باحتقاره والاستهـزاء بمفهومه ، والإزدراء به واهمال أمر تقديمه ... وينبغى ان لا نلتفت إليها كثيراً وان نعتبرها خدوش خارجية و" كــدمــات " اجتماعية تجدى فيها المعالجات الطبيعية بالمكمدات سخونة وبرودة .... ويساعدنا على السير فى طريق البناء اذا علمنا إنها ليست دمامل وأورام سرطانية خبيثــة تقــتل وتهدد اصول وكيان الأمة .... ولكنها طيعة أمام جراحات المجتمع من تربية واستنارة ، ومعرفة لقيم مدنية الانسان وسمو مشاعره وجميل سلوكه . . .

... إن التعصب فى الأديان قاتل لفكرة تعايشها ، وان التطرف فى مظاهر الاعتقاد يشعل حريق الفرقة ولا يطفيها بروح المحبة والالتقاء ... وان

التدين بلا معرفة يجلب الكراهية و يقود لدائم الاختلاف . . .
ربما يتعصب المسلم حتى مضايقة غيره فى الطريق . . . .
و يختلف مع أخيه المسلم حتى يصفه بالكفر و الفجور . . .
و يتعصب لقوانين دينه حتى المطالبة بتطبيقها على كل البلاد ، بلا مراعاة لحقوق الغير فى ان يحتكموا لاديانهم وهم شركاء فى الوطن . . .
و يتعصب المسيحى لدرجة ان يجعل مهمة التبشير و التنصير ليست تغيير عقيدة المسلم وادخاله المسيحية ، بقدر ما هى فى جعله مخلوقاً لا صلة له بالله ولا بالأخلاق ، يتعلم من أجل الشهرة و اللقمة .... ثم يضيع مركزه من أجل الشهوة . . . .

" ان مهمة التبشير التى تريدكم لها الدول المسيحية فى البلاد الاسلامية ليست فى ادخال المسلمين فى المسيحية ، فإن هذا هداية لهم و تكريماً ، وانما مهمتكم هى ان تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صله له بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها . "[1] . . . . . .

و يقول تقرير مكتب الدراسات الإقليمية بمجلس الكنائس ، عن مستقبل الحرب بجنوب السودان . . . .

" مثالب ثقافية و اجتماعية لظاهرة النزوح و الهجرة من الجنوب للشمال ... تتمثل فى . . . .

(أ) الإنصهار الثقافى نتيجة الدمج الاجتماعى للمواطن الجنوبى النازح مع المواطن الشمالى .. - حركة جذب و استقطاب تلقائية فى التقاليد و العادات (كلبس الجلابية و الثوب) ، .... ذلك يهدد سياسة المناطق المقفولة - التنافر بين الشمال و الجنوب ، ويهدد نكهة الهوية الجنوبية ، .. و سيزيل العقدة التاريخة ، الشعور بالضيم الانسانى الذى لحق بها من تجارة الرقيق بواسطة عرب الشمال . .

(ب) التعريب التلقائى للجنوب ، و اللغة العربية هى المعبر الأساسى للإسلام .. وذلك لدور المنظمات الطوعية الاسلامية ، ودعم الدول العربية لحركة الأسلمة بالجنوب ربما يؤدى لظهور قيادات اسلامية فى القبائل الكبيرة مما يؤثر فى توازن القوى الاجتماعية . . .

---

(١) صمويل زويمر - مؤتمر القدس التنصيرى ١٩٣٥م .

(ع) المستقبل القاتم لقبيلة الدينكا بسبب الموت و الجوع و المرض و الحرب ، و فشل ابنائها فى الدراسات الجامعية فى السودان ، وان ٧٠٪ من ضحايا الحرب من قبيلة الدينكا .. و باستمرار الحرب ربما تنقرض القبيلة و التى منها اغلبية المقاتلين و القيادات " [1] ....

و تتعصب اليهودية لتصف اتباعها بشعب الله المختار و تعمل لتحقيق نظرية ارض الميعاد من النيل الى الفرات و تهجر لذلك يهود الغرب و الشرق و يهود الفلاشا ... و يظهر التعصب العنصرى حتى عندما وصل اليهود الفلاشا لاسرائيل حيث انتحر بعضهم احتجاجاً على المعاملة الدونية و محاولة اعادة تهويدهم ... مما صعب الأمر وجعل الحاخام يقترح ان تتم عملية التهويد فى ارضهم قبل التهجير ...

هذه المشاكل فى السودان كفيل بها تطبيق الفيدرالية و تحديد الدولة ، وتوزيع الأدوار بين المواطنين ... و يشمل ذلك حرية الاعتقاد و الدعوة ، والتسامح فى طريق العودة الى الله ، و التعايش السلمى بين الأديان ...

و ترك عملية (الحذف و الإضافة) للتنافس بين الأديان و صراع الأفكار ، و المقدرة على تقديم المثال وتجسيد قيم الدين ، و التفوق فى نفع الغير وتقديره كانسان و كمواطن ... و سنجد ان قانون البقاء للأصلح هو الأجدر للانتقاء فى مشكلة الاديان و الأفكار و نظريات حكم الشعوب [2] كما هو الحال في عملية التوازن الطبيعى حيث البقاء للأقوى و الأجدر على تكييف خلقه مع البيئة في الحيوان ، و مقدرته على الصمود امام عوامل الفناء الطبيعية فى الجماد ...

(٤) على المنقذ أن يدرك تماماً انه لابد له من فاس ليتوكأ عليها ولمآرب أخرى (وحتى تكون كلمتك من رأسك يجب ان تكون لقمتك من فأسك) . . فأس للحرث و انتاج ضروريات قوت الشعب ، ولضرب عنق الفساد .. لأنه لكى تنصف من ظُلمْ لابد أن تحرق أنامل من أخذ ..

(١) الازفستيا السوفيتية – عن الصحف الكينية . .

(٢) فكرة الوحدة الاقتصادية الافريقية ... مؤسسة التجارة التفضيلية لشرق وجنوب أفريقيا، تاسست ١٩٨١، و باشرت عملها ١٩٨٤، تهدف لدفع التعاون و التنمية فى مجال الأنشطة الاقتصادية وبصفة خاصة فى التجارة الجمارك الصناعة و النقل و الاتصال، الزراعة و الموارد الطبيعية و الشئون النقدية . وتضم :–

" اثيوبيا، الصومال ، جيبوتى ، يوغندة ، تنزانيا ، زمبابوى ، بورندى ، رواندا ، مدغشقر ، موريشيص ، جزر القمر ، زامبيا ، سوازيلاند ، ليسوتو ، ملاوى و السودان . . . " . . .

لتكون عادلاً ومقتضى العدل ان يكون هنالك ظالم ومظلوم ، لذا فلا يمكن إرضاء كل الناس إلا إذا انتفى الظلم من العالم وتلك ضد حكمة الوجود وقانون التضاد .. وان اكبر حقيقة في الوجود ، وجود الله سبحانه وتعالى الخالق لما وجد لا يتفق عليها كل الناس .. لذا فلابد لكل سلطة من أعداء .. ولان هنالك اشياء لا يمكن مواجهتها إلا بالردع والجزاء الصارم الحاسم السريع ... مثلاً " كسِيّب بالتهريب " مع صغر السن ، وتضييع معاني الجهد والعطاء وتجارة العملة (دولار - ريال) واحتكار السلع وتخزينها وتهريب السلع والمنتجات لداخل وخارج البلاد ... يقولون لك صغار وبنوا العمارات ، ويصفونهم بالشطارة دون الطهارة وربما يتجرأ أحدهم ويواجهك .. ماذا فعل من تعلم ؟ ويكون من الصعب اقناعه واقناع مستمعيه .. لأنهم يقيسون النجاح بكم مليون في الحساب ؟ ! ... وهنالك من وصل مرحلة من الاجرام لا يجدى معها إلا صارم العقاب .. وإن عملية التعمير والتغيير ، والاستقرار والاستمرار لا تتم إلا برد الحقوق الى أصحابها ، ونبذ عقلية المصالح العشائرية والترضيات وعملية إطفاء الحرائق المؤقتة ، والتوازن بينها وبين التسامح .. وبين سرعة الاجراءات القانويبنة وثورية الإصلاح ومقتضى العدالة .. وان رد المظالم الى أصحابها يتطلب القوة ، لأنه عبء ثقيل لا يتحمل الحياء والتاخير ... وان تكون الكفاية والأداء ومقدارهما هى مقاييس الإبعاد من مواقع الدولة وليس الولاء السياسى السابق ، لان هنالك من يدس ويكيد ليتخلص من خصوم ... وربما يضَمّن التقارير الفنية عن الأداء مكر السياسة ورغبة الإدارة ، ولأن الاختلاف السياسى لا يبرر الظلم ، والظلم يولد الحقد ويقتل روح المنافسة وحافز العمل ، ويصحبه غياب الشعور بالأمان اللازم لاستمرار العطاء ودوامه وتحسينه ، واكثر من ذلك فربما يَجُرّ لدعوة مظلوم تسرى بليل فى غفلة الأمير ، وانه ليس بينها وبين الله حجاب ..

ان فعالية الثورة تعنى استمرارية التغيير .. وذلك يتطلب مرحلية الشعارات ، " **وإن لكل شعار رجال** " يجسدونه ويطبقونه حقيقة وتطبيقاً بكل ارادة ومعرفة وتخطيط وخبرة وتجربة وبعقل وبصيرة وثبات . ومن الطبيعى ان يسقط من يسقط فى عملية الانتقال بين المراحل ، وربما يتم ذلك بعد صراع ومقاومة ... فنسمع بأن " الثورات قطط تأكل بنيها " ... لذا فإن ناشد قيادة التغيير يجب ان يكون ذاتى الطاقة والحركة وقوة الثورة ، يتدثر الصبر ويتزمل العزيمة ، يحرث ويرعى وقد يعيش مرحلة النمو من دون

ان يكون قاطف الثمار .. .ومن الأهم أن يعى جيداً أن لعبة السياسة اليوم خالية من العواطف و المجاملات ، ولا يضمّ قاموسها إلا المال و القوة والمصالح ... وإن عملية التنمية و البناء لا تتصلح إلا باكتمال عملية الولادة المتأنّية ، طبيعية كانت أم متعسرة ، لنوعية من القيادات القادرة على الإبتكار و التجديد و الإضافة ، و إتقان الاستخدام الأمثل لما هو متوفر وفقاً لظروف و احتياجات ومشاكل السودان . . . .

(٥) ان عملية " الإستقطاب و قومية النهج " ذات اهمية كبيرة لأنها تجمع عناصر القوى الوطنية ، و توفر التجربة السياسية الناضجة لتزين طموح الشباب وثورته و اندفاعه لتكتمل دائرة " **توزيع الأدوار** " ، لأن بناء الأوطان ، و خاصة المندفعة نحو هاوية الدمار ، لا يحبذ فيها قيادة الأغرار ، لأنهم ربما ينشغلوا بالمجتمع عن أنفسهم أو ينشغلوا بأنفسهم عنه .. و تأتى الهزيمة ، و يكتمل التحطيم . . . ولكن يلزم لذلك عوامل الصبر و الزمن ، وبعض الملاحظات . . .

(أ) ان لا تركز على القمة و تصير عملية " **انتخاب للنجوم** " من رموز عهود الحكم السابق ، و تنسى الخيرين من بقية الصفوف ، و الذين يرجى خيرهم اكثر من غيرهم ، لأنهم يرفضون ان يكون دورهم (**نوم و تكبير كوم** " . . .

(ب) ان لا يكون الداعى للنهج القومى خوف العزلة أو رغبة فى الشعبية أو ترضية .. أو تغطية لتوجه أو اتقاءً لشر متوقع ، لأن ذلك يهمل القدرة و فاعلية الأداء ، مما يثقل الحركة ، أو يكون مدخلاً لمن " **يعارض من الداخل** " ، و لمن يملؤه الانهزام النفسى و تعمه روح التردد ، لأن محاربة عدو العلن اسهل و أهون من مواجهة " الصديق العدو " ... و تجارب السلطة تقول : . . . . . .
كثيرون هم الذين يعارضون فى السر ، ويؤيدون في العلن ، ورغم همسهم و همزهم و غمزهم ولمزهم ليلاً ، إلا إنهم يصفقون بالأيدى نهاراً و يمسحون الجوخ و يقبلون الأيدى و الأقدام .. ويبقون بالاعتاب انتظاراً حتى أواخر الليل تعبيراً عن ولاء ... من كل ممن أبعد فى عهد و يرغب فى البطولة مع عهد جديد ... ان الكبار لا يحتملون النفاق . . صحيح ان ابن ادم خطاء ، ولابد من الخطأ و الصواب فى تجارب الشعوب . . . و لكن أن تهيأ فرصة للبعض أن يكون

(**حصان رهانٍ لكل عهد**) ، و" **هجين منافسة لكل أمير** " ، فذلك تفريط فى أمانة قيادة الأوطان مرفوض .. لأن هؤلاء يجسدون اساليب حكم ، ومناهج تفكير ، ومشوه قيم ينبغى ان تهتز و تزول .. ولا تجوز مهادنتها أوالتصالح معها . . .

(ج) إن بعض قدامى السياسيين والمسئولين الحكوميين، يكون أجدى وأنفع فى موضع الاستشارة و التنظير ، ووضع التجربة امام الغير فى المؤتمرات والندوات و المحاضرات بين مدرجات معاهد البحث والجامعات ، من ان يوضع فى موضع القيادة و التنفيذ ... وعليهم ان يتحملوا أمانةالتنظير ووضع البرامج و الخطط ، و يتابعوا عمليات التقييم والانتقاد.. وفى كل الحالات ، إن القيادة أمانة و مسئولية لا يدرك ويتقن فنها كل الرجال ، ولا تبلغ هامتها كل القامات . . .

(د) أهمية الموازنة بن أهل الثقة و الولاء ، و أهل الكفاية و القدرة . ويقيناً إن جمع المسئوليات السياسية و الإدارية هى من أسباب دمار الإدارة فى السودان فى الحكومات العسكرية و الديمقراطية .. لأن ذلك يقتل الطموح و يثير الأحقاد ، و يفتح مجال للتخلص من الخصوم ، ويخلق المحاسيب ، و يفتح الطريق لمن يمارس النفاق بحثاً عن الخبز و الثراء ... ولأن أمر الإصلاح لا يعرف الحسب و النسب ولا التنظيم أو الحزب ... طريقه المحاسبة الصارمة و المكافئة العادلة ، ... و أن الفساد و الإفساد فى المال العام و الاسواق لا علاج له إلا مفارقة الرقاب ... لأن من يحب جمع المال و كنزه ، زحفاً و انبطاحاً و هرولة ، هو مريض تعس يحب الحياة ... و لمثل هذا " دق العنق " هو اسلم وقاية لإتقاء شر من (**لتجدنهم احرص الناس على حياة**) ، فى دنيا التجارة والمال ودوائرهما الحكومية . . . .

(هـ) ان الأسلم و الأصوب فى عملية " تجميع الشتات و توزيع الأدوار " (فضلاً عن عملية ممارسة التحذير و الإنذار ، و الترصد حتى مرحلة اختفاء الاعذار ثم الانقضاض فالتطهير) هو استقطاب كل القوى الشبابية ، وإستثمار طاقاتها بعد تنويرها و تثويرها ، و اتاحة حرية الحركة لها كل فى مجاله .. فإن هنالك قوة وطاقة شبابية هائلة تعرف هموم الوطن ، و تؤمن بقومية الهدف ولكن تشغلها هموم الذات والمسئوليات الخاصة ، من زواج و مسكن و معيشة و تبعات لأسر وعائلات ، و التزامات اجتماعية أخرى ،

شغلتها و ارهقتـها كثيراً و اقعدتـها عن ان تحمل معها همـوم وطنها . . . استقطـاب هـؤلاء بإعمال خاصيـة التسـامح السودانى الأصيل [١] مع تجـرد الحـوار وثقـة التفـاوض لتجتمع كتوف و كفوف و ارادات وقـوى تتعـاون علـى حمـل ثقـل همـوم الوطـن التـى اثقلـت كاهل مجتمـع الكراهيـة و الشتـات (٦) علي من يمسك نار السلطة ،بحثاً عن الحل ،من دون ان يرتجف له قلب أو قبضة يد ، أن يعلم أن الأماني وحدها لا تصنع الأمم الناجحة ، وان النية الصادقة وحدها لا تكفى أيضاً لذلك ، وإن الثقة المفرطة قابلة أن تتحول لحماقة .. وان بناء الدولة على السياق الحضارى (الهوية الحضارية) يحتاج للمعلومات و الإحصاء و التخطيط ، حتى يسبق اتخاذ القرار التروّى والمشورة و يعقبه الحسم و الحزم ... وذلك يعنى دراسة نتائج و مترتبات ومتطلبات تنفيذ القرار الصائب قبل إقراره ، لأن النكوص عن القرار الصائب تحت ضغط المعارضين أو صعوبة التنفيذ و التنزيل أو لكسب سياسيٍ خوفاً من العزلة و رغبة فى الشعبية ، يذهب الهيبة ويزرع خصلة التردد ، ويغرى المعارضة بإستقلاله فى زعزعة ثقة المواطن فى السلطة المقررة [٢] . . .

" لا يدعَنّ السلطان التثبت عندما يعطى و يمنع فإن الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع بعد الكلام ، و ان العطية بعد المنع أفضل من المنع بعد العطية ، و ان الإقدام على العمل بعد التانى فيه ، أحسن من الإمساك عنه بعد الاقدام عليه . " [٣] . . . .

وان بناء الامم يحتاج للقيادة السياسية المدركة ، ذات الإرادة الحرة ، وذات الحول و المقدرة و الكفاية و الدراية .. من علّمتَ نفسها بالاطلاع على المعرفة والثقافـة العالمية ، وهضمت و استوعبت ثقافة امتها قبل ذلك ، لتستشعر مسئولية الأمانة و تمتلك قوة الأداء . . .و لتنهزم نفسها امام اغراء المال ... وتعلم أن الحقد والهوى و الغرض فى اصدار القرار يعمل ما لا يعمله الجهل ، و من قبل و بعده هزيمـة النفس ضد ادواء السلطة ...

---

(١) نلمس مثالاً حياً لذلك بين بعض قبائل الجنوب التى يوجد بين افرادها مسيحيون ومسلمون حيث يشارك أفراد الأسر ذويهم بعيداً عن عصبية الإنتماء الدينى . . .

(٢) على سبيل المثال أصدرت قيادة الإنقاذ تحرير اسعار الخضر و الفاكهة فى سبتمبر ١٩٩٠ .. و بعد اسابيع فسّر قرار نائب المعتمد بان قرار القيادة لا يشمل اللحوم و الخضروات . . .

(٣) إبن المقفع .

لأن الأمم ، التى تفوقت وبذت ، بناها تضافر الجهود ومجهود الجميع .. وان من له السلطة و الحكم ليس هو الأكثر مواهباً و الأقدر فى كل مجال ، و أن العزوف و الزهد فى السلطة لا يعنى الخمول و الخلو من الموهبة و المقدرة ... و أن أمامها طريقان لا ثالث لهما . . .

التاييد ثم السلطة فالحكم .. أو ...

القوة ، فالقهر فالدكتاتورية ثم فقد حرية الرأى و التعبير فالسقوط .. وأن ماضى التجارب في مجال السلطة يقول بأن انقاذ و خلاص البلاد لا يتم فقط باستلام زمام السلطة و غلبة القوى العسكرية ، فمنذ اكثر من عشرين سنة فعل ذلك النميرى ورفاقه ولكنهم ضلوا الطريق لوجدان الأمة و ضميرها ، لأن النظام افتقد القيادة الحدّية القاطعة ... وكان السقوط لعدة اسباب . . .

١) الاستئثار بالسلطة و الاستبداد ، وخلق طبقة سياسية متميزة . .
٢) عدم كفاية و أهلية من ولى المناصب و المسئولية . .
٣) غياب القانون ، وتحكيم المصلحة الشخصية للولاة و الحكام . .
٤) هيمنة و انفراد بقرارات في مصير الأمة و أرضها و أموالها . .
٥) طبقة فقيرة محتاجة ، وطبقة رأسمالية لعبت بأموال الأمة والدولة .

(٧) إن مشكل الحكم فى السودان معقد وصعب و متشابك و ثقيل حمله يتطلب الصبر وقوة الاحتمال و التصدى و الإصرار ... عند البعض صـــراع للعقائد والأفكار ... و آخر يفهمه محافظة على ارثٍ قديم .... و غيره يعده ظلـم إجتماعى و قسمــة ضيزى للثروة .... وغيرهم محافظـة على بقرة حلـوب تدر الذهب و المصالح ... و يوجـد مـن يراد له ان يكون مخلب قـــط و نفقاً لعبور استراتيجيات و مصالح . لذا يكثر طلاب الحكم فى السودان بالرغم من صعوباته و مشاكله ... لأنه قليل من يفهم ان الأبعاد الحقيقة والتفاصيل العملية للديمقراطيــة الليبراليــة تسير خلاف ممارســات و ابعاد العمل الجماعى فى الســـودان و تاريخه [1] ، وأن المطلوب اليـــوم فى البلاد هـو التفكيـر العملى للخروج بمعادلة ناجحة بايجاد محصلة تشبه ذات المجتمع و حضارتـة فى ظروف الإستلاب الحضارى السائدة اليوم فى المجتمع الاسلامـى و العربى و الأفريقى . . .

و نقطة الانطلاق ، معرفة ان الدمار الذى لحق بالوطن كبير ولـن يزول

(١) أى " الصيغة المحلية للديمقراطية " . . .

إلا بتجميع كل عناصر القوى فى مجتمع السودان ، وان يستشعر كل مواطن مسئوليته فى معركة بقاء الأمة وبناء الوطن .. وإن ما نراه من اوطان الرخاء والتقدم والوفرة والاستقرار مجهود سنين ومغالبة مصاعب وتاريخ طويل لصراع العمل والانتاج وتوزيع الأدوار واخلاص الأداء ... وان الأمم (أ) ماضى (ب) وحاضر (ج) وغد ....

(أ) دولـة

(١) ذات اصول حضارية .. و ...

(٢) ثوابت تاريخية .

(ب) رئاسـة وحكومـة

" تسير وفق مؤشرات الدولة وتهتدى بخطط المستقبل " وعليها ...

(١) تسيير علاقات خارجية وداخلية ..

(٢) تدبير حياة ، وتلبية متطلبات شعب أساسية ومعيشية

(٣) ادارة ديوانية ، وانتاجية وتنموية ...

(٤) المحافظة على كيان الدولـة وتحقيـق الإستقرار ..

(ج) رؤى مستقبليـة

" يسع مجالها جميع أفراد الأمـة كل وفق مؤهله وكفايته وقدرته على العطاء . " ...

(١) احصاء وتخطيط ..

(٢) بحث علمى وإعمال تقنية وابتكار ..

(٣) مسئولية يتحملـها العلمـاء والمفكرون والمجتهـدون " كأفراد ومؤسسات " ...

هذا الإدراك والفهم لتوزيع الأدوار بين أفراد المجتمع فى بناء الأمة ، يوسع المشاركة ويتيح الفرصة أمام الجميع ، ويجعل لكل موضع قدم ومجال مساهمة ...

لأن تحديد هويـة الدولة تحسم صراع الأيدولوجيات والعقائـد والأديان ، ويحدد مسئولية الرئاسة والحكومة فى حاضر الأمة مع تركيز النظر للمستقبل ولن تلتفت للماضى إلا للاهتداء .. ويتيح لهما المساهمة فى تحديد المستقبل وفق الكفاية والمقدرة الفردية الشخصية ... ويقنع أهمية العالم ويطمئنه على فعالية نتائجه وتقبلها ، وولوجها لفهم وتطبيق من بيده السلطة والقرار .... وتضع العلماء ان دورهم أكبر وأوقع اثراً من البحث عن الزعامة وأن وزرة (أوفارول) المعمل والحقل انسب لقاماتهم وأفيد لوطنهم من شال

الوزارة و السياسة ... ويمكن افراد المجتمع من أن يوازنوا بين ولائهم السياسى لينتقل الى مرحلة البرامج و الخطط ، وللأقدر على الأداء بدل التعصب و التطرف ... و أن لا يكون دورهم كما كان إفراط لادمان السياسة ، و تفريط فى واجب المسئولية الجماعية . . .

بذلك تعود هيبة الدولة الداخلية بنهاية حالة الفوضى و الصراع و هيبتها الخارجية بتطوير الانتاج و عائده ، لأن عالم اليوم لا يسمع لفقيرٍ صوتاً ولا كلمة " و يقضى الأمر حين تغيب تيم .... ولا يستأذنون وهم حضور " ، و يتغيرّ دورنا لوطن سَبّاق بدل (بَغْلَـةٌ وَ متَابِعَـةٌ الخيـلْ) . . . و يصير العمل فضيلة كالشرف والأمانة ، و الاخلاص و الكرم ، و الحق ، و كسب الرزق الحلال من عرق الجبين .. ويكون تقدير المرء بانسانيته ومواطنته وسلوكه وأداء دوره ، وليس بجاهه و منصبه ... ويسود معنى العمل بأنه مسئولية وطنية و عبادة .. فتعود الثقة للمهنيين و الحرفيين الصابرين فى الداخل ، و الذين فقد بعضهم الثقة فى مستقبل البلاد ومصيرها ... يتساءلون ما مصيرها غـداً بالتدهور الذى يشهدونـه كل حين مما يضطرهم للتفكير فى تامين المستقبل فيلحقون بمن سبقهم غربة أو يهرعون احتواءً للأرض لبناء العمارات و المنازل ، والصرف البذخى بعيداً عن تطوير المهنة و ادخال التقنية فى المجال ... وانصرافاً لاعتاب السلطة ووصولاً اليها عن طريق تسليط الأضواء بواسطة المعارف والإصدقاء ..

وبهذا الفهم الوطنى للأدوار ندرك ان التحول التقنى ليس مجرد استيراد منتجات تقنية متطورة لحيازتها و استخدامها ، وإنما لإستيعابها و تنمية المقدرة التقنية على تطويرها و الإبتكار في مجالها .. باستثمار و تطوير المقدرة الذهنية و الذكاء لدى الكفاءات العلمية و التقنية الوطنية القادرة على تطوير واستيعاب التقنيات العالمية . . .

مثل هذا الفهم يلزم المواطن راحة الضمير بالرضا وروعة الأداء و حسن المشاركة وهو فى ميدان تخصصه ... فى مناخ من الحرية و التقدير و المعاملة الاخلاقية ، فتقل هجرة العقول التى أهلتها الدولة بصرف دماء العائد رغم قلته ... انه يجعلنا ندرك ، ليس المهم ان تكون رئيساً ، ولكن الأهم ان تطمئن لأداء دورك ، و مدى استجابة الرئيس لكلمتك ولرأيك الصائب و تاكيد بسطهما فى أرض الواقع ، تجسيداً للمساهمة الناجحة اينما وجدت ... ويخاطبنا الواقع عندئذ بانه : إذا كان الفرد زراعياً باحثاً أو مزارعاً ناجحاً يغنيه عن ان يكون وزيراً للاغذية ... و إنه ليس من النجاح أن يكون كل

جراح قدير أو نطاسى بارع وزيراً للصحة ... فقد جاءت نصيحة العالم المصرى فاروق الباز للسادات ، بما جعل السياسة تبتعد عن دفن النفايات الذرية ، بما هو انفع لأجيال مصر ، وكذلك فعل الطبيب المصرى جراح القلب الشهير ، وصاحب الرقم القياسى فى نقل القلوب مجدى يعقوب حين قال لمن ساله : (هل تشعر بنجاحك وانك اصبحت نجماً فى عالم الطب ؟) (١) . . . .

" إننى أشعر بنجاحى فقط عندما أكون بين المرضى ، وفى موقع عملى ، أما بعد ذلك فأنا مثل سائر البشر لا فرق بينى وبينهم . " . . .

ثم (ان السلطان يهلك بالإعجاب والاحتجاب) . . .

لأن الاعجاب بالنفس يمنع الاستشارة والاستفادة والاستزادة . . . والاحتجاب عن الرعية يهمل ادارتها ومعرفة همومها ، ولا يترك للعدل باباً مفتوحاً يلج منه من ظُلِمْ بحثاً عن عدالة السلطان . . . . . .

وصدق الله العظيم إذ يقول . . . .

" كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ (٣٥) وزروعٍ و مَقَامٍ كَرِيم (٣٦) و نَعْمَةٍ كَانوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٣٧) كذلكَ وأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ (٣٨) فما بَكَتْ عليْهِمُ السَّماءُ والأرضُ و ما كَانُوا مُنْظَرِين (٣٩) "

(سورة الدخان)

---

(١) لندن - أولد كورت

(مجلة الشرق الأوسط العدد ١٨٥- ١٠-١٦ يناير ١٩٩٠م)



القطن .... و النيل



الغيث .... و الأنعام

الذرة ....و الأمطار





المعادن ... و البترول

المحتويات

الصفحة

تقديم :

الباب الأول
الشخصية السودانية

الباب الثانى
و تنادوا هاتفين

الصفحة

الباب الثالث
وجاءت الاحزاب

الصفحة

(ز) الجمهـوريون

الباب الرابع

قوات الشعب المسلحة ٢٠٩

الباب الخامس

عشواء مايو و حاطب الليل

الباب السادس
فقهاء السلطان وجماعة الوسط الضائع

الصفحة

الباب السابع
صحائف واسفار وإعلام

الباب الثامن

من اين تؤكل الكتف

إخــراج إلكتروني : ابوبكر خيري